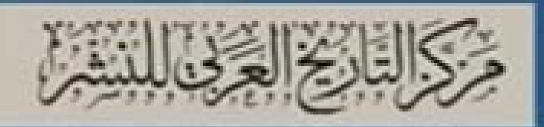
العلاقات السياسية

بين آل سعود وآل رشيد

أمين إبراهيم أمين رمضان





العَلَاقَاتُ السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَ آَلِ سُعُودٍ وَآَلِ رَشِيدٍ
(1264 – 1339هـ / 1848 – 1921م)

أَمِينِ إِبْرَاهِيمَ أَمِينِ رَمَضَانَ

الطبعة الأولى

1440 هـ - 2019 مـ

اسم الكتاب: العَلَاقَاتُ السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَ آَلِ سُعُودٍ وَآَلِ رَشِيدٍ

(1264 – 1339هـ / 1848 – 1921م)

اسم المؤلف: أَمِينِ إِبْرَاهِيمَ أَمِينِ رَمَضَانَ

موضوع الكتاب: تاريخ

مقاس الكتاب: 24 × 17سم

عدد الصفحات: 196 صفحة

الترقيم الدولي: 978-605-69742-1-4

الإخراج الفني : : شيماء شاكر

مركز التاريخ العربي للنشر
Arab History Publishing



التوزيع والنشر

6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201555566139 - 00201027013326
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين؛ سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ماينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، وأرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

شكلت العلاقات بين الأقطار العربية في العصر العثماني حقلًا خصبًا للدراسات التاريخية، ورغم أن الباحثين يهتمون بذلك النوع من العلاقات العربية – العربية، ورغم الجهود المبذولة فيه فإن هناك بعض الفترات التاريخية التي مازالت تحتاج إلى جهد كبير للتعرف عليها بصورة تفصيلية، ويلجُ الباحثون ويثبرون غورها وبخاصة في ظل الكشف المستمر عن بعض الوثائق والمصادر التاريخية سواء العربية أو الأجنبية، والتي كانت كفيلة بتغيير بعض الوقائع والأحداث التي كان يتم التسليم بها على أنها من الحقائق التاريخية الثابتة. ومن هنا جاء اختيار الباحث لموضوع البحث الموسوم:

"العلاقات السياسية بين آل سعود وآل رشيد (1264 – 1339 هـ / 1848 – 1921م)"

وآل سعود هم أصحاب الدولة السعودية التي قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية عام 1157هـ / 1744 م بالتحالف الذي وقع بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب أول حركة إصلاح سلفي في التاريخ الحديث والأمير محمد بن سعود بن مقرن أمير الدرعية الذي اقتنع بمبادئ الدعوة التي دعا اليها الشيخ.

فأسس الدولة السعودية الأولى (1157 – 1233هـ / 1744 – 1818م) وقد سقطت هذه الدولة على أيدي الحملات التي أرسلها محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية بتحريض من السلطان العثماني محمود الثاني فنجحت في دخول الدرعية (1233هـ / 1818م) على يد إبراهيم باشا ابن محمد علي – ثم قامت الدولة السعودية الثانية (1240 – 1309هـ / 1824 – 1891م) على يد الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وقد توسعت هذه الدولة في شبه الجزيرة العربية تارة

أخرى، ولكنها أعلنت خضوعها للدولة العثمانية، إلا أنها اصطدمت بالقوى المحلية في الجزيرة العربية، ودفعت العديد من المشكلات داخل الأسرة الحاكمة لوراثة العرش من أبناء آل سعود انتهت بانتهاز آل رشيد ذلك الصراع ونجاحهم في التوسع على حساب الدولة السعودية الثانية والقضاء عليها نهاية الأمر، إلا أن الأمر لم يستمر طويلا لآل رشيد؛ حيث نجح الأمير عبد العزيز آل سعود في استرداد مُلك أجداده من آل رشيد، ودخل معهم في صراع منذ عام 1319هـ / 1902م انتهى بسقوط دولة آل رشيد 1339هـ / 1921م وضم أملاكها إلى الدولة السعودية الثالثة التي أسسها الأمير عبد العزيز آل سعود، والتي تحولت إلى المملكة العربية السعودية فيما بعد.

وأما آل رشيد فهم أصحاب دولة آل رشيد التي أسسها عبد الله بن علي بن رشيد (1250 – 1339هـ / 1834 – 1921م) بمساعدة من أمراء الدولة السعودية الثانية، وكانت العلاقات بين آل سعود وآل رشيد في بدئها قائمة على الود والتحالف والمصاهرة بينهما، ولكن العلاقة لم تستمر على وتيرة واحدة؛ فعندما ضعف آل سعود استغل آل رشيد ذلك، وقاموا بضم أملاك السعوديين إليهم، ثم قضوا على الدولة السعودية الثانية؛ فتوسعت بذلك إمارة آل رشيد في مساحة كبرى في الجزيرة العربية، ولكن مالبث أن تمكن آل سعود من استعادة العافية، وبدءوا في الدخول في حروب طاحنة بقيادة الأمير عبد العزيز آل سعود ضد أمراء آل رشيد، والذي انتهى بسقوط حائل عاصمة آل رشيد في قبضة الأمير عبد العزيز آل سعود 1339هـ / 1921م منهيًا بذلك حكم آل رشيد الذي استمر حوالي تسعين عامًا.

هذا، وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة، وتمهيد، ومقفاة بخاتمة على النحو التالي:

أما **التمهيد فجاء بعنوان: "لمحة في جغرافية وتاريخ نجد وحائل".**

وتناول الباحث فيه جغرافية نجد وحائل؛ وذلك لفهم طبيعة الأرض، وتحديد مواقع المناطق التي سيتم الإشارة إليها في البحث. كما تم تناول لمحة في تطور نجد وحائل حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي؛ لتوضيح تطور حكم آل سعود وآل رشيد، والعلاقات السياسية وتوالي الأمراء من آل سعود وآل رشيد حتى سقوط حائل 1339هـ / 1921م.

وأما **الفصل الأول فجاء بعنوان: "مرحلة الوفاق بين آل سعود وآل رشيد (1264 – 1281هـ / 1848 – 1865م)".**

وعرض الباحث في هذا الفصل نشأة آل رشيد، والظروف التي ساعدت على توطيد العلاقة بين آل رشيد وآل سعود، والدور الذي أداه كلٌّ من الفريقين في مساعدة الآخر ضد أعدائه، والمحاولات التي قام بها والي مصر محمد علي باشا للإيقاع بين الجانبين السعودي والرشيدي، إلا أن مساعيه باءت بالفشل، وتنتهي هذه الفترة بالفتنة التي وقعت في البيت السعودي للوصول إلي سُدة الحكم.

وأما **الفصل الثاني فجاء بعنوان: "مرحلة العداء بين آل سعود وآل رشيد (1281 – 1308هـ / 1865 – 1891م)".**

ولقد ناقش الباحث في هذا الفصل التحول الذي شهدته العلاقات بين آل سعود وآل رشيد، بتحولها من طور الوفاق إلى طور العداء؛ ففي هذه المرحلة وقع صراع عنيف بين أبناء البيت السعودي للوصول إلى سُدة الحكم، الأمر الذي أدى إلى ضعف قوتهم واستغلال آل رشيد تلك الفتنة لصالحهم، والقيام بتوسعاتهم على حساب أملاك آل رشيد وانفصال منطقة الجبل عن الدولة السعودية الثانية، ثم نجاح آل رشيد في القضاء على الدولة السعودية الثانية، وضم أملاكهم إليها بصورة نهائية (1308هـ / 1891م) ورحيل آل سعود إلى الكويت.

وأما **الفصل الثالث فجاء بعنوان: "العلاقات بين عبد العزيز آل سعود وآل رشيد حتى سقوط حائل (1339هـ / 1921م)".**

وقد تطرق الباحث في هذا الفصل إلى الأمير عبد العزيز آل سعود، وقيامه باتخاذ الكويت قاعدة لشن هجماته ضد أمراء آل رشيد في محاولة منه لاسترداد مُلك أجداده؛ حيث شهدت هذه الفترة حروبًا طاحنة بين عبد العزيز آل سعود وأمراء آل رشيد، وقد حقق ابن سعود انتصارات كبيرة على آل رشيد؛ مستغلًّا حالة الضعف التي أصابت أمراء آل رشيد في توليهم الحكم، وتحالفه مع القبائل الأخرى المؤيدة لحكم آل سعود والمعادية لحكم آل رشيد، إلى أن تمكن في نهاية الأمر- نتيجة للمتغيرات الدولية - من حصار، حائل والاستيلاء عليها عام 1339ه / 1921م منهيًا بذلك حكم آل رشيد.

أما **الخاتمة:**

فقد تناول الباحث فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وقد أشفعت ذلك بالملاحق التي رأيت فيها فائدة إضافية للبحث؛ وقد قسمتها إلى ملحقين: أما الملحق الأول فتناولت فيه نسبي آل سعود وآل رشيد. أما الملحق الثاني فقد عرضت فيه بعض الخرائط التي توضح القبائل والمدن والبلدان، وخط سير بعض المعارك المذكورة في البحث، وكذلك بعض الصور والأشكال التي ذُكرت على مدى فصول البحث. وفي النهاية جاءت قائمة المصادر والمراجع.

وبعد أن انتهيت من هذا العمل على هذا الوجه، فإنني أحمد الله سبحانه وتعالى على عظيم فضله، وكرمه، ومنِّهِ على ما أنعم عليَّ من توفيق وسداد لإتمام البحث.

ولما كان المرء قليلًا بنفسه كثيرًا بإخوانه؛ لذلك كان لزامًا عليَّ أن أرد الفضل لأصحابه، وأن أشكر كل من له فضل وحق عليَّ؛ عرفانًا بالجميل وتعبيرًا عن التقدير، إعمالًا لقول الله سبحانه وتعالى: "وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"، وخضوعًا لقول النبي: "مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اَللّهَ".

فإنني أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ **محمد عمر عبد العزيز عمر** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر الذي شرفت بالتعلم على يديه طوال مرحلة الماجستير، على تفضله بالإشراف على الرسالة، وعلى ما بذله من جهد صادق، وعطف أخوي كريم، وتواضع ملموس، وعلى توجيهاته من نصائح علمية، وتذليل كثير من الصعاب، وما تحمله مِنِّي بسعة صدر في كثير من الاستفسارات دون تردد منه أو ملل. ومهما أقول يا أستاذي الفاضل فإن الكلام لا يفي حقوقكم عليَّ.

كما أتقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى أستاذي الأستاذ الدكتور/ **فاروق عثمان أباظة** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر الذي شرفت بتلقي العلم على يديه في السنة التمهيدية للماجستير على تفضله بقبول مناقشة الرسالة، كما أتقدم بخالص آيات الشكر والإعزاز إلى الأستاذ الدكتور/ **أحمد عبد العزيز عيسى** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة دمنهور على تفضله بقبول مناقشة الرسالة، فالشكر والتقدير لسيادتهما على ما تحملاه من مشقة في قراءة الرسالة، وما أبدياه من ملاحظات وإرشادات علمية قيمة، سوف تثري الرسالة، جزاكما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني هنا أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى أساتذتي بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية الذين شرفت بالتعلم على أيديهم أو كتبهم في مرحلة الماجستير، وأخص بالذكر أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر الأستاذ الدكتور/ **عمر عبد العزيز عمر** – رحمة الله عليه – والأستاذ الدكتور/ **محمد محمود السروجي**، والدكتورة/ **ناهد إبراهيم دسوقي**، والدكتورة/ **عصمت محمد حسن**.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أسرتي وأبنائي وزوجتي الغالية على ما بذلته من جهد وفير أثناء دراستي في السنة التمهيدية للماجستير، وأثناء إعداد الرسالة؛ فجزاها الله عنّي خير جزاء، كما لا يسعني في هذه اللحظات إلا أن أذكر أمي – رحمة الله عليها – التي كنت أن أتمنى أن تكون معي في هذه اللحظة، كما أدين بالفضل والعرفان والجميل إلى أبي – رحمة الله عليه – الذي كان السبب الأساسي في استكمالي للدراسات العليا، وكان يشجعني دائما على إنجاز البحث، وقد كنت أتمنى يا أبي أن تكون حاضرًا في يومي هذا، وأرجو أن أكون قد حققت لك جزءًا مما تريد، وإني إن شاء الله لماضٍ في طريقي الذي أردته لي.

ونهاية فإن لكل شيء إذا ما تم نقصان، وفي هذا البحث قد تتواجد بعض الأخطاء، وهي من لوازم طبيعة البشر، وصدق الله الذي بدأ كتابه الكريم بقوله: "ذَلِكَ الكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ". وإعمالا لقول الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - : "رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي"، فإنني ألتمس سعة الصدر والتوجيه من أعضاء لجنة المناقشة؛ لتدارك الأخطاء، وتصحيحها، حتى يكتمل البحث، ويظهر في أتم صورة.

التمهيد

بعض الملامح الجغرافية والتاريخية لنجد وحائل

أولاً: بعض الملامح الجغرافية لنجد وحائل :

لا ريب في أن البقاع تؤثر في الطباع، وموضوعنا هو دراسة تاريخية لمنطقتي نجد وحائل، وهما جزء من شبه الجزيرة العربية، وهي وحدة جغرافية متجانسة في جنوب غرب آسيا. تقع شبه الجزيرة العربية فلكيًّا بين دائرتي عرض 30 ،12 و12 ،32 شمالًا، وبين خطي طول 40، 34 و40، 58 شرقًا، أي أنها تمتد من الشمال إلى الجنوب في عشرين دائرة من دوائر العرض، وتمتد من الشرق إلى الغرب في أربعة وعشرين خطًّا من خطوط الطول، وهي بهذا تأخذ شكلًا مستطيلًا، وتبلغ مساحتها أكثر من مليون ميل مربع بقليل، ومن ثم فهي أكبر شبه جزيرة في العالم. أما عن أبعاد شبه هذه الجزيرة فيبلغ طول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة شمالًا حتى خليج عدن جنوبًا 1400 ميل، ويبلغ طول ساحلها الشرقي من رأس الخليج العربي شمالًا، حتى رأس الحد جنوبًا 1500 ميل، أما عرضها في أضيق نطاق بين البحر الأحمر والخليج العربي فهو 750 ميلًا، أما عرضها بين خليج عمان والبحر الأحمر، فيصل الاتساع إلى 1200 ميل، فكلما اتجهنا جنوبًا زاد اتساعها في العرض [1].

وتقع شبه الجزيرة العربية جغرافيًّا بين بادية الشام شمالًا، والبحر العربي وخليج عدن جنوبًا، وخليج عمان والخليج العربي شرقًا، والبحر الأحمر غربًا، وهكذا يبدو واضحًا أن المياه من ثلاثة جوانب فقط. وقد عرفها الجغرافيون العرب القدامى باسم جزيرة العرب ووصلوا بحدودها شمالًا حتى نهر الفرات، وإنما سميت جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار لها من جميع أقطارها وأطرارها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر[2]. وربما كان ذلك لأن مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات، ثم يعقد لها نهر الفرات والعاصي عند اقترابهما في أعالي الشام حدًّا من الماء[3].

هذا وقد قسم معظم الجغرافيين الرومان الذين كتبوا عن شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام، هي: العربية الصحراوية، والعربية الصخرية، والعربية السعيدة[4]. وأما الجغرافيون العرب فقد قسموا شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام، هي: تهامة، الحجاز، نجد، واليمامة، اليمن[5]. وما

يهمنا هنالك من تلك المدن مثل تبوك، ومدائن صالح، والعلا، والمدينة المنورة، والطائف، وفي هذه البقع الملائمة نسبيًّا تقوم الزراعة[6].

وقد ساعدت الأودية العرضية التي تجري في الحجاز على سهولة الاتصال بين داخل شبه الجزيرة العربية، والبحر الأحمر، ومن هذه الأودية، وادي الحمض الذي ينتهي إلى ميناء الوجه، ووادي الصفراء إلى المدينة المنورة، ووادي فاطمة إلى مكة المكرمة [7].

(1) جغرافية نجد:

نجد لغة: ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلب وغلظ، وجمعه أنجد، وأنجاد، ونجاد، ونجود، ونُجد[8].

ونجد اصطلاحًا: هضبة في وسط شبه الجزيرة العربية، تقع بين دائرتي 20 و28 شمالاً، وبين خطي طول 30 40 و30 47 شرقًا. ويحدها من الغرب جبال الحجاز، ومن الشرق صحراء الدهناء، ومن الشمال صحراء النفوذ، ومن الجنوب

صحراء الربع الخالي[9].

وهي تنحدر بشكل عام من الغرب والجنوب الغربي إلى الشمال والشمال الشرقي، أي في اتجاه الخليج العربي وسهول نهري دجلة والفرات، ويتراوح متوسط ارتفاعها بين 1640 – 2952 قدمًا فوق سطح البحر، وتبلغ مساحتها نحو 480 ألف كم^2. وهي هضبة متنوعة في سطحها، معقدة في تركيبها البنيوي، وقد تأثرت هضبة نجد بالتعرية المائية خلال العصر المطير؛ لذلك تقطع سطحها بعض الأودية التي أصبحت تتميز بالجفاف في الوقت الحاضر، ومن أمثلتها الأودية التالية، تيماء، حنيفة، سرحان، الباطن، حمض، الدواسر[10]. وقد كان لارتفاع نجد أثر واضح في سقوط قدر ضئيل من الأمطار الشتوية يسمح بنمو حشائش الإستبس التي تقوم عليها حياة الرعاة، وكذلك فإن المياه تتصرف نحو الأودية، وتتسرب حتى الطبقات غير المسامية ؛ فتظهر مرة أخرى في المنخفضات ومن ثم تقوم زراعة واحية كثيرة. [11]

(2) جغرافية حائل:

يطلق هذا الاسم بصورة رئيسة على الجزء الجبلي من أرض قبيلة شمر في الجزء الشمالي من وسط الجزيرة العربية، أي الإقليم الذي تشكل تلال آجا وسلمى معالمه الرئيسة. وتقع مدينة حائل عاصمة إمارة شمر بين هاتين السلسلتين. ومن هنا أصبح استعمال كلمتي جبل شكر أمرًا مرادفًا لديرة ابن رشيد، أي أن جميع الأملاك تقع تحت سيطرة هذا الأمير.

وحيث إن الإمارة التي تحكم في مدينة حائل تشكل وحدة سياسة؛ فإننا سنعالجها منفردة تحت العنوان العام "جبل شمر".

حدود جبل شمر:

وتمتد أملاك ابن الرشيد في الشمال إلى "حماد" - وهي جزء من الصحراء السورية – وتشمل واحة " جوف العامر " ووادي السرحان، ولكن الحدود في هذا الاتجاه غير محددة. ويمكن أن تعتبر قبائل الرولة والظفير في الشمال والشمال الشرقي مستقلة تمامًا عن الأمير. ولكن الشرارات يدينون له بالطاعة الاسمية. وتوجد تحت سيطرته منطقة النفوذ كلها، أو الصحراء الكبرى الشمالية التي يحتفظ فيها الأمير بمراكز في الحيانية وتربة. ولا يمتد نفوذه في الشرق أكثر من صحراء الدهناء. وفي الجنوب يشكل وادي الرمة الحد التقريبي لمنطقة نفوذ الأمير، ولكن في هذه الجهة يجب أن نستثنى جزءًا من القصيم الذي يقع هو والمدينة الرئيسة "بريدة" شمال الوادي، ويضم منتصف الطريق بين القصيم والمدينة، وهي منطقة كبيرة جنوبي وادي الرمة يسود فيها نفوذ الأمير، وإلى الغرب فإن خط تقسيم المياه بين البحر الأحمر ووسط الجزيرة العربية هو حدود أملاك الأمير تقريبًا، وتضم تيمة وجياة، ولكنها لا تشمل مدائن صالح أو خيبر. وتقع المدينة على بعد حوالي مائة ميل من حدوده الجنوبية الغربية.

المظاهر الطبيعية لجبل شمر:

وتتمثل في ممتلكات أمير حائل البعيدة؛ جوف العامر والقرى المتصلة بها، ووادي السرحان، والنفوذ، وواحة تيمة.

ويمكن أن يوصف الإقليم الأوسط من جبل شمر كهضبة جرانيتية بازلتية بارتفاع يتراوح من 3000 إلى 4000 قدم[12] تشكلها سلاسل جبال تتكون عادة من سهول حصوية ورمال في أجزاء مختلفة، ويتجه الإقليم كله نحو الجنوب إلى وادي الرمة. ويصرف سهل بطن بين جبل آجل وجبل

سلمى مياه الفيضان فيه إلى الصحراء الشمالية الشرقية حيث تضيع سريعًا. وتوجد ينابيع قليلة في التلال. ولكن لا يرى الماء الجاري في السهول. وتعتمد الحياة والزراعة على الآبار العميقة عادة، والماء صحي بوجه عام. وفي الشمال تمر المنطقة الوسطى لجبل شمر- وهي من الأحجار النارية - في رمال صحراء النفوذ. وتظهر في الشرق والجنوب الشرقي وخلال مرحلة انتقالية في رمال الدهناء والقصيم. وتمتد في الجنوب بدون انقطاع إلى ما بعد حدود شمر، ولها في الجنوب الغربي نهاية فريدة من نوعها في حرة خيبر. وفي الغرب تفسح مكانًا لمنطقة واسعة من الأحجار الرملية تصل إلى تيمة وما وراءها.

والمظاهر الرئيسية لجبل شمر هي سلسلة آجل وسلمى، و" شمر " مدينة لهما باسم الجبل والوادي الموجود بينهما والذي يسمى البطن. ويرد جبل آجل موضحًا تمامًا في مكان آخر، وهو كتلة كبيرة من الجرانيت طولها 75 ميلًا وارتفاعها 2000 قدم فوق السهل، وهو يحمي المنطقة من الجهة الشمالية الغربية من رمال النفوذ. وجبل سلمى وهو أيضًا موضوع مقال منفصل، هو صورة مصغرة لجبل آجا ومواز له، ويبعد عنه 30 ميلًا في الشرق: وسهل "البطن" الذي يقع بين الاثنين هو قلب إمارة شمر، وبه تقع العاصمة "حائل" ومدينة "قفار".

ثانيًا: لمحة في تاريخ نجد وحائل في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري:

تمخضت الأوضاع السياسية في نجد في أعقاب الحكم المصري في شبه جزيرة العرب عام 1256هـ/1840م، عن صراع سياسي بين الأميرين السعوديين، خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان، وتطور هذا النزاع حتى غدا حربًا أهلية شملت معظم قبائل نجد.

وكان لابد من أن نتطرق للبحث عن شخصية كل منهما؛ فخالد بن سعود هو أصغر إخوة عبد الله بن سعود، وهو من أم حبشية كانت من جواري القصر، فتزوجها أبوه سعود بن عبد العزيز(سعود الكبير). اتصف هذا الأمير بحدة ذكائه، ورقة شعوره[13]. كما أنه أسر على يد إبراهيم باشا عندما قام بغزو الدرعية عاصمة الموحدين[14] عام 1234هـ / 1818م ونقل إلى مصر ليعيش فيها مدة 18 عامًا.

وفي أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر جدد محمد علي باشا نشاطه في بلاد العرب، وعمد إلى أسلوب الدهاء السياسي الذي يستند على أساس تعيين الحكام المحليين- وخاصة من آل

سعود- كأداة لبسط نفوذه على بلاد العرب[15] " فاستعمل لهذه الغاية خالد بن سعود الذي عاش مدة طويلة في مصر، وجعل له راتبًا قدره "2500" قرش عثماني، وأنعم عليه "برتبة قائمقامية الشق الثاني من ديوانه، ومنحه وسام القائمقامية تقديرًا لكفاءته[16]. والحقيقة أن سلطة خالد في نجد لم تكن سوى سلطة اسمية، اختاره محمد على باشا ليعمل باسمه[17]. بل كانت السلطة الفعلية بيد حكمدار الدرعية. وهذا ما يؤكده التقرير البريطاني الذي أصدرته دار المعتمد البريطاني في الخليج فيقول " فأرسل خورشيد باشا سعد بن مطلق إلى رأس الخيمة؛ لإقناع شيوخ الساحل في عمان بالاعتراف بسلطة محمد على في الحقيقة، ولكن في الظاهر بسلطة الآلة التي في يده (أي خالد رئيس الوهابيين في الوقت الحاضر)"[18]. بيد أن الأمر انقلب على العكس تمامًا بعد انسحاب الجند المصريين من الأحساء ونجد، فقد تسلم خالد مقاليد السلطة الفعلية في البلاد النجدية بعد أن ودع القائد المصري. خورشيد باشا في مقر قيادته بقرية الشنانة (إحدى قرى منطقة القصيم) قبل سفره إلى مصر على أن يخضع لإشراف المحافظ الذي نصبه محمد على في المدينة المنورة[19].

أما عبد الله بن ثنيان، فهو من أبناء عمومة الأمير خالد بن سعود، وجده البعيد ثنيان أخ لـ "محمد بن سعود" الجد البعيد لخالد بن سعود، والمؤسس الأول للدولة السعودية الأولى[20]. لذا فإن ثنيان مطالب شرعي في الحكم، أضف إلى ذلك التأييد الشعبي له من قبائل نجد الجنوبية، ومن آل الشيخ (لقب نجدي لأسرة ابن عبد الوهاب). فيبدو أن لهذين السببين أثرًا كبيرًا في قيام ثورة ابن ثنيان. وبالتالي تفوقه على منافسه خالد بن سعود أمير نجد وقتذاك. وأول ظهوره على مسرح السياسة في نجد، كان بعد غزوة البياض التي رافق فيها الأمير خالد بن سعود؛ لتأديب ثورةآل شمر عام 1257هـ/1840م[21]، "وتنحصر أهمية هذه الحملة في أن قائدها خالد بن سعود صحب معه عبد الله بن ثنيان الذي يذكر لأول مرة في تاريخ نجد"[22] ، ومما يذكر عنه أنه كان متدينًا ورجل عقيدة.

وفي الوقت نفسه اتصف بالثبات[23]. كما أنه كان شجاعًا وذا مراس في الغزو "ويبدو أن عبد الله بن ثنيان كان يتمتع ببعض مزايا تركي بن عبد الله العسكرية"[24]. وكان لهذه الصفات أثر بعيد في تأييد أهالي نجد له، وانفضاضهم من حول منافسة خالد ابن سعود.

وأما عن أسباب الفتنة، فمع أن المصادر لم تشر إليها، إلا أن المتتبع لدراسة تاريخ نجد في هذه الحقبة، يستشف من حوادثه عدة أسباب تعتبر من أهم دوافعها؛ فيبدو أن السبب الأول للفتنة القائمة بين خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان يعود إلى الخلاف بينهما حول أسلوب الحكم وفلسفته.

فخالد بن سعود يأخذ بمبدأ التبعية السياسية في الحكم[25]، ويرى الخروج عن الأسلوب التقليدي الذي سارت عليه الدولة السعودية الأولى في حكمها للبلاد. بينما يرى منافسه ابن ثنيان عكس ذلك، فهو يمثل القوى النجدية التي تدعو للتخلص من التبعية السياسية في الحكم، وتطالب بالاستقلال تحت زعامة آل سعود[26]. ويشير المستر فرينل "Frinell" (الوكيل القنصلي في جدة آنذاك) إلى مدى تمسك القبائل العربية بالاستقلال بقوله " إن سلطة محمد على برمتها ما كانت لتستطيع إخضاع القبائل العربية، وعلى الوالي أن يهنئ نفسه؛ لأنه استطاع أن يجد ذريعة ملائمة لسحب قواته من داخل البلاد التي كانت شديدة التمسك بالاستقلال، ولا تتحمل أية قوات احتلال في أرجائها"[27].

والسبب الثاني مستوحى من البيئة، فخالد بن سعود عاش 18 سنة في مصر، وقضى بعضها في كنف محمد على باشا[28]، فكان لهذا أثره على تفكيره ونمط معاشه، وبالتالي على نفسيته "وجاء يحكم نجدًا حكمًا عصريًّا، فنفر النجديون منه وعدوه أجنبيًّا[29]" ، بينما كان ابن ثنيان يعيش في بيئة بدوية، تسودها تعاليم الدعوة السلفية (دعوة ابن عبد الوهاب)، التي تعد في حد ذاتها تحديًا دينيًّا للمبادئ الصوفية المنتشرة في ربوع البلاد العثمانية ودويلاتها، كالآخية[(1)]، والبكتاشية[30]، وغيرهما، وعلى هذا يمكن القول إن للبيئة أثرًا هامًا في حدوث الفتنة، والسبب الأخير وهو سيكولوجي "Psychology" يعود لحب خالد ومنافسة ابن ثنيان في تسلم مقاليد الزعامة السياسية في بلاد نجد؛ فادعى كل منهما حق الأولوية في الحكم، فخالد يطالب بالحكم لأنه الوريث الشرعي لأخية عبد الله بن سعود. وادعى ابن ثنيان أنه أولى بالعرش من خالد بن سعود؛ لأنه أنقى نسبًا منه، فهو من أب وأم من آل سعود، بعكس خالد؛ فأمه جارية حبشية. وكانت قاعدة النسب هذه تلقى استجابة قوية عند النجديين المتزمتين في الحفاظ على نقاوة أنسابهم، أضف إلى ذلك أن ابن ثنيان أخذ يضرب على نغمة العاطفة الوطنية؛ فوعد الأهالي بتخليصهم من حكم محمد علي[31] وادعى أنه ينوب في الحكم عن فيصل بن تركي[32]، الذي أسره خورشيد باشا عام 1254هـ/ 1838م [33].

ومرت الفتنة بمرحلتين، أولاهما مرحلة المفاوضات السلمية، والثانية مرحلة الاشتباك المسلح. فعندما شك خالد بن سعود في نية ابن ثنيان في الثورة عليه، بدأ يراقبه عن كثب[34]. وكان كلما ذهب إلى غزوة طلب منه مرافقته، فرافقه في حملة البياض ضد آل شمر – كما ذكرنا سابقاً -، ودعاه للسفر معه إلى الشنانة لوداع القائد المصري خورشيد باشا[35]، الذي عزم على السفر إلى مصر بعد أن صدرت إليه الأوامر من الحكومة المصرية في أواخر 1257هـ / 1840م. ومع أن

ابن ثنيان اعتذر متعللًا بالمرض، إلا أن خالد بن سعود أصر عليه، فرافقه ابن ثنيان مكرهًا، ولكنه أثناء الطريق انسل من القافلة هاربًا إلى البصرة. وكانت تسكن البصرة عشائر المنتفق، وهناك طلب ابن ثنيان حق الحماية من رئيسها عيسى بن محمد السعدون في صيف عام 1257هـ / 1840م [36].

وهنا يتساءل الباحث عن العلاقة التي تربط بين ابن ثنيان وعشائر المنتفق حتى يلتجئ ابن ثنيان عندها؟.

يبدو أن وحدة الهدف- وهو مناوأة الدولة العثمانية للحصول على الاستقلال- كانت من أهم دواعي التقارب بين الطرفين[37]، لاسيما وأن عشائر المنتفق وقبائل نجد كانت بينهما صلة قرابة؛ لأن نسبة عالية من عشائر المنتفق تعود في أصولها إلى قبائل عربية كانت تقطن بنجد وأماكن أخرى من شبه جزيرة العرب[38]. أضف إليه ذا حق قانون اللجوء السياسي (الدخالة) المتعارف عليه عند قبائل العرب، ومدى تمسك هذه القبائل في الحفاظ عليه. وبعد عودة خالد بن سعود من بلدة الشنانة إلى الرياض؛ دارت بينه وبين ابن ثنيان عدة مراسلات حول إعطاء الأمان للأخير، الذي كان لا يزال في البصرة، وأسفرت المفاوضات عن موافقة ابن ثنيان على العودة إلى الرياض، بعد أن حصل على وعود من خالد تؤكد له المودة والصداقة[39]، " وعاد عبد الله بن ثنيان إلى نجد بعد أن مكث عند قبائل المنتفق عدة أسابيع[40]. وقبل وصوله إلى مدينة الرياض، وفي مكان يدعى البنية (إحدى حلل الرياض آنذاك)، شك عبد الله بن ثنيان في صدق وعد خالد بن سعود، ورأى أنه من الأفضل- وحفظًا لسلامته- أن يرسل أحد أعوانه؛ ليستطلع له- بأسلوب سري- مدى صدق خالد في وعوده"، وعاد الرسول من الرياض إلى مقر ابن ثنيان وأخبره بما في الأمر من دهاء[41] ؛ فاتجه إلى بلدة قريبة من الرياض تقع إلى الجنوب الشرقي منها وهي بلدة حائر سبيع، وهناك التجأ عند راشد بن جفران رئيس قبائل سبيع، وكانت بينهما مصاهرة[42]، ويبدو أن راشد بن جفران هو الذي عرض مساعدته على عبد الله بن ثنيان[43]، وهكذا تشكلت ثورة ابن ثنيان الحقيقية، وظهرت بشكلها الواضح، وغدت بلدة حائر سبيع مركزًا لانطلاق الثورة المذكورة، أضف إلى هذا أن رئيس البلدة كان من أقوى أعوان ابن ثنيان. وبوصول ابن ثنيان إلى بلدة حائر سبيع، تبدأ المرحلة الثانية من الفتنة، وهي مرحلة التصادم المسلح؛ حيث بدأ عبد الله بن ثنيان يدعو الناس لتأييده، وكتب بذلك إلى أهالي الحوطة والحريق والحلوة (أهالي جنوب نجد)، وبيَّن لهم ساسته الرامية إلى تخليص البلاد من سلطان الأتراك وحامياتهم. واستخدم نفوذ الشيوخ الذين كانوا لاجئين هناك، كرهًا في البقاء تحت سلطة حاميتها التركية[44] ، كأداة لدعم ثورته؛ لأنهم كانوا أصحاب السلطة الدينية المطاعة في البلاد.

ومما شجع النجديين على تأييد عبد الله بن ثنيان إعلانه لهم أنه سيحكم البلاد نائبًا عن الإمام فيصل بن تركي[45]، الذي كان محبوبًا عند أهالي نجد؛ لأنه لم يستعن بأية سلطة أجنبية من خارج البلاد. [46]

ويبدو أن خالد عمد للمرة الثانية لاستعمال الحيلة والدهاء، ولجأ لحل الخلاف بالطرق الدبلوماسية السلمية حتى يتمكن من خصمه، ولهذه الغاية وسَّط بعض رؤساء قبيلة سبيع الموالين له[47]، ولكن الوساطة لم تنجح؛ لأن عبد الله بن ثنيان صمم على الحرب. وهكذا فقد تكوَّن في بلاد نجد حلفان من القوى الاجتماعية المتنازعة؛ الأول من قبيلة سبيع وقبائل الجنوب وأهالي الحوطة والحلوة والحريق والفرعة، وكان هذا الحلف بزعامة خالد بن سعود[48]، تسانده حاميات من الجند غير النظاميين الذين تركهم خورشيد باشا في نجد بعد سفره إلى مصر. ويبدو أن حلف خالد بن سعود كان في البداية أقوى من حلف ابن ثنيان؛ لأن خالد أصبح الحاكم الفعلي في البلاد بعد انسحاب جند محمد على من الأحساء ونجد[49]. وكان لديه بعض الأسلحة الحديثة نسبيًّا مع بعض المدافع، أضف إلى ذلك أن جماعته كانت أكثر تنظيمًا، بخاصة أنه كان يعتمد على قوة من الجنود النظاميين الذين تمركزوا في أنحاء البلاد، ومن قوة خارجية مرابطة في الحجاز تحت إشراف محافظ المدينة. ويبدو أن بقاء الحاميات في نجد كان يهدف إلى أشياء كثيرة منها دعم مركز نائبهم خالد ابن سعود، وضمان ولائه لدولة محمد علي، وتكون في المتسقبل طلائع جيشه إذا ما استطاع إعادة سلطته في بلاد العرب.

ولمَّا تمكن ابن ثنيان من جمع أنصاره تقدم من بلدة حائر سبيع إلى بلدة المزاحميات[50]. يرافقه حوالي 60 رجلًا بعضهم من بدو آل شمر [51] الناقمين على خالد بن سعود، وبعضهم الآخر من أهالي بلدة سبيع، ودخلوا البلدة دون مقاومة تذكر. ومنها اتجهت قوات ابن ثنيان التي تجمعت فيما بعد إلى بلدة ضرماء (تقع غرب الرياض)، وكانت فيها حامية من بقايا جند محمد على باشا الذين أبقاهم خورشيد تحت زعامة خالد بن سعود، وطلب عبد الله بن ثنيان من أميرها على بن عبد الله ابن عبد الرحمن الطاعة، لكن الأهالي رفضوا ذلك، وربما يعود ذلك إلى خوفهم من الحامية الموجودة في البلدة، أو ربما يعود إلى شدة ولائهم إلى خالد بن سعود، واشتبكت قوات ابن ثنيان مع الأهالي والحامية، وانتهى الأمر باستسلام الحامية والأهالي على شروط منها؛ أن تنسحب الحامية إلى ثرمدا لتلتحق ببقايا الجند هناك، وأن تفتح البلدة أبوابها لابن ثنيان مقابل أن يحصل الأهالي على أمان منه على أرواحهم وأموالهم. ودخل بذلك ابن ثنيان البلدة بعد أن انسحبت الحامية منها، إلا أن ابن ثنيان لم ينفذ وعوده بل أمر بإعدام أحد زعماء البلدة الذي يدعى " الصائغ ". وصادر أمواله[52]، " كمقدمة

لتطبيق الأساليب الجديدة، يعني أسلوب الشدة في الحكم ليركز دعائم حكمه؛ لذا قام بعملية إرهاب كبيرة غايته منها؛ تطهير صفوف الأهالي من المقاومين لثورته والمؤيدين لخصمه خالد بن سعود.

ونتج عن فتح ابن ثنيان لبلدة ضرماء عدة نتائج هامة، فقد تقوت جبهته الداخلية، بعد أن فتح البلدة، وأنهى عملية المقاومة فيها، ويكون كذلك قد أوجد حزامًا من الجنوب والغرب يطوِّق مدينة الرياض مركز المقاومة، كما أن نجاحه زاد من معنوياته، وكان حافزًا له لمواصلة الثورة ضد خالد من جهة، وضد الحاميات الباقية من جهة أخرى؛ تنفيذًا لسياسته الرامية إلى تخليص البلاد من سلطان الأتراك وحامياتهم[53]. وأهم نتيجة هي قرار خالد بن سعود من الرياض إلى الأحساء في عام 1257هـ/1841م[54]، كدليل قوي على عدم جدوى المقاومة، وبخاصة بعد أن عرف ضعف استجابة جماعته لحرب ابن ثنيان عندما طلب منهم ذلك إذ " تثاقلوا عليه، ولم يأته إلا أهل الخرج وأهل سدير وقليل من أهل المحمل وغيرهم "[55]. وقبل فرار خالد من الرياض أجرى تنظيمات داخلية، فعين عمر بن عفيصان قائدًا لحامية الرياض، وحمد بن عياف أميرًا عليها. وهكذا انتهت المقاومة الصلبة ضد ثورة ابن ثنيان.

وعند وصول الأمير خالد بن سعود إلى الأحساء، ظن المعتمد البريطاني في الخليج أن قدومه إلى الأحساء بداية تدخل سعودي جديد في مناطق ساحل الخليج، وبخاصة أن المعتمد البريطاني كان يعلم تمامًا أن حكم خالد بن سعود، هو امتداد لحكم محمد على باشا في بلاد العرب؛ لذا أوفد اللفتنانت (جوب Goop) إلى الأحساء، كمبعوث عنه ليوضح للأمير السعودي وجهة نظره المعارضة لأطماعه في المنطقة[56]. ويبدو أن ما قام به المعتمد البريطاني كان تصرفًا فرديًّا دون الرجوع إلى حكومته؛ لأن حكومة بريطانيا في الهند لم توافق على تتبع الأمير السعودي بالدقة التي تتبعت بها نفوذ محمد على باشا "[57]، ولمَّا علمت بما تصرف به معتمدها أبدت عدم رضاها، وشكت في لياقته[58]. والحقيقة لم يكن خالد بن سعود يحلم بما ظنه المعتمد البريطاني؛ لأنه أصبح ضعيفًا بعد قيام ثورة ابن ثنيان ونجاحها الجزئي. [59]

وبعد فرار خالد حاصر ابن ثنيان أعداءه من جهة الشمال، فاتصل بالأمير حمد بن مبارك في بلدة حريملاء، وبالأمير سعد بن محمد بن يحيي في المحمل، وطلب منهما تأييد ثورته، لكنهما أعلنا الحياد، بعكس موقف بلدتي العمارية وأبا الكباش، فقد أرسلتا قوات من المتطوعين لمساعدته. وبهذا يكون ابن ثنيان قد كسب تأييد الشمال وحياده، وبعدها اتجه بقواته إلى بلدة عرقة (إحدى قرى

الرياض)، التي حصنها حمد بن عياف أمير الرياض آنذاك؛ مما جعل عبد الله بن ثنيان ينتظر النجدة القادمة من بلدة الحريق التي كانت بقيادة سعد بن تركي الهزاني، ولما وصلت النجدة حاصر ابن ثنيان عرقة وفتحها عنوة، وأمر جنوده بنهبها، ولم ينجُ من النهب سوى محل يدعى بالصنع، بسبب تأييدهم له سرًّا. ثم طلب من عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد أمير بلدة منفوحة (إحدى قرى الرياض) الولاء، فوافقه هذا في الحال؛ لأنه يعلم تمامًا بعدم جدوى المقاومة. [60]

وقد انتدب ابن ثنيان 30 فارسًا من فرسانه، وأمرهم بالتوجه إلى بلدة منفوحة، وكانوا بقيادة راشد بن جفران أمير بلدة حائر سبيع، ويرافقه أمير ضرماء، ودخلت السرية منفوحة سلمًا. ولما علم ابن ثنيان باستسلام منفوحة، توجه بجميع قواته ودخلها[61]. وأخذ عبد الله بن ثنيان يعد العدة لفتح مدينة الرياض مركز المقاومة الأخير، وكان أهلها قد ذعروا من دخول ابن ثنيان منفوحة، فاتصلوا بخالد بن سعود في الأحساء وطلبوا منه النجدة، ولكن دون جدوى؛ فاضطر بعض زعماء الرياض إلى السفر إلى الأحساء لمقابلة خالد بن سعود، وعرضوا عليه مطلبين؛ إما أن يرسل نجدة عسكرية من أهالي الأحساء للدفاع عن مدينة الرياض، وإما أن يقبل بالتنازل لابن ثنيان، فوافق على الطلب الأول، وأرسل 300 هجان و500 راجل[62]، بقيادة العبد زويد أحد معاوني خالد، واشتركت النجدة مع قوات الرياض في الدفاع عن المدينة ضد هجوم قوات ابن ثنيان عليها. وكان النصر في بداية المعركة لقوات خالد بن سعود. ويعود هذا لكثرة قوات الدفاع عن المدينة التي تزيد كثيرًا على قوات ابن ثنيان، ولديها من الأسلحة والعتاد والمؤن ما يفوق في كميته ما عند القوات المهاجمة، خاصة وأنها تمتلك بعض المدافع التركية التي لم تكن متوافرة عند قوات ابن ثنيان، و لكن دراسة ابن ثنيان ومراسه العسكري قلبا الهزيمة إلى نصر؛ ففي الليل أمر قواته بالتظاهر بالانسحاب من المعركة والتسلل إلى أحياء الدخنة المجاورة للرياض ـ ويبدو أن ابن ثنيان استمال أهلها بدهائه وشدته. وفي هذا المكان كمنت قواته، واغتنمت فرصة عودة قوات الرياض الظافرة[63] وهي مستسلمة لنشوة النصر، ولم تكن قد أخذت من الحيطة ما يمكنها من الدفاع ضد القوات المتسترة تحت جنح الظلام، ونشب القتال من جديد وانتصرت قوات ابن ثنيان، وانقلبت الهزيمة إلى نصر ساحق. ومن الجدير بالذكر أن أسباب النصر تعود لمزايا عبد الله بن ثنيان العسكرية، وقدرته على التخطيط؛ فقد وزع قواته في أحياء الرياض بشكل سري في الليل، ووضع حامية في العمارية، وأخرى في أبا الكباش، وثالثة في منفوحة ورابعة في المرابيع[64]. وإلى عامل آخر هو عامل المفاجأة، وتحين الظرف المناسب. أضف إلى ذلك وجود ابن ثنيان على رأس جنده في المعركة، يقاتل بينهم حتى إنه أصيب

في رأسه أثناء المعركة. لكنه استطاع قتل الأبعج قائد حامية الرياض[65]، فكان لهذا أثر كبير في إرباك صفوف أعدائه، بعكس خالد بن سعود الذي كان بعيدًا عن ميدان المعركة في الأحساء؛ مما حدا بالمؤرخين المعاصرين للحوادث أن يأخذوا عليه مأخذ الجبن[66]

وبعد فتح مدينة الرياض استولت قوات ابن ثنيان على مراكز المقاومة في المدينة، واستسلمت الحامية المصرية فيها على " شروط سخية "[67]، منها مغادرة المدينة في الحال، ومعهم كل ما يملكون من أسلحة وعتاد وأموال وأمتعة. فانهارت بذلك المقاومة الصلبة ضد ثورة عبد الله ابن ثنيان. فغدا يسيطر على مركز ثقل البلاد. وكانت المعركة هذه نهاية حكم خالد بن سعود إلى الأبد وبداية حكم سعودي جديد بزعامة عبد الله بن ثنيان، وكانت بداية لتوسع سعودي في المناطق الشرقية من شبه جزيرة العرب، وبخاصة أن هذه المناطق كانت تتبع الدولة السعودية الأولى، وظهرت أساليب جديدة في الحكم، وتنظيمات جديدة في إدارة الأقاليم النجدية تخالف تمامًا أساليب الحكم السابقة، وسادت بلاد نجد فترة من الاستقرار النسبي؛ كانت عاملًا من عوامل التوازن الاقتصادي في البلاد، وهكذا أصبح عبد الله بن ثنيان "سيد نجد بلا منازع"[68] ، وبدت الوفود تتقاطر على مدينة الرياض تؤكد ولاءها له، وأعلن للجميع أنه لن يتغاضى عن أي اضطراب يحدث في الأقاليم[69]. وبدأ ينتهج سياسة الشدة ليركز دعائم حكمه، فأمر بإعدام عدد من الشخصيات البارزة في البلاد، لا لشيء سوى أن لها دورًا كبيرًا في معارضة ثورته. فأعدم سعد بن دغيثر وهو من زعماء البلاد المعروفين، وكان وكيلًا لخالد بن سعود في مدينة الرياض بعد فراره إلى الأحساء[70]، وأعدم العبد زويد قائد النجدة العسكرية التي أرسلها خالد ابن سعود لمساعدة قواته في الرياض، والاثنان من أقوى أعوان خالد بن سعود[71]. ووجه ضرباته الانتقامية ضد المعارضين الباقين، فاختار من سدير خمسة من زعمائها وأمر بإعدامهم، ونفذ الحكم في ثلاثة وفر اثنان منهم، عقابًا لهم بسبب الدور الذي أدَّوه بجانب خالد، ومساعدتهم له في تنظيم صفوف المعارضة، وتنظيم الإدارة في الأقاليم[72]، وطلب من أهالي بلدة المجمعة أن يعيدوا بناء قلعتهم التي هدمها خالد ابن سعود، ولكي يضمن سير العمل أمر بأخذ خمسة من زعمائهم كرهائن عنده حتى يتموا بناء القلعة، فنفذ الأهالي أوامره في الحال، وعين على المنطقة عبد العزيز بن مشاري بن عياف حاكمًا. وأصدر أوامره بعزل الزعماء المحليين لإقليم الدواسر، واعتبرهم مسئولين عن أعمال الشغب والفوضى في الإقليم أثناء فترة النزاع، ووجه لهم تهمة الشغب في تدبير شئون الإقليم. وعزل الحاكم الإداري في الإقليم

"محمد بن جلاجل"، وعين بدلًا منه عبد الرحمن بن عبيقان حاكمًا مطلق الصلاحية في الوادي[73]. فكانت عمليات القمع هذه قد حدت بالمؤرخين إلى القول عنه " سفَّاكًا للدماء" [74].

نلاحظ مما تقدم أن طرق الغزو لا تختلف كثيرًا عن التكتيك الحربي الحديث؛ فكلاهما يعتمد على التخطيط، وعامل المباغتة، واستدراج العدو، وكسب الحلفاء والمؤيدين.

وأما عن نتائج الفتنة بشكل عام فكانت نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية. أما عن النتائج السياسية؛ فقد ظهر حكم جديد في نجد بزعامة عبد الله بن ثنيان، وكان هذا الحكم يعتبر مقدمة لتأسيس الدولة السعودية الثانية. كما أن عبد الله بن ثنيان نشط لاسترداد السيادة السعودية في مناطق الخليج العربي (الفارسي)[75]، " ومهما بلغ أمير السعوديين(ابن ثنيان) من الضعف فإن كرامته كانت تقتضي- في هذه الفترة- أن يثبت على مطالبه في السيادة على عمان"[76]. وهذا ما حدا ببريطانيا أن تراقب- عن كثب- محاولات عبد الله بن ثنيان الرامية إلى إعادة السلطة السعودية في الخليج[77]. كما أن الفتنة أفسحت المجال أمام ابن ثنيان ليطبق أساليب جديدة في الحكم والإدارة.

وأما عن النتائج الاقتصادية للفتنة؛ فبالإضافة إلى فقر البلاد الطبيعي وجفافها- على الرغم مما يتخللها من واحات، كواحات القصيم وسدير والعارض والحريق، والأفلاج ووادي الدواسر[78] - فإن المرافق الاقتصادية في نجد قد تعطلت؛ لأن الغزو زاد نسبة الضرائب، وامتص عددًا كبيرًا من الأيدي العاملة، ورفع قيمة العملة وزاد من الفقر، وانتشرت المجاعات وارتفعت الأسعار؛ وما الحياة الاقتصادية إلا مرآة ينعكس عليها الاستقرار السياسي.

وأما الآثار الاجتماعية للفتنة؛ فإن النجديين عانوا كثيرًا من ويلات الغزو، زد على ذلك ما كان يصحب جمع الضرائب من قسوة؛ كانت مأخذًا على حكم ابن ثنيان فيما بعد[79]، وخير مثال على هذا ما حدث في إقليم الدواسر أثناء الفتنة من فوضى؛ نتيجة لضعف السلطة المركزية في الرياض. كما أن الفتنة مكنت لروح العداوة بين أفراد المجتمع النجدي، وأعادت إلى الأذهان ويلات الغزوات التي قامت بها الدولة السعودية؛ للقضاء على البدع والخرافات التي سادت المجتمع النجدي قبل ظهور حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[80]. لكنها في الوقت ذاته حاولت جمع القبائل والعمل على توحيدها ولقد كان لروح العداوة هذه أثر كبير في انقسام أهالي نجد فيما بعد.

أما عن عوامل نجاح ثورة ابن ثنيان فهي تتلخص في التالي :-

أولاً: انسحاب قوات محمد على باشا المؤيدة للأمير خالد بن سعود من جزيرة العرب، ثم فرار خالد بن سعود من الرياض مركز المقاومة إلى الأحساء في شعبان 1257هـ/ أواخر عام 1840م، وبذلك أصبح منصب إمارة نجد شاغرًا أمام ابن ثنيان، أضف إلى ذلك عدم تماسك جبهة خالد ابن سعود، وبخاصة أن مؤيديه تثاقلوا عليه لمَّا دعاهم لحرب خصمه.

ثانيًا: تأييد أهالي جنوب نجد لثورة ابن ثنيان، وحماية راشد بن جفران رئيس بلدة سبيع له. زد على ذلك ما اتصف به ابن ثنيان من شجاعة ومراس حربي، تجلى ذلك في مخططاته العسكرية لفتح مدينة الرياض، وقتله الأبعج قائد حاميتها، هذا بالإضافة إلى معاملة ابن ثنيان الحسنة لقواته؛ فقد كان يشاركهم بنفسه في الحروب، ثم يوزع عليهم العطايا والغنائم لاستمالتهم [81].

لمحة في تاريخ حائل:

ينتسب آل رشيد إلى جدهم رشيد بن خليل، وخليل وعلي الذي منه آل على أخوان، وهم من آل جعفر من عبده من قحطان، فقد انتقلت عبده من الجنوب وانضمت إلى شمر، وشمر بطن من طي، ويعتبر ابن على أقدم وأكبر شيوخ عبده.

وتتكون شمر من ثلاثة عشائر هي زوبع وعبده والأسلم. وعبده تنقسم إلى أربعة بطون، منها الجعفر: الذي منهم ابن على وابن رشيد. ومن العشائر المشهورة في شمر: الجربا أكبر شيوخ شمر وهو من زايده من زوبع، والتمياط شيخ التومان من سنجارة من زوبع، وابن طواله من الأسلم، وابن شريم من إلى حيا من عبده.

وفي عهد الإمام سعود الكبير كان أمير حائل الجربا الذي هزمه الإمام سعود؛ فرحل إلى العراق، ثم عين الإمام على حائل أميرًا على آل علي، وقرَّب منه رجال هذه العائلة، ثم تولى بعدهم آل رشيد الذين استمر حكمهم تسعين عامًا، منذ تعيين فيصل بن تركي لعبد الله بن رشيد أميرًا على حائل سنة 1251هـ /1835م وحتى فتح حائل سنة 1340هـ / 1921م [82].

وكانت منطقة جبل شمر تسمى قديمًا جبل طي، وكان أكثر سكان المنطقة من قبيلتي شمر وتميم، ونظرًا لأن بادية قبيلة شمر كانت هي المسيطرة على مراعي المنطقة؛ فمن المرجح أنهم كانوا أكثر عددًا، وكان زعيم شمر في حائل ينتمي إلى عشيرة عبده التي كانت تسكن شرق منطقة عسير- جهة وادي تثليث قديمًا- ثم انتقلت إلى هذه المنطقة، وانتزعت سيادة أجزاء منها من زعمائها

الأولين، وأجبرت بعضهم على مغادرتها، ومن بين أولئك الذين غادروها زعيم يقال له بهيج، وفي ذلك يقول شاعر من شمر:

قبلك بهيج حدروه السناعيس   من عقده اللي ما يحدر قناها

كان الحكم لزعماء عبده آل علي، وكانوا قد بنوا لهم قصرًا للحكم في حائل، هو قصر برزان الشهير الذي أصبح فيما بعد لآل رشيد، بينما كانت زعامة بادية شمر للجربا [83].

وكان أول احتكاك بين الدرعية وقبيلة شمر عام 1196هـ/ 1782م عند اشتراك شمر مع حاكم الأحساء سعدون بن عريعر في حصار بريده (كان حاكم بريده حجيلان بن حمد – من العناقر من تميم – تابعًا للدرعية ومن المؤيدين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى انهيار الدرعية سنة 1233هـ/1818م حيث نقله إبراهيم باشا معه إلى المدينة وتوفي هناك)[84]، وبعد خمس سنوات من ذلك الحصار غزا حجيلان قبيلة شمر، ودعاهم إلى اتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة 1201هـ فاقتنع آل على بالدعوة، وأيدوا حجيلان في مسعاه.

وفي سنة 1205هـ قام بعض الشمريين من الجربا بالانضمام إلى شريف مكة، حيث هاجم مناطق نفوذ الدرعية، ولمَّا عاد الشريف قام الأمير سعود بن عبد العزيز بمحاربتهم وكان قائدهم مسلط بن مطلق الجربا الذي كان مصممًا على قتل الأمير سعود، ولكنه قتل وانهزم والده مطلق الجربا، ولجأ إلى العراق واستقر هناك في منطقة الجزيرة "جزيرة شمر"، وقد قتل مطلق بعد ذلك في حربه مع الأمير سعود.

بقيت حائل تابعة للدولة السعودية حتى غزا إبراهيم باشا الدرعية، وقام بقتل المؤيدين للدولة السعودية، وكان من بينهم حاكم حائل محمد بن عبد المحسن العلي، الذي يلتقي في نسبه مع آل رشيد في عطيه آل جعفر، وتولى حكم حائل أخوه صالح العلي، ثم عادت حائل مرة أخرى إلى الحكم السعودي في عهد فيصل بن تركي الذي عزل صالح آل علي، وعين صديقه عبد الله ابن رشيد.

(1) عبد الله الرشيد (1251 – 1263هـ / 1855 – 1847م)

هو عبد الله بن على بن رشيد، ولد في عام 1402هـ / 1790م ونشأ في كنف والديه مع إخوته عبيج وعبد العزيز وشقيقتهم نورة، ومما تذكره المصادر عن على والد عبد الله أنه كان متدينًا

وكان جابيًا للزكاة في عهد الإمام سعود الكبير، وأن جبر بن عبد الله كان رئيسًا لكتبة الإمام ومحل ثقته، وقد تميز عبد الله منذ الصغر بالطموح والتطلع إلى الرئاسة، ولعل ذلك هو الذي دفع به إلى الزواج من ابنة محمد بن عبد المحسن بن على حاكم حائل [85].

وقد شعر حاكم الجبل آنذاك- صالح بن عبد المحسن بن علي- بخطر عبد الله بن رشيد؛ فنفاه مع أخيه عبيد من حائل في عام 1235هـ / 1820م فتوجه عبد الله إلى العراق، واستقر بها فترة من الزمن، وشارك في بعض معارك شمر العراق مع خصومهم، وأظهر من النشاط والذكاء ما أكسبه ثقة الوالي العثماني، ثم انتقل إلى الرياض والتحق بالإمام تركي بن عبد الله، وصار أحد المقربين من ابنه فيصل ورفيقه في غزواته.

وعندما اغتيل الأمام تركي في عام 1249هـ / 1834م بمؤامرة دبرها مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري، كان فيصل بن تركي في غزوة بالقطيف، وعندما بلغه الأمر سارع بالعودة إلى الرياض ومعه عبد الله بن رشيد، فحاصر مشاري في قصر الحكم، وقاد عبد الله بن رشيد مجموعة من الرجال في اقتحام القصر، وقتلوا مشاري وعددًا من رجاله، وذلك في الحادي عشر من شهر صفر 1250هـ / الثامن عشر من يونيه 1834م، وأصيب عبد الله في يده إصابة شوهتها، فلما رأى فيصل جراحه قال له اطلب ما تريد؛ فطلب أن يؤمره على حائل، فاستجاب لطلبه، وعينه أميرًا عليها بعد أن عزل الحاكم السابق صالح بن عبد المحسن آل على في عام 1251هـ / 1835م.

واجه عبد الله بن رشيد بعض المصاعب عندما تولى الإمارة، وكان مصدر هذه المصاعب الأمير السابق صالح آل علي؛ الذي حاول الاستعانة بالعثمانيين في استعادة إمارته، وظل يشكل مصدر قلق حتى قتله عبيد بن رشيد وهو في طريقه إلى المدينة المنورة، ونجا من القتل أحد آل على اسمه عيسى تمكن من الهروب والوصول إلى المدينة المنورة، حيث لقي التأييد من واليها العثماني [(2)].

كما تعرض عبد الله بن رشيد إلى بعض المشاكل مع الدولة العثمانية ممثلة بواليها محمد على الذي أرسل حملة في عام 1252هـ / 1836 بقيادة إسماعيل بك، ومعه خالد بن سعود أخو الإمام عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى، ونجح عيسى بن على في الحصول على تأييد إسماعيل بك الذي أرسل فرقة عسكرية معه إلى حائل؛ لقتال ابن رشيد وتثبيته في الإمارة، غير

أن عبد الله بن رشيد علم بالحملة؛ فخرج مع أسرته وبعض مؤيديه من حائل، وتوجه إلى بلدة جبة، ودخل عيسى بن على حائل، وأصبح أميرًا عليها في محرم 1253هـ / إبريل 1837م.

لم تبق الفرقة العسكرية في حائل طويلًا، إذ سرعان ما عادت إلى القصيم، وبقي مائة جندي من العثمانيين عند عيسى بن على مما أضعف موقفه، فتوجه عبد الله بن رشيد مع أخيه عبيد وأعوانهما من بلدة جبة إلى بلدة قفار، واتخذاها مركزًا لمقاومة عيسى آل علي [86].

وفي تلك الأثناء من عام 1253هـ/ 1837م أُرسلت حملة عسكرية بقيادة خورشيد باشا من مصر؛ لتعزيز القوات العثمانية في نجد، انطلقت من المدينة المنورة، ولما علم عبد الله بن رشيد بحكم تجربته وخبرته أنه لا يمكن مقاومة تلك الحملة- خاصة بعد تخاذل أهل نجد عن نصرة الإمام فيصل بن تركي- غادر بلدة قفار إلى المدينة المنورة؛ لملاقاة قائد الحملة خورشيد باشا، والتفاوض معه، وطلب عونه في العودة إلى إمارته، وكان ذلك في شهر رجب 1253هـ/ أكتوبر1837م، واستطاع عبد الله بن رشيد أن يكسب ثقة خورشيد باشا، وبدأ التعاون بينهما بأن كلفه خورشيد باشا بتأمين الإبل اللازمة لنقل جنود الحملة وإمداداتها إلى نجد، ووعده في المقابل بتمكينه من إمارة الجبل [87].

وفي تلك الأثناء قام عبيد بن علي بن رشيد بهجوم على عيسى آل علي في حائل، واضطره إلى الهروب منها إلى القصيم، وأقر خورشيد باشا عبد الله بن رشيد على إمارة الجبل بعد أن كتب إلى والي مصر محمد علي في أواخر عام 1253هـ/ 1837م.

ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الله بن رشيد أميرًا غير مُنازَع، وكانت الإمارة طوال فترة حكمه تزداد قوة ومجدًا يومًا بعد يوم ـ كما كان نفوذها خارج منطقة الجبل يزداد توسعًا وانتشارًا سنة بعد سنة.

ولما تمكن الإمام فيصل بن تركي وأخوه جلوي ومن معهما من آل سعود من الفرار من مصر أوائل عام 1259هـ/ 1843م، توجهوا إلى جبل شمر فتلقاهم عبد الله بن رشيد في حائل بالترحاب قائلًا: أبشروا بالمال والرجال والمسير معكم والقتال. وانطلق الإمام فيصل لإزاحة عبد الله ابن ثنيان عن الملك، ورافقه أخوه جلوي بن تركي وعبد الله بن رشيد وأخوه عبيد بن رشيد في حملة[88] انتهت باسترداد الإمام فيصل لملكه، ودخوله الرياض في 12 من جُمادى الأولى عام 1259هـ / 9 من يونيه 1843م [89].

لقد قامت العلاقة بين آل رشيد وآل سعود في عهد التأسيس على أسس قوية وثابتة، واختلفت عن أية علاقة أخرى بين الإمام فيصل بن تركي وأي من حكام الأقاليم النجدية الأخرى، حيث جمعت هذه العلاقة بين مشاعر الود والصداقة التي يكنها كل منهما للآخر، وبين الشعور بأن كلًّا منهما قد خدم صاحبه خدمة جليلة، كما توثقت هذه العلاقة بالمصاهرة بين الأسرتين، فقد تزوج عبد الله بن على بن رشيد بالجوهرة بنت الإمام تركي بن عبد الله، وتزوج ابنه طلال من الجوهرة بنت الإمام فيصل بن تركي، وتزوج عبد الله ابن الإمام فيصل من نورة بنت عبد الله بن رشيد، ثم من ابنة عمها طريقة بنت عبيد بن رشيد، ولما توفى عنها تزوجها شقيقه محمد بن فيصل بن تركي.

وقد أُشتُهر عبد الله بالعديد من السجايا الطيبة كالشجاعة والكرم والعدل، كما عُرف بكرمه ونخوته وكرم أخلاقه، وتوفي في جمادى الأولى سنة 1263هـ / 1847م [90].

(2) طلال الرشيد (1263– 1283هـ/ 1847–1866م)

تولى بعد عبد الله أكبرُ أبنائه ووليُّ عهده طلالٌ وعمره خمس وعشرون سنة، وظل حاكمًا للإمارة قرابة عشرين سنة، كان طوالها على علاقة طيبة بالرياض، وكان محبًّا للسلام، وركز جهوده على رفع المستوى المعيشي لبلاده التي أنهكتها الحروبُ، وشهدت فترة حكمه توسعًا في إمارته؛ فقد أخضع إقليم الجوف المجاور لجبل شمر، وتيماء، وفي الوقت نفسه عمل على تحسين علاقته مع الخلافة العثمانية، وكان يدعو للسلطان العثماني في صلاة الجمعة؛ خوفًا من إثارة غضب الخلافة العثمانية المتاخمة لأملاكه.

كان طلال أكرم إخوته، وقد تزوج من الجوهرة بنت فيصل بن تركي، ولكنه أصيب بمرض في الدماغ، وعالجه أحد الأطباء المرافقين لبعثة حج إيرانية، وأخبره بأن مرضه ليس له علاج؛ فقيل إنه انتحر، والأصح أنه توفي إثر انطلاق رصاصة من مسدسه وهو يتفحصه سنة 1283هـ / 1866م؛ فالمسلم يعلم حرمة الانتحار، وهو محارب شجاع لا يهاب الموت [91].

(3) متعب بن عبد الله الرشيد (1283–1285هـ / 1866– 1869م)

بعد موت طلال لم يرث مكانه في الإمارة ابنُه الأكبر بندر، ويعود السبب في ذلك إلى أن بندر لم يكن قد تجاوز عمره سبعة عشر عامًا، بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك قواعد حازمة تعالج مسألة الإرث السياسي وولاية العهد؛ فتولى أخو طلال "متعب بن عبد الله"، غير أن حكمه لم يستمر

طويلًا؛ بسبب النزاع الناشب بينه وبين أبناء أخيه طلال "بندر وبدر"، وحاول عمهما عبيد ابن على أن يصلح بينهم، ولكن متعب لم يتجاوب معه؛ مما أغرى الشابين على قتل عمهما متعب، فلم يدم حكم متعب سوى سنتين، وتولى بندر الحكم، أما عمهما الثاني "محمد" فقد كان في ذلك الوقت عند الإمام عبد الله بن فيصل في الرياض؛ فغضب غضبًا شديدًا على أبناء أخيه، ولكن وجود عمهما عبيد في حائل جعله يتردد في التوجه إلى حائل للثأر لأخيه[92].

(4) بندر بن طلال بن عبد الله (1285 – 1289هـ / 1869 – 1873م)

اتفق آل الرشيد على تولية بندر بن طلال، وكان عمره وقتئذٍ عشرين عامًا، وقد اتصف بصفات والده من الشهامة والمحبة الخالصة لرعيته، ولما توفي عمهم عبيد- الذي كان سندًا لهم- أحس بندر بأن حياته في خطر إن لم يتصالح مع عمه محمد؛ فتوجه إلى الرياض لاسترضاء عمه في حضور الإمام عبد الله بن فيصل الذي أصلح بينهم، على أن يظل بندر أميرًا لحائل، وأن يعود محمد إلى إمارة قوافل الحج العراقي المارة بالجبل، وعادا معًا إلى حائل، وبعد ثلاث سنوات حدث بينهما نزاع بسبب قبيلة الظفير التي كانت علاقة الأمير بندر بهم سيئة؛ فمنع التعامل معهم، ولما عاد محمد من العراق بعد مرافقته لقافلة من الحجاج استأجر إبلًا من هذه القبيلة؛ لإحضار الأطعمة من العراق، وخرج الأمير لاستقباله كعادته؛ فغضب لما علم بتعامل عمه مع الظفير، رغم منعه للتعامل معهم، ودار بينهم جدال حاد كانت نتيجته أن احتال محمد بابن أخيه وقتله. [93]

(5) محمد بن عبد الله بن رشيد (1289 – 1315هـ / 1873 – 1897م)

بعد أن قتل محمد ابن أخيه بندر، عمد إلى إخوته فقطع رؤوسهم ورماهم في ساحة الدار، ولم يفلت من تلك المذابح إلا "بدر ونايف" أخوا بندر، وكانا خارج حائل.

ولما كبر بدر أراد الانتقام من عمه، إلا أن عمه استطاع قتله وأسر نايف في قصره، وبذلك تربع على سدة الحكم، وقال في إحدى خطبه يبرر قتله لهم (والله ما قتلتهم إلا خوفًا على هذه – وأشار إلى رقبته – يا مسلمين هل تظنون أن من قتل أخي سيعفو عني) [94]!!!.

وفي محاولة منه لكسب تأييد أكبر عدد من أفراد أسرة آل رشيد، أقام محمد علاقات وثيقة مع فرع عبيد الذي كان أكثر عددًا من فرع عبد الله، وأصبح حمود الابنُ الأكبرُ لعبيد الصديقَ والحليفَ الوثيقَ لمحمد، واهتم محمد بن رشيد بتنظيم جيشه، وتحصين ثغور بلاده، وبسط الأمان في

تلك الأنحاء، وكف البدو عن الغزوات، وتشدد على السارقين حتى أنه كان يقوم بقتل كل من يسرق رغيفًا من الخبز، وسعى إلى بسط حكمه في شرقي نجد، وتقدم شمالًا حتى وصل إلى حوران، وهدد نواحي دمشق حتى خاف أهلها من دخوله عاصمتهم، ولما رأى بوادر الانشقاق تدب بين آل سعود سعى إلى توسيع ملكه على حسابهم، وسنحت له الفرصة لما استنجد به عبد الله بن فيصل آل سعود لمحاربة أبناء أخيه سعود بن فيصل؛ فزحف إليه وأخرج ابني سعود بن فيصل- محمد "غزلان" وعبد العزيز- من الرياض وحبسهما في حائل، وتملك نجدًا بعد أن اضطر عبد الرحمن بن فيصل عام 1308هـ / 1891م إلى الرحيل عنها إلى قطر ثم البحرين ثم إلى الكويت، وتعتبر فترة حكم محمد بن عبد الله بن رشيد من أزهى فترات حكم آل رشيد في حائل [95].

ولقد كان محمد بن عبد الله بن رشيد كبير شمر بل كبير العرب في زمانه، اشتهر بالحلم والعدل في حكمه، وقد كان الأمير عبد العزيز معجبًا به، ودائمًا ما يقص عنه قصته مع أحد شيوخ البادية الكبار، الذي قدم إليه فأكرمه ابن رشيد، ولكنه لم يعطه إلا القليل من المال، وفي نفس الوقت قدم إليه أحد شيوخ البادية الصغار فأكرمه وأعطاه مالًا كثيرًا، ولما سئل ابن رشيد عن هذا التصرف الغريب قال: الأول كان قويًّا وكبيرًا، ويحس بما عليه من مسئولية، ويحافظ على مركزه بولائه لنا، أما الثاني فهو كالعصفور يتنقل من شجرة إلى أخرى، ويتعبك صيده، ونحن بحاجة إليه لنكتفي من شره[96]!!

وكان البعض يقولون بأن ابن رشيد لا يصلح للحكم لأنه لا يقطع الرءوس، فقد آل على نفسه بعد أن قتل أبناء أخيه طلال الخمسة ألَّا يقطع رأسًا إلا في الحرب، وبعد وفاته – وقد كان عقيمًا – خلفه ابن أخيه عبد العزيز بن متعب.

(6) عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد (1315 – 1324 هـ / 1897–1906م)

وفي فترة حكمه أقدم الشيخ مبارك الصباح على محاربة آل رشيد، وتقدم بقوة تجاوزت الثلاثين ألف مقاتل واحتلت الطرفية- إحدى قرى القصيم- وجعلها مبارك الصباح موقعًا متقدمًالقواته.

فقد خاض الطرفان في 26 من ذي القعدة 1318هـ / 17 من مارس 1901م معركة عند (الصريف)، واستطاع فيها عبد العزيز بن رشيد إحراز نصر حاسم على مبارك الصباح؛ الذي فر

مخذولًا من موقع المعركة، وعاد إلى الكويت [97].

وفي السنة التالية عام 1319هـ / 1902م، فقد آل رشيد الرياض؛ التي استطاع عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود استعادتها منهم، وقتل عاملهم عجلان بن محمد، ثم حصلت مواجهات عديدة بين عبد العزيز بن متعب وعبد العزيز بن عبد الرحمن في منطقة القصيم؛ منها في البكيرية والشنانة عام 1322هـ/1904م، ثم كانت المعركة الفاصلة في روضة مهنا، التي قتل فيها عبد العزيز ابن رشيد في 18 صفر 1324هـ / 14 أبريل 1906م [98].

وجدير بالذكر أن عبد العزيز بن متعب كان يلقى دعمًا من الدولة العثمانية؛ التي كانت ترغب في الحد من توسع عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ووصف بالشجاعة والحنكة والدهاء، وكان جبارًا وفارسًا مغوارًا، لا يفوقه إلا الأمير عبد العزيز آل سعود الذي استطاع الانتصار عليه في روضة مهنا [99].

(7) متعب بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد (1324هـ / 1906م)

تولى بعد والده باتفاق أهل حائل والجند الذين كانوا معه، غير أن أخواله "سلطان وسعود وفيصل" أبناء حمود بن عبيد بن على بن رشيد، أقدموا في 16 ذي القعدة 1324هـ / 27 ديسمبر 1906م على قتله وأخويه "مشعل ومحمد" بعد أن دعوهم إلى رحلة صيد وقتلوهم هناك، أما الأخ[100] الصغير للمقتولين فقد فر به أخواله آل سبهان إلى المدينة المنورة وعمره عشر سنوات، وكان ذلك بموافقة سلطان الحمود؛ لأنه كان متزوجًا من والدته، ولم يقتله مع بقية إخوته غير الأشقاء.

كانت فترة حكم متعب قصيرة لم تتجاوز التسعة أشهر، ورغم هذه الفترة القصيرة إلا أنه كانت له بعض الجهود الإصلاحية التي حببت أهالي حائل فيه، ومن ذلك أنه عقد صلحًا مع الأمير عبد العزيز، واتفقا على أن تكون المناطق الواقعة شمال القصيم تابعة لابن رشيد، وما عداها تابع لابن مسعود، وتواصل مع القبائل وجاءته وفودها، وخفف من معاناة الناس المادية، ووصف بالكرم والحلم والعقل والحزم وحسن التدبير [101].

(8) سلطان بن حمود بن عبيد بن على بن رشيد (1324– 1326هـ / 1906– 1908 م)

تولى الإمارة بعد أن قتل متعب بن عبد العزيز، وبذلك انتقلت إمارة آل رشيد من فرع عبد الله إلى فرع عبيد، وعين أخاه فيصلًا الملقب بـ "البسام" على الجوف ليبعده عن الحكم، ثم تحالف مع أمير بريده "محمد أبا الخيل" و"فيصل الدويش" زعيم مطير ضد الأمير عبد العزيز وحاربوه في معركة الطرفيه سنة 1325هـ، وكان النصر فيها للأمير عبد العزيز.

لم يحكم سلطان سوى سبعة أشهر، وكانت فترة حكمه مضطربة؛ نتيجة لسوء إدارته وكراهية الناس له، وفي نهاية الأمر سطا على خزانة الإمارة، واختلس منها كل ثمين وفر يريد الهرب إلى الجوف، فعلم بذلك أخوه سعود ولحق به خارج حائل؛ فلجأ إلى إحدى المغارات في جبل أجا، وعثر عليه سعود وأعاده مقيدًا، ثم خنقه بحبل ودفنه في حجرة في القصر، وتولى الحكم سنة 1326هـ / 1908م [102].

(9) سعود بن حمود بن عبيد بن رشيد (1326هـ -1908م)

تولى بعد أخيه، ولم يكن يعرف شيئًا عن الإدارة؛ مما أدى إلى انحطاط وضع إمارة جبل شمر، فكاتب أهالي حائل حمود بن سبهان في المدينة طالبين عودة ابن اخته سعود بن عبد العزيز ابن رشيد ليتولى الحكم، فتوجه حمود بقوة إلى حائل، وعندما وصلها فتح له أهلها الأبواب، وتحصن سعود[103] بن حمود بن عبيد في قصر برزان، ثم لم يلبث أن استسلم لحمود بن سبهان، الذي بادر إلى قتله في الغرفة التي قتل فيها أخاه.

ولما علم فيصل (البسام) وهو في الجوف بمقتل أخويه فر منها، ولجأ إلى الأمير عبد العزيز الذي رحب به، واتخذه نديمًا لخفة روحه.

(10) سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد (1326– 1338هـ /1908 – 1919م).

وكما ذكرنا سابقًا فإن سعود بن عبد العزيز بن متعب هو الناجي الوحيد من مذبحة أبناء حمود بن عبيد بن رشيد التي دبرها سلطان بن حمود، وكان وقتئذ صغيرًا في السن، فهرب به أخواله آل سبهان إلى المدينة المنورة، فعاش هناك حتى عودته، وكان عمره عشر سنوات، فتولى الحكم تحت وصاية خاله حمود بن سبهان؛ الذي مارس دور الحاكم الفعلي للإمارة، وبعد وفاة حمود بالسل– وقيل مسمومًا بيد مجهولة – عام 1327هـ / 1909م، تولى دور الوصاية على سعود "زامل

بن سالم بن على بن سبهان"، وتزوج أم الأمير سعود فكان زوجها الرابع، إذ سبق أن تزوجت من "محمد بن عبد الله بن رشيد" ثم عبد العزيز بن متعب "والد سعود"، ثم سلطان بن حمود العبيد الذي قتل متعب وإخوته أبناء زوجها السابق وتولى الحكم [104].

وفي عهد زامل حدثت معركة الأشعلي التي انتصر فيها الأمير عبد العزيز على قوات ابن رشيد عام 1327ه/ 1909م. فقد علم صاحب حائل بخروج الملك لغزو فئات من شمر؛ فحاول أن يباغته بهجوم ليلي في مكان بقرب النفوذ يقال له الأشعلي، ولكن الملك علم بقدومه؛ فأمر بأن لا تعقل الإبل التي غنمها من شمر في غزوته الأخيرة، حتى إذا رأى أتباع ابن رشيد الإبل شاردة تتبعوها ليغتنموها، وقام بإخراج رجاله من الخيام، فلما انتصف الليل وهجم ابن سبهان على المخيم الخالي، فرت الإبل على صوت الرصاص، ولحقها المهاجمون؛ فأرسل الملك سرية من رجاله لمناوشتهم، ثم انسحبوا؛ فظن ابن سبهان أن الملك معهم وأنه انهزم، وعند طلوع الفجر خرج الملك برجاله من النفوذ وهجم عليه وهزمه. ثم عاد إلى الرياض. [105]

كان لدى أحد أقرباء زامل بن سبهان– واسمه سعود بن صالح بن سبهان– طموح لاحتلال مكان "زامل"؛ فأوغر صدر الأمير عليه، ثم قام بقتله واحتل منصبه في إدارة البلاد، وارتفع شأن ابن سبهان في حائل حتى فكر في قتل الأمير سعود ليستولى على الإمارة، ولكن أمره انكشف؛ ففر إلى الزبير حيث قتل بعد ذلك، وحل محله عقاب بن عجل في إدارة الإمارة، وفي عام 1332هـ / 1914م انتهت الوصاية على سعود رسميًّا وآلت مقاليد الحكم إليه ، وكانت جدته فاطمة السبهان - التي تكره أهل نجد وأل سعود- تدير الحكم من وراء الستار.

عُرف سعود بموالاته للدولة العثمانية ومناصرته لها، والوقوف إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى، وفي عهده كانت معركة جراب في عام 1333هـ / 1915م، التي صد فيها تقدم عبد العزيز آل سعود نحو الشمال، وتمكن أيضًا من استعادة الجوف وتوابعه إلى إمارته، وشهدت فترته انقسامًا داخل الأسرة الحاكمة انتهت بمقتله غدرًا[106].

ففي رجب 1338هـ / 1920م خرج إلى جبال حائل في مكان اسمه "الغبران" وكان صائمًا، واصطحب معه عددًا من مرافقيه، وهم: سليمان "الغبران"، ودرعان الدرعان، وراشد الحسين، والذعيت، وسلامة القريح، ومهدي "أبو شرين" بالإضافة إلى ابن عمه الفتى عبد الله المتعب آل رشيد البالغ من العمر 12 سنة (والذي اغتيل فيما بعد عام 1946م في الرياض). وعرف عبد الله الطلال آل

رشيد بخروج ابن عمه سعود فصمم على اغتياله، ولحق به في طريق الرحلة، ورافقه حتى المكان المقصود وهو "الغبران" في جبل طي، وكان يرافق ابن طلال خادمه "إبراهيم المهووس"، وكانا مسلحين، أمَّا الأمير سعود آل رشيد فلم يكن معه وبعض رفاقه سوى سلاح الصيد، وكان الجميع خيالة.

وصل الجميع إلى الغبران وجلس الأمير سعود متكئًا على صخرة بسفح الجبل، وبالقرب منه الذعيت الذي قام يتمشى، وكذلك عبد الله المتعب الرشيد، وعن يمينه سليمان العنبر، وعن يساره عبد الله الطلال، الذي تأخر خلفه مسافة مترين، وبجانب الطلال إبراهيم المهووس، وقد تفرق بقية المرافقين للتدرج بعيدًا عن المكان؛ غير مدركين لما سيحدث خلال دقائق [107] !

وفي تلك اللحظات أخرج عبد الله الطلال برتقالة كانت معه، ثم استأذن ابن عمه الأمير ليضعها هدفًا للرمي، فوافق سعود آل رشيد فصوب سعودٌ بندقيته نحو الهدف فأصابه بدقة، فوضع غيره فاستأذن ابن طلال لرمي الهدف! فرمى الهدف وأصابه بدقة.. وما إن صوب الأمير سعود آل رشيد بندقيته ثانية نحو الهدف حتى صوب عبد الله الطلال بندقيته من خلفه نحو هدفه، وحالما رمى سعود الرشيد الهدف ثانية، أطلق عبد الله الطلال من بندقيته نحو هدفه!... وكان هدفه هو رأس ابن عمه الأمير سعود الرشيد، فسقط سعود في عب سليمان العنبر الذي ضمه وهو يردد: خير!.. ظنًّا منه أن بندقيته رفسته!... ولكنه ما إن رفعه حتى رأى الدم يتفجر من رأسه، ومن عنقه!، وفي تلك اللحظة أمطر ابن طلال سليمان العنبر بست رصاصات؛ أصابت ثلاث منها جنبه، وثلاث منها قدمه؛ فتظاهر "العنبر" بالموت وارتمى فوق "الفتى" عبد الله المتعب الرشيد؛ خوفًا من أن يقتله ابن طلال، وحينها قفز القاتل إلى صهوة حصانه، كما وثب خادمه "المهوس" على ظهر فرسه، وأخذا يغيران في سباق مع الريح نحو حائل؛ بغية الاستيلاء على الحكم.. لقد سمع بقية المرافقين أصوات الرصاص، لكنهم حاروا في أمرها، فالهدف ما يزال قائمًا في مكانه لم يصب، وصعد الذعيت الربوة للتأكد، وإذا به يرى عمه سعودًا ملقى وبجانبه سليمان العنبر، فأسرع الذعيت ليستفسر، فرفع سليمان العنبر رأسه، وصاح فيه: (قتلوا عمك سعودًا، اِلحقْ ابن طلال واقتله... اقتله). فلحِق به، ووصل في نفس اللحظة مهدي "أبو شرين"، فأطلق الرصاص على ابن طلال، وأصابه بقدمه فسقط من على جواده، فأسره "الذعيت" وأجهز عليه، ووجه مهدي فوهة بندقيته إلى المهوس "مرافق بن طلال" فأرداه قتيلًا... واجتمع سليمان العنبر والذعيت، ومهدي، ودرعان وسلامة الفريح، ومعهم ابن متعب، وأتوا بسعود وبكوا عليه، فنهض سليمان- وكان صاحب الكلمة فيهم- وقال: أترون البكاء مجديًا الآن؟ لقد قتلتم المجرمين المعتدين، فانظروا في مستقبلنا ومستقبل حائل [108].

فقال الذعيت: ما رأيك أنت؟

قال سليمان: أخشى أن يكون عمل ابن طلال نتيجة مؤامرة خطيرة لقلب الحكم في حائل، فشيقيه محمد بن طلال بالبلد، ولعله احتل قصر الإمارة وأخذ البيعة، وأرى أن يمضي أحدكم إلى المدينة سرًّا ويكشف الأمر، فإن كان ابن طلال قد انتزع الحكم هربنا من وجهه بابن متعب، حتى إذا قوى عدنا إلى حائل لنسترد الإمارة، وإلا كفى الله المؤمنين شر القتال.. ووافق الجميع على رأي سليمان وانتدبوا الذعيت، ولبثوا مكانهم منتظرين يتدبرون الأمر، حتى رجع إليهم وأخبرهم ألا شيء[109] في البلد، والناس لا يعلمون عن الحادث شيئًا. فرجعوا إلى حائل يشيعون جنازة القتيل، ونصبوا عبد الله بن متعب أميرًا عليهم.

(11) عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن رشيد (1338–1339هـ/1919–1920م)

عقب مقتل سعود بن عبد العزيز عاد عبد الله بن متعب ومن معه إلى حائل، وكادت تقع فتنة بين عبد الله ومحمد بن طلال أخي عبد الله القاتل المقتول، ولكن الموقف انتهى بذهاب ابن طلال إلى الجوف مؤقتًا، واجتمعت الآراء على تنصيب عبد الله بن متعب أميرًا.

وأثناء حصار قوات الأمير عبد العزيز لحائل، أخذ الأمير ابن متعب ينظم الأمور استعدادًا للقتال، وفيما هو كذلك إذ قدم من الجوف ابن عمه محمد بن طلال، زاعمًا أنه قادم إلى حائل للدفاع عنها وعن أمته ويشارك ابن عمه الجهاد، وأظهر له الود كما تظاهر أمامه بالخضوع والاستكانة، فأرجف المرجفون بعبد الله المتعب وقالوا له: إن قدوم ابن طلال إلى حائل في هذه الظروف لا يقصد منه إلا تولي الحكم، وسوف لن يوفر دمك، وسيفعل بك ما فعله أخوه عبد الله بن طلال، قاتل سعود بن عبد العزيز بن رشيد، فاحتاط للأمر، ووضع الحراس من مماليكه الذين يثق بهم، لكن شبح ابن عمه يتراءى له في منامه فهو يريد قتله.. والعدو أمامه يحاصر المدينة، وابن عمه محمد بن طلال عدو آخر أشد فتكًا من الأول؛ لمعرفته المقتل، ولن يخطئه عندما ينتهز غفلته فيقتله، أما العدو المحاصر فبينه وبينه شعب يقاتل وأسوار وأبراج لا يستطيع تخطيها، وأما ابن عمه فكيف السبيل إلى اتقائه وهو داخل المدينة ومنزله قرب منزله، وربما غافل الحراس وفتك به أو سلط عليه أناسًا غيره. هكذا رأى من أنه الأصلح أن يسجن ابن طلال فسجنه، إلا أن كبار رجال حائل قرَّبوا ما بينهما، وتعاهدوا على الدفاع عن البلاد؛ فمضى ابن طلال يجمع قبيلة شمر استعدادًا للمعارك القادمة ! فازدادت شكوك عبد الله المتعب بابن عمه، وكان وراء هذه السكوك من يذكيها [110].

غير أن عبد الله بن متعب رأى أنه من الخير لنفسه أن يلتجئ إلى العدو الحقيقي (ابن سعود) ويسلم نفسه وحدها إليه ، ويدع مدينة حائل إلى أهلها يحمونها ولا يسلمها برًّا بقسمه؛ إذ آل على نفسه أنه لن يسلمها وفيه نفس يتردد، وسيجد عنده عدوه السلام والغنم إذا ذهب إليه طائعًا! أما إذا[111] مكث في المدينة فلابد أن يعتدي عليه ابن عمه ويقتله. هذا ما ظنه فحار في أمره، ولم يدر ماذا يصنع، فنادى سليمان العنبر، وخلا الاثنان ليلًا فقال ابن متعب: "يا سليمان، الحال مثلما ترى وأنا بين عدوين فلا أستطيع قتل ابن عمي لمجرد الظن، ولا أستطيع انتظاره حتى يقتلني!.. وأردف يقول: لقد انتقض بعض الناس علينا، وكتب بعضهم إلى ابن سعود، وأخشى من ابن طلال، فماذا ترى؟ فرد عليه سليمان العنبر يقول: "والله يا عم لو طلبت أن أخوض معك البحر لما تأخرت، فأفصح عن قصدك فأنا طوع بنانك!.

فقال عبد الله للعنبر: "أرى أن نمضي إلى ابن مسعود ونسلمه أنفسنا ونترك البلد ينعي من بناه.. فقال له العنبر: كما ترى!

مضى سليمان إلى داره كاسفًا مشغول الفكر ونادى ابنه "غاطي" وقال له:

يا بني، سنمضي غدًا إلى ابن سعود..

فأجاب غاطي: أتستشيرني يا أبي؟.

قال: لا، إنما أخبرك بالأمر الذي نويناه على كل حال، فاستعد.

قال غاطي: والأمير؟!

فأجاب سليمان: عنا!..

فتمتم غاطي.. ثم قال: الله يكتب الذي فيه خير!.

والتقى الأمير عبد الله المتعب وبعض رجاله وهم: درعان، الذعيت، وعبد الله آل بجاد، وصقيه (مملوك الأمير) بسليمان العنبر وابنه في الموعد فجرًا، ومشوا يريدون ابن سعود، وكلهم يمشون على قدميه، وعلم أهل حائل في الضحى بأمر الهاربين؛ فقرروا اللحاق بهم، وردهم إلى

المدينة، ولكنهم تركوهم أخيرًا، وكتبوا إلى محمد بن طلال الذي كان في البر يجمع قبيلة شمر لقتال بن سعود، فتوجه ابن طلال إلى حائل ودخلها، وتولى الإمارة وقد سعت إليه من نفسها [112].

لم يكن مع الهاربين زاد ولا ماء؛ فاشتد بهم العطش وأظلم الطريق. ويروي أحمد عطار في كتابه "صقر الجزيرة" أنه حينما اشتد العطش بعبد الله المتعب وصحبه، قال أحدهم– وكان يعرف هذه الأماكن– إن هنا بئرًا خلف تلك التلال، فمشوا حتى أتوا ووجدوا عليها بدوًا كثيرًا[113] من جيوش ابن سعودي يسقون، وسألهم عن مقر "أميرهم" فدلهم أحدهم عليه، وما كانوا يعلمون أن هؤلاء آل الرشيد وأشياعهم، ولو علموا لفتكوا بهم، واستقبلهم الأمير خير استقبال وأنزلهم في خير موضع، وبعث إلى الأمير سعود بن عبد العزيز السعود- وكان القائد العام للجيوش السعودية يبشره بوصول بن متعب ورجاله إليه - أن أكرمهم وبلغهم التحية، فإن رغبوا في السعي إليه من توهم؛ فليركبهم وإلا فليأخذ رأيهم، وألا يقصر في إرضائهم وتكريمهم. ورأى ابن متعب ومن معه أن يبيتوا ليلتهم بموضعهم، وقرروا أن يمضوا إلى سعود صباحًا.. وزادت ضجة البدو واجتمعوا حول خيمة آل الرشيد يرددون صيحات الضراوة ويريدون أن يفتكوا بهم، فخرج إليهم أميرهم ووبخهم وطردهم وأفهمهم أنهم "مسلمون" يوحدون الله، وأنهم أصبحوا صبيان التوحيد، إخوان من أطاع الله، ودخلوا في طاعة ابن سعود) [114].

ومضوا من الفجر إلى الأمير سعود، وكان نازلًا بقعاء، فاستقبلهم استقبالًا فخمًا، وبعد أن أقاموا أيامًا رجع بهم سعود كأسرة إلى الرياض، واستقبلهم والده.

وبقى محمد الطلال يقاوم ابن سعود، وينقل "العطار" عن الأمير عبد العزيز قوله: (والحق أن محمد بن طلال كان حازمًا قويًّا بعيد المرمى، شجاعًا مقدامًا شديد الأيد والصلابة، فيه صفات من عبد العزيز بن متعب بن رشيد القتيل بروضة مهنا، وليس في أمراء آل رشيد الذين جلسوا على دست الحكم من يشبه هذين الأميرين في الشجاعة والقوة النفسية والبطولة– وهما عبد العزيز المتعب الرشيد ومحمد الطلال آل رشيد– وكان محمد بن طلال أعقل وأحصف، ولكن: ما حيلة الرامي إذا التقت العدى وأراد رمي السهم فانقطع الوتر!

بعد أن ذهب ابن متعب إلى الأمير عبد العزيز في نهاية عام 1339هـ/1920م رحب به الملك وأسكنه في الرياض [115].

(12) محمد بن طلال بن نايف بن طلال بن عبد الله بن رشيد (1339– 1340هـ /1920– 1921م)

تولى محمد بن طلال مقاليد الأمور في حائل أشهر قليلة بعد عبد الله بن آل سعود، جعل نصب عينيه أهمية الاستيلاء على المنطقة؛ فشدد من حصاره عليها حتى استسلم محمد بن طلال، ومن ثم سقطت إمارة آل رشيد بعد دخول قوات ابن سعود إلى حائل في 29 صفر 1340هـ/ 2 نوفمبر 1921م، وانتقل محمد بن طلال إلى الرياض، وتزوج الأمير عبد العزيز ابنته، وفي عام 1373هـ/1953م، بعد وفاة الأمير عبد العزيز، قتله أحد عبيده في الرياض، وفر القاتل ثم وجد منتحرًا في أحد شعبان وادي حنيفة[116].

الفصل الأول

علاقة الوفاق بين آل سعود وآل رشيد

(1264-1281هـ/1848-1865م)

إن العلاقات بين آل سعود وآل الرشيد لم تكن وليدة منتصف القرن الثالث عشر الهجري منتصف القرن التاسع الميلادي، وإنما ترجع إلى نهايات القرن الثاني عشر الهجري ونهايات القرن الثامن عشر الميلادي؛ فقد كان أول احتكاك بين دولة الدرعية- والتي كان يحكمها آل سعود – وبين قبيلة شمر- والتي كان يحكمها آل رشيد، في عام 1196هـ/1782م، عندما اشتركت فئات من هذه القبيلة (شمر) مع الأحساء التابعة للدرعية- والتي كان يحكمها سعدون ابن عريعر- في حصاره لبلدة بريدة، وكان أمير هذه البلدة في ذلك الوقت حجيلان بن حمد آل أبي عليان، وقد دخلت منطقة جبل شمر ضمن دولة الدرعية على يد ذلك الأمير. ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى أن اشترك أهل الجبل(شمر) مع القوات السعودية في غزوات على البلدان والمدن المجاورة مثل الجوف وغزو البلاد الشامية، واشتركت في صد بعض هجمات أعدائهم مثل صد حملة ثويني عبدالله رئيس قبيلة المنتفق، وفي صد حملة إبراهيم باشا ابن محمد علي، وكذلك التصدي لحملة طوسون باشا ابن محمد علي. زادت العلاقات وتحسنت لدرجة أن الإمام فيصل بن تركي عين عبد الله بن الرشيد أميرًا على جبل شمر للدلالة على رسوخ مكانته، وبلغت العلاقات ذروة الترابط والتآخي بين الطرفين وتوجت بالنسب والمصاهرة بين آل سعود وآل الرشيد.

آل رشيد والدولة السعودية الأولى:

ظلت مقاليد السيادة في منطقة جبل شمر في أيدى زعماء عشيرة عبدة زمنًا غير قصير، وكانت إمارة حاضرتها حائل خلال القرن الحادى عشر الهجري إلى آل "علي" المنتمين إلى آل جعفر أحد بطون تلك العشيرة، والمعلومات عن هذه الأسرة أثناء ذلك القرن نادرة جدًّا. بل إنها تكاد تنحصر في ذكر أسماء بعض الأفراد الذين تولوا الإمارة فيها. ومن هؤلاء محمد بن عيسى ابن علي. الذى كان مشهورًا بالكرم[117].

وفي نهاية القرن المذكور سابقًا كان أمير جبل شمر أحد أحفاده، وهو محمد بن عبد المحسن ابن فايز بن محمد. وكانت مساكن آل على في أسفل قاعده الجبل، أو ما يعرف بالسويفله، ثم بنى زعماؤها لهم قصرًا في مكان يقال له الوشيقى، على بعد ثلاثة كيلومترات من مساكنهم الأولى. وبعد ذلك أسس الأمير" محمد بن عبد المحسن" قصر برزان الشهير؛ الذى أصبح فيما بعد قصر حكم آل رشيد[118].

وكانت إماره جبل شمر من الإمارات النجدية التى تأخر انضمامها أو ضمها إلى دولة الدرعية التى تبنت دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" ومن الواضح أن أكبر الأسباب في ذلك كان عائدًا إلى بعد منطقة الجبل نسبيًّا عن قاعده تلك الدولة. ونتيجة للانتصارات التى أحرزها قادة الدرعية وفي مناطق نجدية اخرى خاصة في منطقة القصيم الواقعه جنوب الجبل. وأصبح متوقعًا أن تتجه أنظار أولئك القاده إلى الجهة الشمالية من نجد لضم حائل وما جاورها إلى منطقة نفوذهم.

ولعل أول احتكاك بين دولة الدرعية وبين قبيلة شمر كان اشتراك فئات من هذه القبيلة مع حاكم الأحساء "سعدون بن عريعر" في حصاره لبلدة بريدة سنة 1196 هـ/1782م. وسوف نتناولها لاحقًا.

وكان أمير هذه البلدة من قبل الدرعية في ذلك الوقت "حجيلان بن حمد آل أبي عليان"[119] وقد دخلت منطقة جبل شمر ضمن دولة الدرعية على يد ذلك الأمير.

هذا وفي عام 1196هـ/1782م، أجمع أهل القصيم على نقد البيعة والحرب سوى أهل بريدة والرس والتنومة، وقتلوا كل من ينتسب عند الدين عندهم؛ خصوصًا المعلمين الذين يعلمونهم أحكام الشريعه؛ فحضر كل رؤساء القصيم يوم الجمعة وأجمعوا أمرهم، وتعاهدوا على أن كل أهل بلد يقتلون من عندهم، ولم يشعر بذلك أحد في يومٍ معروف. فلما مضوا إلى بلدانهم أرسلوا إلى "سعدون بن عريعر" يخبرونه بذلك واستحثوه بالقدوم عليهم؛ فبادر في الحال وأمر بالرحيل واستنفر العربان، فاقبل بجنوده، فحينما قرب من القصيم قام أهل كل بلد وقتلوا من عندهم من العلماء المعلمة، فقتل أهل بلد الخبرا إمامهم في الصلاه "منصور أبا الخيل" يوم الجمعة وهو قاصد المسجد؛ وقتل "ثنيان أبا الخيل" وقتل "آل جناح" رجلًا عندهم من أهل الدين والصلاح ضرير البصر، وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق حياة؛ وقتل "آل شمس" أميرهم "علي بن خوشان" وفعل أهل البلدان ذلك الفعل وأقبل "سعدون" بعدده وعدته. وجمع جموعًا من "بني خالد" وغيرهم. واستنفر الظفير وعربان شمر ومن حضر من عربان عنيزة؛ فاقبلت تلك الجموع ونزلوا بريدة وأحاطوا بها وبادر منهم رجال للقتال فظهر بهم أهل البلد وقتلوهم وأرسلوا رءوسهم إلى "سعدون" فامتلأ غيظًا وغضبًا.

وقال إن ظفرت بأهل هذه البلدة قطعتهم إربًا إربًا؛ وحين نزل بريدة أرسل إليه أهل عنيزة- على سبيل الإكرام والامتثال- من كان عندهم من معلمة أهل الدين وهما "عبد الله القاضي"[120] "وناصر الشبيلى"[121] وقالوا كرامة لك وهدية منا إلى ك، فقتلهم "سعدون" صبرًا من طول مدة

الحبس ومنع الطعام عنهم، ونالوا شهادة وأجرًا. ثم إن سعدون لما رميت الرءوس بين يديه زحف على البلد بجنوده، وحصل بينهم قتال شديد فلم يحصل على طايل؛ ثم ساروا يومًا آخر على السور وراموا الصعود عليه وهدمه؛ فقاتلهم أهل البلد أشد القتال عنده؛ فانهزموا عند السور وتركوا قتلاهم؛ ثم رأى سعدون أن يسوق آلاته وجموعه ويهدموا سورها وبروجها؛ فأقبل بكيد عظيم يشيب من هوله الفطيم؛ وساقها عليهم وقت الصباح، وتتابع التنادب والصياح، فرجعوا ولم يحصلوا على طائل، فتحسر سعدون وأرسل إلى أعوانه من أهل القصيم وغيرهم يشاورهم فيما يكيد به أهل بريدة، ففسد عملهم ولم يتم لهم أملهم، وكان النصر لأهل بريدة، وفي أثناء هذه الحرب بنى سعدون قصرًا قريبًا من البلد وأتمه؛ وجعل فيه رجالًا من قومه؛ فانتدب إليه رجالًا من أهل البلد فهدموه وقتلوا أهله، وفي أثناء تلك المدة أغار "سعيد بن عبد الكريم" أمير الرس ورجاله من بلده على سارحه سعدون، فأخذوا غنم سعدون، وهى أربعمائة ثم اعتدى رجال من أهل بريدة على بيت من الشعر جعله "عبد الله ابن رشيد"؛ رئيس عنيزة للحرب، فأخذوه وقتلوا أربعة رجال، وكان رئيس بريدة يومئذ والمقوم لهذه الحرب والثابت في هذا الضرب الكرب "حجيلان بن حمد" من رؤساء "آل عليان" [122].

فتحقق من ابن عمه سليمان الحجيلانى، ورجال معه خائنه لعدوهم. فأرسل إليه وضرب عنقه. فلما قتله ثبت أهل البلد وفسد عمل أهل الخيانه؛ واتفق أهل بريدة على الثبات والحرب، فلما مضت خمسة أشهر، وضاقت صدور العربان والمحاربين؛ عزموا على اقتحام البلد، فصنعوا عجلًا من الخشب يريدونه وقاية من الرصاص لمن يمشي خلفه؛ وساقوه إلى مرقب البلد، وفي المرقب من أهلها عشرة رجال، فاجتهد هؤلاء الجنود في توصيل العجل، ولم يجدوا إلى ذلك سبيلًا فرجعوا به. [123]

ثم فيها حمل سعدون وجموعه على البلد حملة هائلة وساقهم إليها. فحصل عند السور والبروج من القتال والازدحام أمر عظيم، وقاتلهم أهل البلد قتالًا شديدًا، وردوهم على أعقابهم، وقتل منهم عدة قتلى؛ فداخلهم بعد ذلك الفشل وهموا بالرحيل. وقد ذكر أن حجيلان تزوج في آخر الحصار، فلما سمع[124] سعدون ضرب الدف سأل عنه؛ قيل له إنه مضروب لعرس حجيلان؛ فعند ذلك ارتحل هو وجنوده وتفرق أهل القصيم إلى بلدانهم، وخرج حجيلان على إثرهم بأهل بريدة إلى بلدة الشماس، وقتل من وجد فيها؛ فانزعجت قلوب أهل القصيم بعد ذلك، فأرسلوا إلى حجيلان وطلبوا منه الأمان؛ وطلب عليهم النكال من الأموال والسلاح[125].

وربما كان لموقف تلك الفئات الشمرية في حادثة حصار سعدون بن عريعر لبلدة بريدة أثر في تحمس الأمير حجيلان بن حمد لغزو منطقة الجبل، التي كانت قبيلة شمر تسيطر عليها. لكن أقوى الأسباب- فيما يظهر- كان نابعًا من تحمسه للدولة التي كان تابعًا لها، ورغبة قادة هذه الدولة في توسيع رقعة مساحاتها ونفوذها. ويضاف إلى ذلك قرب إمارة حجيلان من منطقة جبل شمر.

وقد بدأ الأمير حجيلان بن حمد نشاطه نحو جهة جبل شمر بعد أربع سنوات فقط من حادثة الحصار سالفة الذكر. ذلك أنه غزاها بأتباعه من أهل القصيم[126]، ومعه قسم من قبيلة عنيزة سنة 1200 هـ. وعلى أية حال، ففي بدء عام 1200 هـ/1786م كانت وقعة جضعة، وذلك أن رؤساء المهاشير من بني خالد وآل صبيح اتفقوا مع عبد المحسن بن سرداح آل عبيد الله ودويحس بن عريعر، على عداوة سعدون رئيس بني خالد وحربه، واستنجدوا بـ "ثويني ابن عبد الله شيخ المنتفق، واستنصروه فأقبل عليهم بجنوده فتنازلوا مدة أيام، وقتل بينهم قتلى كُثُر، وصارت الكرَّة على سعدون ومن معه فانهزموا، فاستولى دويحس على بني خالد والأمر والحل بيد عبد المحسن، فلما لم يجد له ملجأ هرب إلى الدرعية، فلما قرب منها أرسل إلى عبد العزيز يطلب الأمان، فأبى عبد العزيز ذلك؛ لأن بينه وبين ثويني هدنة، فعزم سعدون على دخول الدرعية بلا أمان، فشاور عبد العزيز الشيخ فقال: عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم. فأكرمه عبد العزيز غاية الإكرام، فلما بلغ ثويني ذلك تعظم الأمر؛ فاستعطفه عبد العزيز فلم ينجح فيه، وقام بجميع الكيد على المسلمين.

وفيها غزا سعود بجنود المسلمين وقصد ناحية الجنوب؛ فأغار على عربان قحطان، فأخذ غالب إبلهم ومحلتهم. وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير القصيم إلى ناحية جبل شمر، فذكر له أن قافلة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ؛ فأسرع السير حتى وصل إلى بقعا[127]، فرصد لهم فيها قوافلهاومعها كثير من اللباس والقماش لأهل الجبل وغيرهم، فأخذها وقتل من الحدرة قتلى كثيرين[128].

وكان من الأمور التي قام بها حجيلان أن رصد في بقعاء قافلة تجارية كبيرة قادمة من البصرة وسوق الشيوخ، وقد تمكن من أخذ ما كان معها وقتل عددًا من رجالها. وكان الإنهاك الاقتصادي للخصوم- كقطع طرق قوافلهم التجارية وتخريب إنتاجهم الزراعي- من الأساليب

الناجحة التي اتبعها قادة الدرعية؛ لإرغام معارضيهم على الاستسلام لهم. لذلك فإن غزو حجيلان ومن معه لمنطقة شمر في عام 1201 هـ/1786م قد أتى بثماره.

وقد وصف المؤرخ حسين بن غنام، المعاصر لتلك الحادثة ذلك الغزو ونتائجه بقوله: "وفيها -سنة 1201هـ / 1786م - غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان، وقصد أهل الجبل فاستقر في ذلك المكان، وأقام فيه عدة أيام وليال. وغالب أهل تلك البلاد على الدخول في الإسلام في إقبال؛ فقدم عليه في ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن، وعاهدوه على الإسلام، ورغبوا في الدخول والاستسلام. ومن أعرض عن ذلك وصدَّ؛ تصدَّى حجيلان إلى حربه وقصد وتأهب له واستعد، وأقبل عليه بالحروب والحرابة، حتى يدين للإسلام ويفتح بابه. وأخذ أموال من امتنع في ذلك الوقت والحال، حتى طاعوا للتوحيد بالإجمال، فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال، حتى تلقى جميعهم الإسلام بأحسن استقبال"[129].

وإذا كان إدراك زعامة الجبل للظروف الجديدة واضحًا في دخولها تحت نفوذ الدرعية؛ فإنه من المرجح أن تلك الزعامة قد تكون لديها اقتناع قوي بصحة موقف المؤيدين لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب. ولذلك فإنها- فيما يظهر- لم تبدِ أية مقاومة حقيقية لحجيلان بن حمد وأتباعه. يوضح ذلك أن كلًّا من ابن غنام وابن بشر لم ينص على قتل أفراد من الجيش الغازي أو الجهة المغزوة[130].

ومن المحتمل جدًّا أن أسرة آل علي بزعامة الأمير محمد بن فايز قد رحبت- إلى حدٍّ ما- بالانضمام إلى الدرعية، وتعاونت مع حجيلان بن حمد في مهمته. ويبدو أن عبيد بن علي ابن رشيد كان يشير إلى ذلك في قصيدته عن معركة بقعاء سنة 1257 هـ / 1841م حين قال، معرضًا بأمير بريدة عبد العزيز بن محمد آل أبي عليان:

يقول جدّه يوم صوْلةْ هَلْ الدين   قادوه عليه ذاهبين الحمايل"[131]

ومما يدل على اقتناع أسرة آل علي بالدعوة وترحيبها بمن كانوا معها أنها ظلت مخلصة لها، وفية لمن أيدوها منذ تلك السنة، على أن دخول بلدان الجبل ضمن دولة الدرعية لم يكن يعني في حقيقة الأمر خضوع بادية قبيلة شمر لتلك الدولة، كما أنه لم يكن يعني بأية حال امتدادًا لنفوذ دولة

الدرعية على عشائر قبيلة شمر؛ التي كانت خارج تلك المنطقة- مثل الأراضي العراقية-؛ مما يؤكد ذلك أن كثيرًا من عشائر شمر القاطنة في منطقة الجبل انضمت إلى شريف مكة، وهجومه على الأراضي التابعة لدولة الدرعية 1205 هـ / 1790م[132].

وفي عام 1205 هـ/1790م سار سعود بجنوده المنصورة وقصد عالية نجد وأغار على فرق مطير- رئيسهم الحميداني- وأسلاف غيرهم، وهم في أرض الجريسية، فسبقه النذير فانهزموا والقدر لا يرد عن المنهزم والواقف. فلحقهم سعود وصحبهم بأرض الجريسية فركبت العربان الخيل، وكرَّ عليهم المسلمون. فحصل قتال شديد فولوا منهزمين، وقتل منهم نحو خمسين رجلًا، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والأمتعة والأثاث والزاد والإبل والغنم. وفي السنة التي كانت قبل هذه غزا قاعد بن ربيع بن زيد الدوسري بجيش من قومه، وقصد بني هاجر، ومعه هادي بن قرملة وأحمد بن بخان، فخانه بعض قوم قاعد وخذلوه، وثبت معه ابن قرملة وابن بخان، فاشتد الكرب على المسلمين ووقع القتال والجلاد، وقتل من المسلمين نحو العشرين، وأسر منهم رجال، وسميت هذه الوقعة بـ "الليلية" عند تلك البادية؛ لأن القتال وقع أكثره بالليل، فنقض العهد جماهر وحويل من أهل الوادي وأتباعهم. وفي هذه السنة- أعني الخامسة بعد المائتين والألف- سارت العساكر والجموع من مكة؛ سيرهم شريفها غالب ابن مساعد مع أخيه عبد العزيز الشريف إلى نجد؛ لمحاربة أهلها وقتالهم، فسار عبد العزيز المذكور بقوة هائلة، وعدد وعدة وعسكر كثيف يبلغ نحو عشرة آلاف أو يزيدون ومعهم أكثر من عشرين مدفع [133].

وكان قصدهم الدرعية ومنازلتها فضلًا عن غيرها من البلدان، وهذه الأحزاب رفعت إليه الرءوس ووقع منه شيء في النفوس؛ لأن أعداء هذا الدين إذا تطاولت إلى أحزاب ورأوا كثرة ما معهم من العدد والعدة، رجعوا بالفشل وخابوا، فلما رأوا أن الأمر جاء من الأشراف، أيقنوا بالهلكة للمسلمين والإتلاف وارتد كثير من العربان، وراسله أناس من أهل البلدان منهم: حسين الدويش رئيس مطير وعربانه، وتبين لأهل الباطل دخان، وأكثرهم نقض العهد وخان، وارتد معه كثير من قحطان، فأقبلت تلك العساكر والجنود وسار معهم كثير من بوادي الحجاز، وعربان شمر ومطير[134] وغيرهم، فملأ السهل والجبل، وسار في قلوب المسلمين منهم وجل، فنازلوا قصر بسام المعروف في السر، وحاصر أهله أكثر من عشرة أيام ونصبوا عليه المدافع وضربوه بها ضربًا هائلًا، وكادوه بأنواع القتال، وليس في ذلك القصر إلا نحو ثلاثين رجل من أهله ومن هتيم العوازم وغيرهم، فلما رأى الشريف امتناع هذا القصر وأنهم لم يعطوه الدنية رحل عنهم، وكان بناء هذا القصر ضعيفًا

وأهله ضعفاء، ولكن الله إذا قضى أمرًا كان مفعولًا، ونزل عبد العزيز الشريف في أرض السر وأقام أربعة أشهر، وكاتب الشريف غالب الشريف عبد العزيز، ثم عزم عبد العزيز على العودة إلى قصر بسام، وحلف أنه لايرحل عنه إلا هادمه وقاتل أهله، فعملوا السلالم ودهموا بها الجدار فلم يحصلوا على طائل، وقتل من قومه عدة رجال، وكان عبد العزيز- رحمه الله - لما أقبلت تلك الجنود مع الشريف، قد استنفر بلدان المسلمين مع ابنه سعود فتجهز غازيا، فسار بجنوده ونزل رمحين النفود المعروفة عند بلد أشيقر، وأقام فيها يخيف تلك الجنود ويخففهم، وفي أثناء ذلك أمر عبد العزيز- رحمه الله- على حسين بن مشاري ومعه أناس من العربان بالمغزا، فأغار على عربان الشريف، فأخذ منه إبلًا، ثم أمر سعود- رحمه الله- على نغيمش بن حمد المعروف في بلد التويم ومعه جمع من المسلمين يقصد وادي الدواسر؛ لأنه ارتد منهم أناس من قوم حويل وجماهر، ثم سار نغيمش وقصد ربيع ومبارك في الوادي، فلما قدم عليهم اجتمع معهما للجهاد، وساروا إلى عدوهم، فحصل بينهم قتال شديد فانهزم العدو، وقتل منهم عدة رجال منهم: آل شري وأربعة رجال، وقتل من المسلمين ثلاثة [135].

واقعة العدوة 1205 هـ/1790م:

إن كثيرًا من البوادي الذين ساروا مع الشريف قد انفردوا عندما رجع إلى مكة، وأكثرهم من قبائل مطير وقبائل شمر. ماغاب من هاتين القبيلتين إلا القليل، ورئيسهم يومئذ حصان ابليس، وانحازوا إلى الماء المعروف بالعدوة، وهو مزروع لشمر قرب حائل، فنهض إليهم سعود واستنفر أهل نجد البادي والحاضر، فسار بالجنود المنصورة والخيل العتاق المشهورة وقصدهم في تلك الناحية، فنازلهم ووقع بينهم قتال شديد، فانهزمت تلك البوادي وقتل منهم قتلى كثيرون من فرسانهم منهم: مسعود الملقب حصان إبليس، وسمرة المشهور رئيس العبيات[136].

وأبو هليبة من مطير وعدد كثير غيرهم، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، وهذه الوقعة في آخر ذي الحجة 1205هـ/1790م، فلما انهزم هؤلاء البوادي وأخذ المسلمون أموالهم استنفروا ما يليهم من قبائلهم وغيرهم ممن لم يحضر الواقعة، وأرسلوا إلى سعود يدعونه للمنازلة فانتصر سعود وجمع الغنائم[137].

وقد جاء رد فعل هذه الدولة على موقف تلك العشائر سريعًا″، كما كان منتظرًا″. فبعد رجوع شريف مكة إلى بلاده اجتمعت عشائر مطير وشمر- التي اشتركت مع الشريف في هجومه حول

العدوة القريبة من حائل- فقام الأمير سعود بن عبد العزيز بمهاجمتها وانتصر عليها. ثم جمع المنهزمون شتاتهم، واستنجدوا بمن حولهم من قبائلهم، وأقبلوا لمحاربة سعود والثأر منه. وكان قائدهم الزعيم الشمري مسلط بن مطلق الجرباء- الذي كان متحمسًا" للمعركة لدرجة أنه كان مصممًا"على مداهمة الصيوان الخاص بالأمير سعود نفسه. لكنه قتل دون الوصول إلى هدفه[138] وانهزم من كان معه، وغنم الأمير سعود وأتباعه منهم غنائم كثيرة قدرها كل من ابن غنام وابن بشر بأكثر من ستة الآف بعير، ومئة ألف من الغنم[139]. وبذلك خسرت قبيلة شمر خسارة مادية كبيرة، كما خسرت خسارة معنوية فادحة بفقدها أحد أبطالها المشهورين.

وكان من نتائج المعركة السابقة أن هاجرت فئات كثيرة من قبيلة شمر بزعامة مطلق الجرباء، من نجد إلى العراق حيث استقرت فيما بعد في منطقة الجزيرة، وأصبح لها نفوذ قوي هناك. وكما كان متوقعًا"ظل أولئك المهاجرون على علاقة غير ودية مع آل سعود في نجد. ولعل من أوضح الدلائل على ذلك غزو الأمير سعود بن عبد العزيز لهم قرب السماوة سنة 1212هـ/1797م؛ حيث قتل زعيمهم مطلق الجرباء، واشتراكهم في حملة الكيخيا على الموجهة من العراق ضد الأراضي السعودية 1213هـ/1798م[140] وإذا كان كثير من القبائل قد فضل البقاء خارج النفوذ السعودي، فإن قسمًا من هذه القبيلة قد انضم إلى دولة الدرعية بطريقة من الطرق.

ذلك أن ابن بشر في أثناء حديثه عن مقتل الإمام عبد العزيز بن محمد سنة 1218هـ/1803م، ذكر زكاة بادية قبيلة شمر من بين الزكوات التي كانت ترد إلى الدرعية[141] وكان من بين هذه العشائر الشمرية آل أسلم بزعامة ابن طوالة. وقد أصبح لهذه العشيرة من النفوذ في تلك الجهة ما عبر عنه أحد الشعراء بقوله:

حامينا من فيد إلى حد الاقور ومحرمين ضدهم لا يذوقه[142]

وكان من نتائج معركة العدوة المشار إليها سلفًا؛ تمكُّن نفوذ آل سعود في منطقة الجبل حاضرة وبادية على حد سواء. وبهذا التمكن أصبح بعض أولئك القوم ضمن جيوشها المقاتلة، وطبقا لما ذكره أحد المعاصرين لتلك الفترة قام أمير الجبل محمد بن علي 1207هـ /1792م بغزو قبيلة الشرارات في منطقة الجوف، وكان معه أربعمائة من الإبل وخمسون من الخيل. لكن نتيجة غزوه كانت فاشلة[143].

وبعد عام من ذلك التاريخ اشترك أهل جبل شمر بقيادة أميرهم محمد بن على مع القوات السعودية التي هاجمت الجوف. وقد نجحت تلك القوات في إدخال المنطقة المذكورة تحت الحكم السعودي(2) ومنذ دخولها تحت هذا الحكم ربطت "إداريًّا" بأمير حائل[144].

وفي سنة 1211 هـ /1796م اشترك أهل الجبل مع القوات السعودية التي أوكلت إليها مهمة صد حملة ثويني بن عبد الله، رئيس قبيلة المنتفق، الزاحفة من العراق إلى الأراضي السعودية[145] واستمرت إمارة جبل شمر مخلصة لدولة الدرعية، مساهمة في غزواتها وحروبها، منفذة لأوامر قادتها، ففي سنة 1221هـ/1806م كان الأمير محمد بن عبد المحسن بن على من بين الزعماء الذين أمرهم الإمام سعود ابن عبد العزيز بالمرابطة حول المدينة المنورة؛ لإجبار أمير حجاج الشام- عبد الله باشا العظم- على العودة إلى بلاده. وكان الإمام سعود يخشى أن يكون وصول عبد الله باشا إلى مكة، مع ما يصاحب الحجاج عادة من قوات "داعيًا" لثورة الشريف غالب ضد حكم آل سعود[146].

وفي سنة 1225هـ/1810م كان أهل الجبل مع زعيم الدولة السعودية في غزوة للبلاد الشامية، ونظرًا لوقوع جبل شمر في الطريق من المدينة المنورة وما حولها إلى العراق؛ فقد أوكل الإمام سعود إلى الأمير محمد بن عبد المحسن بن على مهمة مراقبة فريق من الجيش المصري العثماني، بقيادة عثمان الكاشف، في سيره إلى ذلك القطر المصري سنة 1228هـ/1813م -. وكان عثمان على رأس حامية من الجيش المذكور وقد استسلمت للإمام سعود في الحناكية؛ فأجبرها على الذهاب إلى العراق[147].

كذلك اشترك أمير جبل شمر مع القوات السعودية الأخرى في هجومها التأديبي الفاشل على عياد الذويبي الحربي قرب الحناكية سنة 1229هـ/1814م -[148]. وكان أهل الجبل "أيضا" مع الإمام عبد الله ابن سعود في القصيم حين وصل إلى هذه المنطقة طوسون باشا بن محمد على سنة 1230هـ/1815م ، كما كانوا معه حين قام بتأديب بعض أهالي وبوادي تلك المنطقة بعد انسحاب طوسون باشا منها[149].

وكانت منطقة جبل شمر من المناطق السعودية الأولى التي تعرضت لهجمات إبراهيم باشا ابن محمد على حاكم مصر. من تلك الحملة التي سارت من الحناكية، والتي كانت مكونة من ستمائة فارس تركي وألف فارس من البدو، إضافة إلى خمسة آلاف رجل من رجال القبائل التي انضمت

إلى إبراهيم باشا[150] وحين تمكن هذا القائد من القضاء على دولة آل سعود 1233هـ/1818م قام هو ورجاله بإجراءات تعسفية ضد أهالي البلاد التي استولى عليها.

وكان من تلك الإجراءات قتل بعض زعماء المناطق، خاصة من اشتهر منهم بحماسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وكان ممن ذهب ضحية ظلم ذلك القائد ورجاله أمير جبل شمر، محمد بن عبد المحسن وأخوه علي[151].

وفي سنة 1237هـ/1822م أتت إمدادات جديدة من مصر إلى نجد لدعم نفوذ محمد على في هذه المنطقة، وقد ذهب القائد حسن أبو ظاهر إلى جبل شمر، وأجبر سكانه على دفع الزكاة إليه منذ عودة إبراهيم باشا من نجد إلى بلاده، كما قام بإغراءات مالية جائرة. ولم يكتفِ بذلك وإنما قتل "ستين رجلًا" من سكان إحدى البلدان الواقعة شمال حائل[152].

وبعد انتصار الإمام تركي بن عبد الله آل سعود على بقايا القوات المرسلة من قبل حاكم مصر، وإجبارها على الرحيل من نجد، استتب له الأمر في سائر أنحاء هذه المنطقة. وكان جبل شمر من الأماكن التي دخلت تحت نفوذه، وقد انضمت إمارة الجبل إلى دولة الإمام تركي بن عبد الله سنة 1242هـ/1827م. وذلك أحد قولي ابن بشر[153]، ولعل مما يؤيد هذا الترجيح أنه توجد ورقة فيها حكم شرعي يتعلق بقصر قرب حائل، وقد كتبها الشيخ أحمد بن سليمان بن عبيد في سنة 1242هـ / 1827م[154]. ومن المحتمل جدًّا أن ذلك الشيخ- وأصله من جلاجل – كان معينًا من قبل حكومة الإمام تركي في الرياض. ذلك أنه كان من عادة الحكومة السعودية أن ترسل قضاة إلى منطقة الجبل بصفة خاصة. وفي سنة 1243هـ/1828م ـ حسبما ورد عند "ابن بشر "وفد عيسى بن على رئيس جبل شمر على الإمام تركي ومعه رؤساء قومه، فبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة"[155].

كان أمير منطقة الجبل في تلك الفترة صالح بن عبد المحسن بن علي. وكان قد تولى الإمارة- على الأرجح- بعد مقتل أخيه محمد بأيدي رجال إبراهيم باشا سنة 1234هـ/1819م ، كما ذكر سابقًا[156]. ورواية ضاري الرشيد عن بداية الخلاف بين الأمير صالح، وبين كل من عبد الله وعبيد تبدو مقبولة بوجه عام، وإن كانت بعض تفصيلاتها غير واضحة. وتشير هذه الرواية إلى أنه كان هناك نزاع بين بادية جبل شمر وبين فريق من قبيلة عنيزة برئاسة سعدون العواجي وابنيه

عقاب وحجاب. وكانت كفة سعدون وأتباعه راجحة لدرجة أنهم وصلوا إلى منطقة قريبة من حائل ذاتها، وضايقوا باديتها.

وكان متوقعًا أن تتحرك حاضرة تلك البلدة لمساعدة بادية الجبل. لكن الأمير صالح بن عبد المحسن، كما يدعي ضاري، لم يكن ذلك القادر على اتخاذ موقف قوي في صالح سكان الجبل. وقد أدى ذلك إلى خروج جماعة من أهل حائل، وفي مقدمتهم عبد الله وعبيد، لنجدة باديتهم دون موافقة الأمير، أو دون استشارته. وكان لوصولهم إلى أرض المعركة أثر في تغيير مجراها لصالح شمر. واضطرت قبيلة عنيزة إلى الانسحاب[157].

وإذا كان ما ذكره ضاري صحيحًا – وهو قابل للصحة – فإن الانتصار المذكور قد زاد- بدون شك- من مكانة عبد الله وعبيد لدى مجتمعهما، كما زاد من ثقتهما وطموحهما إلى الزعامة.

وفي نفس الوقت لابد أن ذلك الانتصار قد ولَّد الغضب عليهما والخوف منهما في نفس الأمير صالح. وكانت النتيجة أن أجبرهما على مغادرة البلاد[158].

والمشهور أن عبد الله وأخاه عبيدا، بعد نفيهما من حائل، اختفيا فترة في مكان معيَّن من أجا. ويبدو أن المقربين كانوا يعرفون ذلك المكان. ويبدو- أيضا- أن زوجة عبد الله قد ذهبت إليه هناك برفقة أحد هؤلاء وهو حسين بن جراد[159].

وفي قصيدة عبد الله، التي يخاطب فيها حسينًا ويدعوه إلى الرفق بتلك الزوجة، ما يوحي بذلك:

يا حسين والله ما لها بت رجلين	يا حسين شيّب بالضمير هكعانه[160]
ارفق بها يا حسين واتبع بها اللين	والي مشت يا حسين فامش مشيانه[161]
ارفق بمضنون سكن حاجـرا	واشلق لها من راس ردنك ليانه[162]
يا حسين مايشتك(5) كود الرديّيـن	والا تري الطيّب وسيع بطانـه[163]

وربما كان هناك أساس من الصحة لما ذكره هوبير من أن عبد الله وعبيدا كان يتسلَّلان من مخبئهما إلى حائل خلال الليل أحيانًا. وإذا قبل- أيضا- ما ذكره هذا الرحَّالة من فشل خطة أمير تلك البلدة في اعتقالهما، واحتيال عبد الله بأحد عبيده وقتله[164] فإن ذلك- حتمًا- سيزيد من حنق الأمير عليهما. فكان منه ما ذكره ضاري الرشيد من حدَّة بلغت إلى درجة إخراج أمِّهما من حائل في حال شاقة. وذلك ما تتضمنه قصيدتها التي تقول فيها:

يا نور عيني يا مودّة فـؤادي ماكنيّ الا من خمام الدراويش[165]

جلّون بالقيظ الحمر عن بلادي وديرة هلي فوقي كماغبّة الهيش[166]

عسي يجي عدل وممشاه قادي وتكثر عذار اللّي يدور التحاويش[167]

ومن المرجَّح أنه بعد تلك الحوادث ذهب عبد الله مرة أخرى إلى العراق، وبقي أخوه عبيد مع أسرتهما في أحد الأماكن من منطقة الجبل. ويفهم من عبارة ضاري الرشيد أن عبد الله قد اشترك مع زعيم شمر، صفوق الجرباء، في حربه ضد والي بغداد "داود باشا"[168]. والحادثة الوحيدة التي ذكرت المصادر أن ذلك الزعيم خرج فيها على داود كانت سنة 1247هـ/831م، حين وقف مع على رضا ضده[169].

ومن المرجَّح أن عودة عبد الله بن رشيد الأخيرة من العراق إلى نجد كانت خلال سنة 1247 هـ/1831م، أو في بداية السنة التي تلتها. كما أنه من المرجَّح أن التحاقة بالإمام تركي بن عبد الله في الرياض تمَّ بعد هذه العودة. أمَّا ما ذكرته بعض المصادر من أنه التحق بالإمام المذكور قبل سنة 1243 هـ/1827م، وأنه ساعده في إجبار أمير جبل شمر على الاعتراف بالتبعية لذلك الإمام[170] فيبدو غير صحيح. والواضح من كلام ابن بشر- المؤرخ المقرب من الإمام تركي- أنه لم يقع أي إجبار على أمير الجبل للانضمام إلى دولة الرياض، كما ذكر سابقًا[171]. ومن المستبعد أن يكون عبد الله ابن رشيد قد التحق بالإمام تركي قبل التاريخ المذكور، وأن يكون على صلة وثيقة بابنه فيصل، دون أن يرد اسمه في الأحداث المهمَّة التي وقعت بين سنة 1242هـ / 1826م، وبين مقتل ذلك الإمام آخر سنة 1249 هـ/1833م.

وعلى أية حال، فإن عبد الله بن رشيد قدم إلى الإمام تركي بن عبد الله في الرياض ومعه من الصفات ما يشجِّع الحاكم على اكتسابه، وعنده من التجربة في بلدته وخارجها ما يؤهله لاحتلال منزلة رفيعة لديه. وكان قد أصبح من الأصدقاء المقربين إلى ابنه فيصل بصفة خاصة. ومن هنا، كان من كبار الذين رافقوا ذلك الأمير في غزوته إلى جهة القطيف سنة 1249هـ/ 1833م[172]. ومنذ هذه الغزوة بدأت خطوات عبد الله المهمَّة نحو إمارة بلده جبل شمر.

بينما كان فيصل وأتباعه في المهمَّة المذكورة سابقًا قدم إليه أحد مماليك أبيه المشهورين – واسمه زويِّد – حاملًا معه خبر اغتيال سيده- الإمام تركي- بمؤامرة دبَّرها مشاري بن عبد الرحمن آل سعود، وإجبار هذا الأخير سكان العاصمة على مبايعته بالحكم[173].

وبناءً على ما ذكره ابن بشر فإن فيصل بن تركي أبقى الخبر الذي حمله إليه زويِّد سرًّا، ورحل بأتباعه من جهة القطيف إلى الأحساء. وعلى مقربة من هذه البلدة جمع زعماء قومه وأطلعهم على ما حدث في الرياض فبايعوه على السمع والطاعة واجتمعت الكلمة على السير من هناك، والإسراع إلى محاربة مشاري[174].

ومن الملاحظ أن ابن بشر خصَّ عبد الله بن رشيد من بين أولئك الزعماء بقوله: وكان ذا رأي وشجاعة. وهذا يؤيد ما هو متداول بين كثير من الرواة النجديين من أن عبد الله كان صاحب فكرة إخفاء نبأ مقتل الإمام تركي، والتوجُّه بسرعة إلى الرياض[175]. وعلى أية حال، فإن دور عبد الله لم يقف عند حدِّ المشورة والتخطيط – وإن كان ذلك بحدِّ ذاته مهمًّا جدًّا – وإنما تجاوز ذلك إلى العمل والتنفيذ، كما سيأتي ذكره بعد قليل.

هذا وقد وصل فيصل بن تركي بأتباعه من المنطقة الشرقية إلى الرياض بعد مقتل أبيه بثمانية عشر يومًا فقط[176]. وكان واضحًا منذ وصوله إلى هذه البلدة أن كفته راجحة على كفة خصمه. فتقدير سكانها للإمام تركي كان عظيما. واغتياله قد ترك- بدون شك- أثرًا عميقًا في نفوسهم، وجعلهم مستعدين للوقوف مع من سينتقم من مغتاليه. ولعل أكبر دليل على ذلك أن من كانوا قد وضعوا في بروج أسوار المدينة للدفاع عنها فرحوا برؤية فيصل ورجاله، وساعدوا أتباعه في الدخول إليها. وحين وقع الحصار على مشاري بن عبد الرحمن في القصر كان معه مائة وأربعون رجلًا. وكان من بين هؤلاء سويِّد بن علي، الذي كانت تربطه بعبد الله بن رشيد صداقة قديمة حين كانا في العراق،[177]. ولم يكن غريبًا أن يوجد سويِّد بن على إلى جانب مشاري بن عبد الرحمن؛

فعلاقته بالإمام تركي قد أصبحت غير طيبة في نهاية الأمر، كما هو واضح من عزله عن إمارة جلاجل أواخر سنة 1247هـ/1831م -[178]. وكان يهمُّه- في الدرجة الأولى- أن يجد طريقة إلى إمارة بلدته مرة أخرى. ومن هنا أسرع إلى الانضمام إلى المسيطر الجديد على أمور العاصمة، آملا أن يحصل على هدفه[179].

وكانت نهاية مشاري بن عبد الرحمن بعد بدء محاصرته في القصر معروفة. فلم تكن مسألة انهياره والقضاء عليه إلا مسألة وقت فقط. ذلك أن فيصل بن تركي المحاصر له كان يحظى بتأييد سكان العاصمة. ومن المرجَّح أنه كان يحظى- أيضا- بتأييد غيرهم من المناطق الأخرى. ويبدو أنه لم يكن لدى مشاري من المؤن والعتاد ما يمكِّنه من الصمود مدة طويلة. ومن الصعب قبول مبالغة ابن بشر الظاهرة حين يقول عنه وعن رجاله الذين كانوا معه:

"وهم في حصن حصين، وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين فوق كمين، وعندهم من الأزواد وفواكه المطاعم ما لو حاربوا مائة سنة لكفاهم" [180].

ومن الواضح أن هدفه من كلامه هذا التأكيد على أن الظلم مرتعه، وعلى أن الله كان بجانب صديق ذلك المؤلف، الإمام فيصل. وطبقًا لما ذكره هذا المؤرخ فإن فريقًا ممن كانوا محاصرين مع مشاري فقدوا الثقة بموقفهم؛ فنزلوا من القصر بعد عشرين يومًا من بدء الحصار، وأخبروا أتباع فيصل بن تركي أن الخوف قد دبَّ في نفوس المحاصرين.

وبعد يومين من نزول هؤلاء، طلب بعض من كانوا في القصر من سويِّد بن على أن يأخذ لهم أمانًا من فيصل. وكان سويِّد قد اتصل به، وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر، إلا من باشر قتل الإمام تركي أو ساعد على قتله.

وحين وافق فيصل على ذلك أدليت حبال من القصر، فتسلق بواسطتها أربعون رجلًا بقيادة عبد الله بن رشيد وبداح العجمي وعبد الله بن خميس. وقد نجح هؤلاء في قتل مشاري وعدد من رجاله وأخرجوا جسده ورأسه من القصر ليراه الناس، وكان ذلك في الحادي عشر من شهر صفر سنة 1250هـ/1834م [181].

ويلاحظ أن ابن بشر لم يبيِّن كيف تمت عملية اتصال سويِّد بفيصل، كما يلاحظ أنه قال عن ابن رشيد "الليث الشجاع والصارم القطَّاع". وهذا وذاك يدلَّان على أن الروايات التي أبرزت دور

عبد الله بن رشيد الكبير في هذه القضية راجحة جدًّا.

أمَّا ضاري الرشيد فيقصُّ خبر محاصرة مشاري وما نتج عنها بصورة تختلف عمَّا رواه ابن بشر في بعض التفصيلات، لكنها تقترب كثيرًا مما يرويه كثير من الرواة المحلِّيِّين. ذلك أنه يقول ما معناه إن عبد الله بن رشيد أخبر ذات ليلة بمكان سويِّد بن على في القصر فاستأذن فيصل ابن تركي في الاتِّصال به للصداقة القديمة التي كانت تربط بينهما[182]. وحين أذن له اقترب من المكان الموجود فيه سويِّد، وكلَّمه بكلام يدل على شخص من تكلَّم به. واتفقا على أن يبعث سويِّد في الليلة التالية رأيه في القضية وموقفه منها. وكان سويّد قد قال لعبد الله إنه مغلوب على أمره، وإنه يودُّ أن يعرف ماذا سيحصل عليه مقابل التعاون مع فيصل. وقد فسَّر عبد الله تساؤله هذا للإمام فيصل بأنه يريد رئاسة بلده له ولأولاده من بعده. وحين وافق الإمام على ذلك عرض سويِّد على عبد الله أن يصعد إلى القصر بالحبال، ومعه ثلاثون رجلًا من الشجعان. وأخبره أنه مع عشرة من الذين تشابه أوضاعهم وضعه سوف يعاونونهم، أو على الأقل سيقفون على الحياد بينهم وبين مشاري ورجاله.

وحين صعد عبد الله ومن معه إلى القصر، وعلم بهم مشاري دارت بينه وبين عبد الله مشادَّة كلامية. وفي الصباح بدأت المعركة بين الطرفين، وأصيب مشاري برصاصة من أحد أتباع عبد الله وتفرق رجاله إلا واحد من عبيده الأقوياء ظل يقاوم ببسالة[183]. وحين أعياهم أمره فكَّر عبد الله في حيلة للإيقاع به، فاختفى في مكان معيَّن وباغته من الخلف. وكان قد اتفق مع أصحابه أن يسرعوا إليه حين يسمعون نداءه. ولما فعل ذلك أتوا إليه؛ وكانت النتيجة أن قُتل ذلك العبد. وقد أصيب عبد الله بجروح في يديه من جراء شدِّ العبد سلاحه عليهما. أمَّا مشاري فقد لجأ إلى مسجد القصر، وفتح المنتصرون الباب فدخل فيصل وأغلظ لمشاري القول. ثم أمر بإخراجه من المسجد وقتله[184].

تعيين عبد الله بن رشيد أميرًا لجبل شمر والنتائج المترتبة على ذلك:

لقد كان رسوخُ مكانة عبد الله بن رشيد لدى الإمام فيصل بن تركي إثر القضية السابقة؛ عاملًا يكاد يكون كافيًا لتوليته إمارة جبل شمر، التي كان يطمح إليها بدون شك. ولذلك فإن بعض المصادر تشير إلى أن الإمام فيصلًا عزل صالح بن عبد المحسن بن على عن إمارة حائل وولَّى مكانه عبد الله بن رشيد، معلِّلة ذلك بأنه مكافأة لعبد الله على دوره في القضاء على مشاري بن عبد الرحمن[185].

وجدير بالذكر أنه تمَّ القضاء على مشاري بن عبد الرحمن قبل منتصف الشهر الثاني من سنة 1250 هـ/1834م. وطبقا لما ذكره ابن بشر فإن الإمام فيصل بن تركي قد خرج من الرياض غازيًا في آخر شهر شوال من تلك السنة. ودخلت السنة التي تليها وهو لا يزال في غزوته في منطقة الشعراء. وهناك عزل صالح بن عبد المحسن عن إمارة الجبل، وعيَّن مكانه عبد الله بن على ابن رشيد[186].

وروايته هذه قابلة لأن يكون التعيين قبيل نهاية سنة 1250هـ، أو في بداية السنة التالية لها. أما المؤرخ مقبل الذكير فيقول: إن تعيين عبد الله بن رشيد في الإمارة كان سنة 1251هـ/1835م [187]. ويجعل الزركلي ذلك التعيين في آخر هذه السنة[188].

ومن الواضح أن رواية ابن بشر- من بين الروايات السابقة- تعطي أقصر مدة بين القضاء على مشاري بن عبد الرحمن، وتعيين عبد الله بن رشيد أميرًا على جبل شمر. ولو أخذ برواية هذا المؤرخ المعاصر لتلك الحادثة – وهي فيما يبدو أقرب إلى الصحة – فإن الدارس يلاحظ نقطة مهمة؛ ألا وهي أن تعيين عبد الله في الإمارة المذكورة لم يحدث مباشرة بعد القضاء على مشاري، وإنما أتى بعد ذلك بثمانية شهور على الأقل. ومن هنا يتَّضح أن دور عبد الله في قضية مشاري- وإن كان قد رسَّخ مكانته لدى الإمام، وقرّبه من تولِّي إمارة الجبل- فلم يمنع ذلك الإمام من التريث في هذا الموضوع بعض الوقت.

والمتأمل في المصادر التاريخية يرى أن علاقة أمير الجبل، صالح بن عبد المحسن بحكومة الرياض- لم تكن علاقة سيئة آنذاك. ولعلَّ مما يوضح ذلك أن أهل تلك المنطقة قد اشتركوا مع الإمام فيصل في غزوته لوادي الدواسر سنة1250هـ[189].

وبعد شهور من تولِّي الإمام فيصل بن تركي الحكم عزل صالح بن عبد المحسن بن على عن إمارة جبل شمر[190]، وعيَّن بدلًا منه عبد الله بن رشيد. وقد نتج عن ذلك خلاف شديد بين الأمير المعزول والأمير الجديد. وكانت نهاية ذلك الخلاف إخراج آل على من حائل، ثم القضاء على صالح بن عبد المحسن وأكثر أفراد أسرته.

ومع أن عبد الله بن رشيد فقد الإمارة عن طريق القوة التي بعثها إسماعيل بك وخالد بن سعود مع عيسى بن علي، إلَّا أنه عاد إليها بعد فترة قصيرة بقوته الذاتية، ومباركة القائد خورشيد

وتأييده. ولقد تمكن من توطيد نفوذه في منطقة جبل شمر والمناطق القريبة منها شمالًا خلال السنوات الواقعة بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى والثانية. وكان من أبرز ما حققه من نجاح- في تلك المدة - انتصاره العظيم على أهل القصيم وحلفائهم من عنيزة في معركة بقعاء سنة 1257هـ/1841م [191].

وحينما غادر الإمام فيصل بن تركي مصر، سنة 1259 هـ/1843م ، قدم إلى عبد الله بن رشيد في حائل فأكرمه، وسار تحت رايته حتى استولى على الرياض، وقبض على عبد الله بن ثنيان[192]. وظل صديقا حميمًا للإمام فيصل، وزعيمًا تربطه علاقة خاصة من ملامحها أنه كان مستقلًا في غزواته شمالي الجزيرة العربية، وأنه كان يحتفظ بزكاة البلدان التابعة له إداريًّا، أو بأكثر تلك الزكاة على الأقل[193].

وكان فيصل بن تركي- حين قُتل والده- على رأس قوات ذهبت إلى جهات القطيف في شرقي البلاد للقضاء على فتنة قامت هناك. فعاد مسرعًا إلى الرياض ودخلها، وحاصر مشاري بن عبد الرحمن؛ الذي اتخذ من قصر الحكم فيها معتقلًا له. ولم يمض أربعون يومًا على مقتل الإمام تركي إلَّا وقد قضي على مدبِّر قتله[194].

وهكذا بدأت الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي. لكن ما إن استقرت له الأوضاع داخليًّا حتى لاحت في الأفق بوادر خطر خارجي موجَّه إليه؛ فقد أرسل محمد على باشا حملة جديدة إلى نجد جعل قيادتها الاسمية لخالد بن سعود[195]، الذي كان في مصر منذ نهاية الدولة السعودية الأولى، وقيادتها العسكرية لإسماعيل بك. ووصلت تلك الحملة إلى القصيم أواخر سنة 1252 هـ / شهر مارس عام 1837م، وتوجَّه الإمام فيصل بأتباعه إلى ذلك الإقليم لصدها، وحدثت بينه وبينها اشتباكات؛ رأى بعدها أن يعود إلى الرياض فعاد إليها، ثم غادرها إلى الأحساء. أما خالد بن سعود وإسماعيل بك فدخلت في طاعتهما بلدان القصيم، وأرسلا قوة إلى جبل شمر؛ ومعها عيسى ابن على من أسرة أمراء ذلك الجبل السابقين، فأدخلته تحت رايتهما. ثم توجه القائدان المذكوران إلى الرياض فدخلاها دون مقاومة، في السابع من صفر عام 1253هـ / في 13 مايو عام 1837م.

على أن خالد بن سعود وإسماعيل بك حلَّت بهما هزيمة قرب بلدة الحلوة في جنوبي نجد، عندما حاولا إخضاع بلدان تلك الجهة لطاعتهما، وعادا إلى الرياض، فتوجه الإمام فيصل من الأحساء إلى الخرج، وراح يقاوم قوات محمد على حتى ضيَّق عليها. وكان هذا مما دفع حاكم مصر

إلى إرسال تعزيزات جديدة إلى نجد بقيادة خورشيد باشا، الذي وصل إلى الرياض، ثم توجه منها لمحاربة الإمام فيصل. ودارت بين الطرفين اشتباكات في جهة الدلَّم، واضطر ذلك الإمام- في العشر الأواخر من رمضان سنة 1254هـ / ديسمبر 1837م- إلى إنهاء الحرب على أن يؤمِّن أتباعه، ويذهب هو إلى مصر. وبذلك انتهت فترة حكمه الأولى[196].

ولم يستمر خالد بن سعود طويلًا في حكم البلاد. ذلك أن معاهدة لندن المشهورة، سنة 1256هـ / 1840م، فرضت على محمد على أن يسحب قواته من جزيرة العرب وبلاد الشام. وما إن انسحب خورشيد بقواته من نجد حتى ثار عبد الله بن ثنيان على خالد بن سعود، الذي لم يبق لديه إلا حامية صغيرة. واضطر خالد إلى مغادرة نجد، وتولَّى ابن ثنيان مقاليد الأمور محلَّه؛ وذلك في نهاية عام 1257هـ / 1842م[197].

وفي عام 1259هـ/1844م خرج فيصل بن تركي من مصر، ووصل إلى جبل شمر حيث وقف معه الأمير عبد الله بن رشيد. ثم انطلق من هناك لاستعادة حكمه. ولما اقترب من القصيم انضمت إليه بلدة عنيزة، فانسحب من ذلك الإقليم عبد الله بن ثنيان، الذي كان قد توجه إليه بتحريض من أمير بريدة عبد العزيز بن محمد آل عليان. واستتب الأمر لفيصل هناك، ثم واصل المسيرة حتى دخل الرياض، وحاصر ابن ثنيان في قصر حكمها ثلاثة أسابيع دارت خلالها مفاوضات بين الطرفين عن طريق عبيد بن على بن رشيد[198]. ثم انتهى الأمر بمحاولة ابن ثنيان الهروب، وإلقاء القبض عليه وسجنه؛ وذلك في منتصف جمادى الأولى عام 1259هـ / في 2 يونيو عام 1843م[199].

وهكذا بدأت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية، التي دامت حتى وفاته في الحادي والعشرين من رجب سنة 1282هـ / في 9 من ديسمبر 1865م[200]. ولقد تمَّ لذلك الإمام توحيد ما سبق أن وحَّده من المناطق في فترة حكمه الأولى. لكن فترة حكمه الثانية شهدت مشكلات داخلية في طليعتها مشكلة قبيلة العجمان، ومشكلة زعماء القصيم.

أمَّا مشكلة العجمان فبدأت عام 1261هـ/1845م عندما قام زعيمها، فلاح بن حثلين، بالهجوم على قافلة من الحجاج، وقتل عددًا من رجالها، وأخذ ركائبها ممَّا أدى إلى موت بعض من لم يقتلهم ظمأً. وقد قبض عليه الإمام فيصل، وقتله في العام التالي[201].

ثم قام ابنه راكان- بعد تولّيه زعامة القبيلة- بأخذ إبل لذلك الإمام سنة 1276هـ/1859م. فأرسل إليه الإمام جيشًا بقيادة ابنه عبد الله، فهاجمه في الجهراء، وأنزل به هزيمة كبيرة. على أن راكان لم يركن إلى الدعة، بل واصل هجماته على القوافل؛ فأرسل إليه الإمام ابنه عبد الله مرة ثانية، بجيش هاجمه في الجهراء، أيضا، سنة 1277هـ / 1861م. ولما احتدم القتال، أصبح راكان ومن معه بين جيش عبد الله الذي كان يشدِّد ضرباته لهم، وبين البحر. فمات كثير منهم؛ قتلًا أو غرقًا. ولذلك سُمِّيت تلك المعركة معركة الطبعة، أو سنة الطبعة؛ أي الغرق[202].

وأمَّا مشكلة القصيم فتعود جذورها إلى سنة 1254هـ/1838م عندما حاول عبد الله بن رشيد- أمير جبل شمر حينذاك- أن يعتدي على أحد الذين لجئوا إلى بريدة من أمراء الجبل السابقين. فخرج إليه عبد العزيز بن محمد أمير بريدة، وقتل ستة من رجاله، وأخذ كثيرًا مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. وتطوَّر الخلاف بين الطرفين حتى تمخَّض عن وقوف أهل القصيف كلهم مع حلفائهم من قبيلة عنيزة ضد أمير جبل شمر وأتباعه من قبيلة شمر وغيرها، والتقاء الطرفين في معركة عنيفة في بقعاء في 2 من جمادى الأولى عام 1257هـ / 21 من يونيو عام 1841م. وكان النصر في تلك المعركة لأمير الجبل وأتباعه[203].

وتجدَّد الخلاف بين هذا الأمير وبين أهل عنيزة بالذات في فترة حكم الإمام فيصل الثانية، ثم تطوَّر ذلك الخلاف – إثر ظروف متعدِّدة – إلى خلاف مع الإمام نفسه. وأصبحت في القصيم ثورة عامة بقيادة عبد العزيز بن محمد آل عليان أمير بريدة، سنة 1265هـ/1849م - فتوجه الإمام بقواته إلى هناك، ولم يعد إلا وقد اطمأن إلى قضائه على تلك الثورة. وكان من الإجراءات التي اتخذها تعيين أخيه جلوي أميرًا للقصيم، ومقره في عنيزة[204]. لكن أمراء هذه البلدة من آل سليم وأعوانهم أخرجوه منها عام 1270هـ/1853م. فجهز الإمام فيصل جيشًا بقيادة ابنه عبد الله لمحاربة من أخرجوا أخاه. ووصل عبد الله بمن معه إلى وادي عنيزة أواخر ذلك العام، فخرج إليه أهلها، وحدثت بينه وبينهم معركة قتل فيها أعداد من الطرفين. ثم حاصر البلدة قرابة ثلاثة شهور حتى توصل معهم إلى صلح تمَّ بموجبه بقاء الإمارة لآل سليم، بقيادة عبد الله بن يحيي، على أن يقدم هذا المذكور إلى الإمام فيصل ليبايعه شخصيًّا. غير أن مشكلة القصيم لم تنته. ففي عام 1275هـ /1859م عزل الإمام فيصل ابن عبد العزيز بن محمد آل عليان عن إمارة بريدة؛ فثارت مشكلات بسبب ذلك، وأعاده إلى الإمارة. ولما انتهت معركة عبد الله بن فيصل مع العجمان، سنة 1277هـ/1861م ـ، توجه إلى القصيم. وظن عبد العزيز ابن محمد أنه يريد القبض عليه، فخرج من بريدة إلى عنيزة، ومن ثمَّ خرج متجهًا إلى الحجاز. غير أن عبد الله بن فيصل

بعث إليه سريَّة مع أخيه محمد، فلحقت به في الشقيقة قرب عنيزة، وقتل هو وعدد من أبنائه وأقاربه. ويبدو أن مقتل عبد العزيز في مكان يعده أمير عنيزة حمى لبلدته؛ كان من أسباب تجدد الخلاف بين ذلك الأمير وحكومة الإمام. وتطوَّر الخلاف إلى حرب بين الطرفين بدأت في شوال سنة 1278هـ / أبريل1862م.

وكان قائد القوات التابعة للإمام في بداية الأمر عبد الرحمن بن إبراهيم، أمير بريدة بعد عبد العزيز بن محمد، ثم محمد بن فيصل، ثم عبد الله بن فيصل. وقد استمرت الاشتباكات بين الطرفين حوالي سنة كاملة. لكن المعركتين الكبيرتين في تلك الاشتباكات كانتا معركة رواق، التي انتصر فيها أهل عنيزة على ابن إبراهيم ومن معه، والمعركة المسمَّاة كون المطر، التي انتصر فيها أهل عنيزة في بداية الأمر على عبد الله بن فيصل، لكن المطر نزل فأبطل مفعول أسلحتهم من البنادق التي تثور بالفتيل، وقتل منهم عدد كبير. وانتهى الأمر إلى صلح مشابه لصلح عام 1270هـ/1853م ؛ وهو أن يحضر عبد الله بن يحيى بن سليم إلى الرياض ليجدِّد البيعة للإمام فيصل؛ مقابل بقائه في الإمارة. وقد كان لطلال بن رشيد جهد في إتمام الصلح الأخير[205].

ولما توفي الإمام فيصل بن تركي، في التاسع من رجب عام 1282هـ / ديسمبر 1865م، خلفه في الحكم ابنه عبد الله، لكن أخاه سعودًا اختلف معه، وخرج من الرياض مغاضبًا له في العام التالي. ودارت بين قوات عبد الله، بقيادة أخيه محمد، وسعود وأتباعه معركة في المعتلي بوادي الدواسر عام 1283هـ/1866م[206]. فهزم سعود، وأصيب بجراح؛ فذهب إلى جهات البريمي، ثم ذهب إلى البحرين. وفي عام 1287هـ/1870م قدم بأتباع إلى إقليم الأحساء، وانضم إليه من انضم من رجال القبائل خاصة العجمان، فجهَّز أخوه عبد الله حملة بقيادة أخيه محمد لصدِّه. والتقى الأخوان مرة أخرى في جودة في السابع من رمضان من ذلك العام، فانتصر سعود. وكان من نتائج ذلك أن توجه إلى الرياض، التي كان أخوه عبد الله قد غادرها، ودخلها سنة 1288هـ/1871م. ولضعف موقف عبد الله عسكريًّا استنجد بوالي بغداد العثماني، الذي انتهز الفرصة لإدخال منطقة الأحساء والقطيف المهمَّة تحت نفوذه. وبذلك خرجت تلك المنطقة من الحكم السعودي[207].

علاقة عبد الله بن رشيد بالإمام فيصل بن تركي:

في بداية سنة 1259هـ/1843م خرج فيصل بن تركي آل سعود من مصر، واتجه إلى جبل شمر، يحدوه الأمل في استعادة حكمه على البلاد[208]. ولم يكن مستغربًا ولا غير متوقع أن يجد

فيصل كل ترحيب وتأييد لدى أمير الجبل، عبد الله بن رشيد. فالصداقة بينهما قديمة ومتينة. وتبادل المنافع السياسية بينهما قد مر بتجربة ناجحة[209]. والتقاليد العربية تحتِّم على عبد الله أن يبذل كل ما يستطيع للوقوف بجانب من قصده. والأمير عبد الله كان في وضع قويٍّ من الناحيتين السياسية والعسكرية، خاصة بعد انتصاره العظيم في معركة بقعاء، التي رفعت سمعته كثيرًا في أنحاء المنطقة. ولذلك كان في إمكانه أن يعمل الشيء الكثير من أجل صديقه وضيفه فيصل بن تركي. وبالإضافة إلى ما تقدم فإنه لم يكن لعبد الله بن ثنيان على منطقة جبل شمر نفوذ، كما ذكر سابقًا.

وهكذا أسرع عبد الله بن رشيد إلى استقبال فيصل بن تركي، وبايعه بالإمامة. وانطلق يدعمه بكل إمكاناته ضد عبد الله بن ثنيان. وصار فيصل من الجبل نحو الرياض وكثيرٌ من خطواته تتمُّ بمشورة عبد الله بن رشيد. وكان النصر في نهاية المطاف للإمام فيصل بن تركي، وذلك في نفس السنة المذكورة سابقًا. هذا وقد أدَّى عبيد بن رشيد دورًا بارزًا في أثناء زحف الإمام إلى الرياض حتى استولى على مقاليد الأمور فيها. فقد كان مع جلوي بن تركي- ومعهما بعض الأتباع- بمثابة طليعة تذلُّل بعض العقبات أمام الجيش المرافق للإمام. وقد بلغ دور عبيد درجة جعلت عبد الله ابن ثنيان، بعد أن حوصر في الرياض، يحاول أن تتم المصالحة بينه وبين فيصل بن تركي على يديه[210].

وقد ظلت العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي وبين الأمير عبد الله بن رشيد قوية ممتازة. وكانت في حقيقة الأمر علاقة خاصة تختلف عن أية علاقة كانت قائمة بين ذلك الإمام وبين أمراء المناطق الأخرى. لقد جمعت هذه العلاقة بين مشاعر الودِّ والصداقة التي يكنهُا كل واحد منهما للآخر وبين الشعور بأن كلًّا منهما قد خدم صاحبه خدمة جليلة. حيث لقي عبد الله من الإمام تركي "أبي فيصل" ترحيبًا كان مؤهلًا له، ولقي من فيصل- أثناء حياة أبيه- صداقة ومكانة كان جديرًا بهما. وحين حدث ما حدث من مشاري بن عبد الرحمن ضد الإمام تركي كان عبد الله من أكبر العقول المدبِّرة، وأجرأ القادة المنفِّذة؛ للتغلب على تلك المصيبة، حتى تسلَّم فيصل مقاليد الأمور في الرياض[211].

وكان مجيء عبد الله إلى إمارة بلدته- التي كان قد أخرجه منها أميرها بالقوة- يعود أساسًا إلى قرار الإمام فيصل بتوليته تلك الإمارة. ولقد كان للحملة المصرية ضد هذا الإمام ظروفها الخاصة؛ التي فرضت على عبد الله أن يتَّخذ منها موقفًا معينًا؛ فقد كان أول أمير نجدي يفقد إمارته بواسطتها في بداية الأمر. لكنه اتصل بخورشيد باشا وتفاوض معه فيما بعد. على أن هذا الاتصال

وذلك التفاوض قد حدثا في وقت بدا لكثير من الناس- ومن بينهم عبد الله بن رشيد- أنه من المجازفة الفاشلة مقاومة الحملة المصرية[212].

صحيح أن عبد الله ظل على علاقة ظاهرها الودُّ مع خورشيد؛ في وقت قد اتضح فيه أن هذا الأخير كان مخادعًا ومحاربًا للإمام فيصل. لكنه من المرجَّح أن عبد الله بن رشيد قد رأى أنه من المصلحة له ولصديقه فيصل أن يكون هو على إمارة الجبل بدلًا من خصومه، وذلك ما وافى به القدر. على أية حال، فقد كان الجبل- كما سبق أن ذكر- أوَّل وأهم قاعدة انطلق منها فيصل بن تركي بعد عودته من مصر لاستعادة حكمه في سائر مناطق نجد. ومن هنا فإن عبد الله بن رشيد كان شاهدًا ومساعدًا على بداية حكم فيصل في فترتيه الأولى والثانية[213]. وكما سار مع فيصل من المنطقة الشمالية حتى قضى على مشاري ابن عبد الرحمن، واستلم مقاليد الأمور في الرياض، انطلق معه من جبل شمر حتى استسلم له عبد الله ابن ثنيان وتربَّع على كرسي الحكم في تلك المدينة [214].

وإذا أضيفت العوامل السابقة إلى ما كان يتمتع به عبد الله بن رشيد من قوة، وما تتصف به بلاده من بعد جغرافي نسبي عن الرياض؛ فإنه من المرجَّح أن نفوذ الإمام فيصل في جبل شمر وما حوله، كان يقل كثيرًا عن نفوذه في المناطق الأخرى. حيث كان عبد الله بن رشيد يعترف رسميًّا بالسيادة العليا لفيصل على منطقته، وكان بعض قضاة هذه المنطقة يُرسَلون من قبل حكومة الرياض[215]. لكن عبد الله بن رشيد كان يتصرَّف بنوع من الاستقلال الذاتي؛ الذي لم يكن غيره من أمراء المناطق التابعة لهذا الإمام يملكونه أو يحلمون بالوصول إليه.

وكان من مظاهر ما سبق ذكره أمران: أحدهما يتعلَّق بالغزو، والثاني يتَّصل بالزكاة. فمن الملاحظ أن مساهمة عبد الله بن رشيد في غزوات الإمام فيصل، بعد استيلائه على الرياض، كانت أقل من مساهمة المناطق الأخرى التابعة لذلك الإمام. فقد قام فيصل بن تركي بأربع غزوات، زمن إمارة عبد الله، ولم يشترك أهل جبل شمر إلا في غزوة واحدة منها[216]. على أنه ليس من المؤكد ما إذا كان عدم اشتراكهم في بقية الغزوات ناتجًا عن عدم الحاجة إليهم أم كان ناتجًا عن انشغالهم في حروب مع خصوهم من القبائل القريبة من منطقتهم، خاصة قبيلة عنيزة. فقد قال ابن بشر: إنه كان لعبد الله ابن رشيد معها محاربات، وإنه «أوقع بهم عدة وقائع[217]» لكنه لم يذكر أية تفصيلات عن تلك المحاربات والوقائع وأزمنة حدوثها، باستثناء معركة بقعاء التي لم تكن موجهة إلى هذه القبيلة بصفة رئيسة[218].

لكن ما هو أهم وأوضح مما سبق ما يلاحظه الدارس لتاريخ تلك الفترة من الحرية النسبية لعبد الله بن رشيد في تحركه العسكري ضد خصومه، خاصة أولئك الموجودين في المناطق الواقعة شمال جبل شمر. وهو وإن كان أحيانًا يشنُّ الحروب باسم الإمام فيصل[219] لكن من المرجَّح أنه كان- في الحقيقة- يتصرَّف بنوع كبير من الاستقلال. بل إن نشاطه العسكري ضد المناطق الواقعة جنوب إمارته- والتابعة رسميًّا للإمام فيصل- لم يكن خاليًا من تلك الحرية النسبية. فهو إن ترك مهاجمة هذه المناطق فقد تركها مجاملة لذلك الإمام أكثر مما تركها خوفًا منه، كما يتَّضح من قصيدة أخيه عبيد التي يخاطب فيها ابن سليم في عنيزة بقوله:

لولا مدارنا قريب ابن عيَّاف   يسقف عليك العجُّ مثل المقاصير[220]

على أن ذلك الموقف الرشيدي المتحفظ لم يستمر طويلا؛ إذ قام عبيد بمهاجمة عنيزة سنة 1261هـ/1845م ـ، كما سيتضح عند تناول علاقة عبد الله بن رشيد بالقصيم. بالإضافة إلى الحرية النسبية لعبد الله في تحركه العسكري فإنه كان يحتفظ بأكثر الغنائم المترتِّبة على ذلك التحرك[221] بل إنه كان يحظى- أحيانًا- بدعم من الحكومة المركزية للتغلب على أولئك الخصوم[222].

أمَّا بالنسبة للأمر الثاني- وهو الزكاة- فمن الملاحظ أن المصادر الأساسية لتاريخ تلك الفترة لم تنص على أن زكاة منطقة جبل شمر كانت تذهب إلى خزينة الدولة المركزية في الرياض[223]. صحيح أن ابن بشر ذكر أن الإمام فيصل بن تركي أرسل عُمَّالًا إلى جميع عربان نجد لقبض الزكاة، كما أرسل عُمَّالًا إلى نواحيها لخرص الثمار[224]. وقد يفهم بعض الباحثين من هذه العبارة دخول منطقة جبل شمر ضمن هذا التعميم. لكنه من الملاحظ أن العبارة أتت بصورة إجمالية لا تقطع بدخول المنطقة المذكورة. وقد ورد في رسالة خورشيد إلى حاكم مصر أن عبد الله بن رشيد كان يصرف له ثلث زكاة جبل شمر، طبقًا للعادة الجارية[225]. ومن المحتمل أن هذه «العادة الجارية» هي النظام الذي كان متَّبعًا في علاقة أمير جبل شمر بحكومة الرياض فيما يتعلَّق بالزكاة قبل سنة 1254هـ/1838م ـ. وإذا قُبِل هذا الاحتمال فهل اتبع النظام المذكور بعد عودة الإمام فيصل إلى الحكم سنة 1259هـ/1843م ـ واستمر- كما هو- حتى وفاة عبد الله بن رشيد عام 1263هـ/1847م، أو أن الظروف الجديدة التي جعلت إمارة الجبل آنذاك، أقوى مما كانت عليه قد غيَّرت ذلك النظام؟ والواضح أن الرسالة المشار إليها ليس فيها ما يجيب عن هذا التساؤل.

ولقد أشار بلجريف- في محاولة واضحة للتقليل من شأن عبد الله بن رشيد- إلى أن هذا الأمير كان طوال حكمه يدفع مبلغًا من المال إلى فيصل[226]. لكن ذلك- أيضا- ربما فُسِّر على أنه هدايا. وقد نص الرحَّالة "والين" على أن سكان الجوف كانوا يدفعون الزكاة إلى ابن رشيد، وأنه كان ينفقها كما يشاء[227]. كما نص "دوتي" على أن عبد الله بن رشيد كان يأخذ الزكاة من القبائل والقرى التابعة له، ولا يبعث شيئًا منها إلى الرياض[228].

وهكذا يبدو من مقارنة المصادر أن الأمير عبد الله بن رشيد كان، على الأرجح يحتفظ بزكاة منطقته، أو على الأقل كان يحتفظ بجزء كبير منها. لكنه كان يرسل إلى الإمام فيصل الهدايا، في مقدمتها الخيول الأصيلة والإبل النجيبة[229].

ومن الممكن إضافة مسألة أخرى إلى ما تقدم ذكره لإيضاح ما كان يتمتع به الأمير عبد الله ابن رشيد من وضع خاص لم يكن يتمتع به غيره من أمراء المناطق الأخرى التابعين للإمام فيصل. فقد كانت لعبد الله اتصالات خارجية مباشرة مع حاكمي مكة المكرمة والمدينة المنوّرة، ومع كل من حاكم مصر ووالي بغداد. وكان من مظاهر الاتصالات إهداؤه إلى هؤلاء المذكورين خيلًا في مناسبات مختلفة.

وقد استخلص الباحث في خاتمة الفصل الأول ما يلي:

أولًا: لقد قامت العلاقة بين آل رشيد وآل سعود في عهد التأسيس على دعائم قوية وثابتة، واختلفت عن أية علاقة أخرى بين الإمام فيصل بن تركي وأي من حكام الأقاليم النجدية الأخرى، حيث جمعت هذه العلاقة بين مشاعر الود والصداقة التي يكنها كل منهما للآخر، وبين الشعور بأن كلًّا منهما قد خدم صاحبه خدمة جليلة، كما توثقت هذه العلاقة بالمصاهرة بين الأسرتين؛ فقد تزوج عبد الله بن علي بن رشيد بالجوهرة ابنة الإمام تركي بن عبد الله، وتزوج ابنه طلال من الجوهرة ابنة الإمام فيصل بن تركي، وتزوج عبد الله ابن الإمام فيصل من نورة بنت عبد الله بن رشيد، ثم من ابنة عمها طريقة بنت عبيد ابن رشيد، ولما توفي عنها تزوجها شقيقه محمد بن فيصل بن تركي مرة أخرى.

ثانيًا: إن مبدأ الصراع من أجل السلطة والوصول إلى الحكم كان سمة غالبة على معظم الأمراء وشيوخ القبائل- إن لم يكن جميعها- حتى إن القبائل القريبة في المدينة الواحدة كانت تغير

على بعضها، وكذلك كل إمارة كانت تستغل فترة ضعف الإمارة الأخرى وتنقض عليها؛ لتوسيع نفوذها وملكها ولقد كانت فكرة الصراع بين الأمراء على السلطة؛ تعميهم عن صلة القرابة – مهما كانت؛ فنجد الأمير يقتل أبناء أخيه، والأبناء يقتلون أعمامهم أو أخوالهم، وكذلك لا يتوانى الأخ عن قتل أخيه في سبيل الوصول إلى السلطة أو الملك؛ فلا عجب أن رأينا مثلًا صراعًا بل قتالًا يدور بين آل رشيد وآل سعود، برغم المصاهرة والأنساب بينهما.

ثالثًا: لا أحد ينكر ذكاء ودهاء محمد علي باشا والي مصر، ومحاولته الوقيعة بين آل رشيد في حائل من جهة، وآل سعود في نجد من جهة أخرى؛ حتى يستفيد هو من صراعهما وبالتالى إضعافهما؛ فيستطيع السيطرة عليهما، وبالتالي السيطرة على كل شبه الجزيرة العربية؛ حيث كان هذان الأميران هما أقوى الأمراء في الجزيرة في ذلك الحين.

رابعًا: الدور الكبير الذي قام به الأمير عبد الله بن الرشيد؛ ومساعدته لفيصل بن تركي الذي هرب من مصر؛ فاتجه إلى شمر حيث صديقه القديم عبد الله بن الرشيد الذي رحب به كل الترحيب وأيده، وبذل كل ما في وسعه للوقوف بجوار صديقه، فأسرع عبد الله بمبايعة فيصل وصارا نحو الرياض؛ وقد كان النصر في نهاية المطاف للإمام فيصل بفضل دعم عبد الله بن الرشيد له، وكانت مكافأة فيصل لابن الرشيد أن ولَّاه إمارة جبل شمر التي كان يطمح إليها - دون شك- وذلك لرسوخ مكانته.

خامسًا: المكانة الخاصة لعبد الله بن الرشيد عند فيصل بن تركي وذلك ردًّا لخدماته وقت المحنة، فكان نتيجةُ ذلك أمرين أولهما: أن عبد الله بن رشيد كان يتصرف بنوع من الاستقلال النسبي في مهاجمة القبائل التي كان فيصل يطلب منه محاربتها، أو ترك قبائل أخرى مجاملة للإمام فيصل، وقد كان يحتفظ بأثر الغنائم المترتبة على تلك التحركات العسكرية، بل إنه كان يحصل على دعم من الحكومة المركزية حال التغلب على الخصوم. والأمر الثاني: كان يتمثل في أموال الزكاة حيث إن ابن رشيد كان يُصرَف له ثلث زكاة جبل شمر، طبقًا للعادة الجارية. ومن المحتمل أن هذه العادة الجارية هي النظام الذي كان متَّبعا في علاقة أمير جبل شمر بحكومة الرياض فيما يتعلَّق بالزكاة قبل سنة 1254هـ.

سادسًا: إن تأخر انضمام إمارة شمر النجدية إلى دولة الدرعية التي تبنت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ كان سببه بعد منطقة الجبل عن قاعدة تلك الدولة، وبسبب الانتصارات التي حققها

قادة الدرعية في مناطق نجدية قريبة؛ كان من المتوقع الهجوم على الجهة الشمالية لضم نجد وما حولها.

سابعًا: إن وفاة القائد والمؤسس غالبًا ما يتبعه فتن داخلية وصراعات خارجية، وقد حدث ذلك عند وفاة الإمام فيصل؛ حيث – داخليا – حدث تمزق للبيت السعودي بسبب التنازع بين أبنائه على الحكم، وكان كل منهم يرى أنه الأجدر من غيره بالحكم والسلطة، وكان ذلك سببًا في الصراعات الخارجية؛ والتي تمثلت في سيطرة بيت آل رشيد على نجد، وسيطرة العثمانيون على الأحساء؛ فخرج آخر أئمة آل سعود ليعيش لاجئًا في الكويت، ولقد كان السبب الأول في تلك الفتنة منذ البدء هو سعود ابن الإمام فيصل؛ وذلك بعد موت أبيه مباشرة ورفعه راية الثورة والانتفاض، واستغلت القبائل ذلك الصراع بذكاء – لمصلحتها – كأداة للانفصال عن الرياض؛ فشجعت معظم القبائل الكبيرة الفتنة، ومنهم من تحاف مع سعود ومنهم من تحالف مع أخيه عبد الله.

الفصل الثاني

مرحلة العداء بين آل سعود وآل رشيد

(1281-1308هـ/1865-1891م)

وتبدأ هذه المرحلة بشكل غير مباشر؛ فبعد وفاة الإمام فيصل بن تركي سنة 1281هـ/1865م، وكان قد ترك أربعة من الأولاد الذكور وهم عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن، وبموت الإمام فيصل فقدت البلاد أعظم حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية، ولقد عجل موت الإمام بظهور الفتن والصراعات في البيت السعودي، حيث كان سعود بن فيصل يرى نفسه الأحق بخلافة والده فعمل على رفع راية الثورة الانتفاض، وكان ذلك بدء الحرب الأهلية في البيت السعودي والتي استمرت حوالي 25 سنة. فلقد رفض سعود مبايعة أخيه عبد الله بالإمامه، بل زاد على ذلك بأن اتصل بزعماء بعض القبائل الكبيرة؛ لمناصرته على أخيه، فتشجع بعض الزعماء المحليين على استغلال الانقسام كأداة للانفصال عن الرياض ودارت حروب طاحنة بين الفريقين أضعفت تلك الحروب كلا الطرفين وبالتالي أضعفت البيت السعودي عامة ما أدى إلى انفصال الأحساء والمنطقة الشرقية بعد موقعة بئر جودة التي تعتبر بداية النهاية للدولة السعودية الثانية حيث بدأ التدخل الفعلي في أمور نجد من قبل العثمانيين الموجودين في بغداد وكذلك بدأ تدخل آل رشيد. كل ذلك شجع آل رشيد في حائل-مثلهم مثل غيرهم-حيث قامت هذه الإمارة بدور خطير في الأحداث في فترة الحروب بين ولاد فيصل وخاصة محمد بن عبد الله بن رشيد أمير حائل فقد توسعت الإمارة وشملت الجوف ووادي سرحان ثم القصيم والمجمعة وسدير وغيرها من الأمارات، إلى أن دخل الرياض سنة 1309هـ/1891م.

أدى تنازع أبناء الإمام فيصل بن تركي فيما بينهم إلى سيطرة آل رشيد على نجد، وسيطرة الأتراك العثمانيين على الأحساء وأخيرًا خرج آخر أمير لآل سعود إلى قطر ثم إلى البحرين واستقر في الكويت.

ترك الإمام فيصل من الأولاد الذكور أربعة، وهم عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن، وطبقا للقاعدة المتبعة في وراثة الحكم في الدولة السعودية بشكل عام، فقد بويع الابن الأكبر عبد الله بالإمامة[230]، وبموت فيصل فقدت البلاد أكبر حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية. وكان لموته «أعظم الأثر في تعجيل عهد الفتن والمنازعات»[231] في الدولة. وكانت هذه سببًا في تمزيق البيت السعودي الحاكم، ثم تمزيق وحدة البلاد التابعة له، وبالتالي سيطر بيت آل رشيد على نجد، والأتراك على الأحساء، وخرج آخر أئمة آل سعود من الرياض ليعيش فترة طويلة لاجئًا في الكويت.

الحرب الأهلية بين أبناء فيصل:

لم تكن الفتنة وليدة موت فيصل بل هي ممتدة بجذورها إلى فترة حكمه، مما يدل على هذا ما نفس به سعود عن حسده لأخيه زمن حكم أبيه، وما هذا الحسد إلا نتيجة لصعود عبد الله سلم الشهرة بين رجال الحكم في البلاد وبين الرؤساء المحليين لكثرة عوامل الاحتكاك بهم، فكانت له قاعدة شعبية تكفل له التأييد والدعم ضد الهزات.

عرف فيصل ما يجول بخاطر ابنه سعود؛ فولاه إمارة الخرج والأفلاج من مناطق جنوب العارض[232]. ومع هذا ما كاد فيصل يطبق أجفانه حتى رفع راية الثورة والانتفاض، فكان ذلك بدء الحرب الأهلية التي استمرت نحو 25 سنة، فحرمت نجد من الاستقرار وألقتها في لجة الفوضى وأضعفت هيبة الدولة وسلطانها، فتألب عليها الأمراء، وتسلط عليها آل رشيد في حائل، ووضعوا يدهم عليها في ظروف دقيقة وصعبة[233].

وقبل البحث في تطور الفتنة كان علينا أن نحلل أسباب الخلاف القائم بين الأخوة؛ لتتمكن من رسم صورة واقعية للأحلاف القبيلة التي يفسرها واقع الحياة البدوية، ولتعطينا صورة صادقة عن حركات الاتصال والتأييد التي تتم بين الأطراف المعنية في النزاع. والجدير بالذكر أن أسباب الفتنة كثيرة ومتنوعة؛ لأن الفتنة لم تكن بين الأخوين سعود وعبد الله، بل تعدتهما فدخلتهما عناصر أخرى جديدة، فزادت بذلك الأسباب وطالت معها فترة الفتنة. وتكمن تلك الأسباب فيما يلي:-

أولًا: كانت نتيجة لطمع سعود في تسلم الإمامة، إذ رفض منذ اللحظة الأولي التي تسلم فيها أخوه السلطة أن يبايعه، بل زاد على ذلك ولجأ إلى قبائل عسير، واتصل برؤسائها من آل عائض ليساعدوه ضد أخيه[234].

ثانيًا: مؤزارة بعض القبائل لسعود، كان ذلك تشجيعا للفتنة؛ فأيدت قبائل العجمان سعودًا وانضم إليهم بعض قبائل بدو الدواسر وبني مرة[235].

ثالثًا: تشجيع آل رشيد في حائل وشيوخ البحرين وإمام عمان، وبالتالي الدولة العثمانية للفتنة؛ لأن جميعهم يتوخى فائدة من وراء استمرار مثل هذه الحرب؛ فآل رشيد استغلوا الفتنة وبدءوا يفكرون في السيطرة على القصيم وباقي أجزاء نجد، وأراد شيوخ البحرين التخلص من دفع الضريبة، وأراد حكام عمان تثبيت سلطتهم في منطقة البريمي، وأما الدولة العثمانية فكانت تطمع في استعادة نفوذها في المناطق الشرقية من جزيرة العرب.

رابعًا: طمع بعض الزعماء المحليين في استغلال الانقسام كأداة للانفصال عن الرياض؛ فشجعت معظم القبائل الكبيرة الفتنة، ومن هذه القبائل قحطان والعجمان ومطير وعتيبة وعنزة في القصيم، وبنو مرة وبنو خالد[236].

خامسًا: يبدو أن عبد الله بن فيصل كان متعصبا في شئون الدين حيث كان يطبق مبادئ محمد ابن عبد الوهاب على مذهب أحمد بن حنبل، بعكس أخيه سعود الذي كان يميل إلى الاعتدال والتسامح[237]. ولكن المدقق لهذه الفترة التاريخية يمكنه اعتبار هذا سببًا ثانويًّا؛ لأن الانقسام- وإن كان في الظاهر دينيًّا- إلَّا أنه كان في الباطن سياسيًّا.

سادسًا: تمركز قوة سعود وأبنائه في الخرج جنوب الرياض، فكانت المنطقة عاملًا قويًّا من عوامل تشجيع الفتنة واستمرارها؛ لكثرة ما منحت سعود من إمكانيات وتأييد، كانت سببًا في تحريض القبائل ضد عبد الله[238].

سابعًا: طمع أمراء القصيم في الاستقلال وبخاصة أن عبد الله بدأ يناصر آل عليان ضد آل مهنا حكام القصيم وقتذاك. وكان على عبد الله ألَّا يتحزب لأية فئة، وبخاصة أثناء موقفه الضعيف[239]. أضف إلى ذلك أن عبد الله أسند الإدارة في المقاطعات إلى ولاة قساة؛ فأجمع أخوته وأبناء عمه على خلعه[240].

ثامنًا: ومن عوامل الفتنة وجود خلاف بين سلالة تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذين أحيوا الحكم السعودي بعد سقوط الدرعية وسلالة أولاد عمومتهم سعود بن عبد العزيز ابن محمد بن سعود؛ فشجع الفرع الأخير الفتنة وزاد في اذكائها؛ طمعًا في انسلاخ الحكم عن الفرع الأول؛ علهم يتمكنون من السيطرة عليه[241].

تاسعًا: تشجيع بعض القبائل البدوية للفتنة من أجل مكاسب فردية، وهي الإفادة من الحرب والفتنة بعمليات للقيام بعمليات السلب والنهب.

بدأت ثورة سعود عندما اتجه إلى عسير في الجنوب الغربي من جزيرة العرب عام 1283هـ 1866م، والتجأ عند آل عائض وطلب العون من محمد بن عائض بن مرعي؛ ليساعده ماديًّا وعسكريًّا ضد أخيه. إلا أن عبد الله كتب إلى ابن عائض بعدم مساعدة أخيه؛ لأن ذلك يعكر صفو الصداقة، وأعلمه أن ثورة أخيه هذه ليست لسبب إلا أن «مراده قطيعة الرحم والشقاق». وكتب

رسالة لأخيه تودد له فيها؛ عله يقنعه بالعدول عن رأيه في الثورة بعد أن وعده بتحقيق مطالبه الأخرى[242]. وهل يريد سعود غير الإمامة؟. ومع هذا فقد فشل سعود من مساعدة آل عائض لعلاقتهم الطيبة مع الرياض[243].

وقبل الخوض في تطور الفتنة يتبادر إلى الذهن سؤال، ألا وهو هل الحرب القائمة بين الأخوة حرب فردية بطلاها عبد الله وسعود وأخواهما محمد وعبد الرحمن أم هي حرب قبلية؟ وإن كانت حربًا قبلية فما غاية القبائل منها؟.

والواقع أنها لم تكن حربًا من أجل فردين متنازعين، بل كانت حرب قبائل تجمعت لديها أسباب الحرب، وعادت إلى الوجود العداوات القديمة التي كانت بين القبائل بعضها وبعض من جهة، والقبائل وآل سعود من جهة أخرى؛ لأنها تعيد إلى الأذهان الحروب الطويلة التي قادها آل سعود ضد القبائل المعارضة لدعوة التوحيد. وظلت هذه العداوات خامدة حتى جاء من أيقظها؛ وهو الخلاف الأخوي الذي نحن بصدده. ولم تدخل الكتل البدوية في الحرب إلا لغاية في نفسها، فبنو خالد يريدون عودة سلطتهم القديمة في مناطق الشرق. والدواسر والعجمان وبنو مرة يحاولون الاستقلال والتمتع به وبأعمال الغزو. ثم دخلت العائلات النجدية القديمة تريد استعادة مكانتها الأولى، والأشراف يريدون السيطرة على القصيم وباقي نجد، وآل رشيد يحلمون بتوسيع رقعة إمارتهم خارج نطاق الجبل، والأتراك يريدون قمع الحركات الانفصالية في الجزيرة، وبعض الجماعات تريد الحرب للإفادة من السلب والنهب والاعتداء على البلدان والقرى والمدن.

ولنعد للثائر سعود الذي غادر عسير واتجه إلى أبها في الجنوب على حدود اليمن، وتجول في المنطقة فزار نجران، وهناك جمع قوة من بدو نجران وأبها وآل مرة بزعامة رئيسهم فيصل المرضف، ومن بدو آل شمر برئاسة الشيخ علي بن سريعة.

وأيدته كذلك قبائل منطقة "السليل" في جنوب نجد بزعامة شيخها مبارك بن روية، وساعده أمير نجران بالمال والعتاد ورافقه ولدان من أولاده، هذا إلى جانب عدد كبير من بدو الدواسر، والتقى بحشود جيشه بقوات أخيه عبد الله التي كانت بقيادة أخيه محمد بن فيصل في مكان يدعى المعتلا[244]، انهزمت فيه قوات سعود بن فيصل، وقتل زعيم قبائل شمر علي بن سريعة وابنا أمير نجران، وجرح سعود بعدة جروح حتى أن إحدى يديه تشوهت، وفرَّ مع من بقي من عربانه إلى

الأحساء، ثم إلى عمان. وقتل من قوات محمد أمير بلدة روضة سدير، عبد الله بن ماضي، وأمير بلدة حريملاء "عبد الله حمد مبارك"[245].

ومن نتائج هذه الواقعة ما يلي:

أولًا: فرَّ سعود وجماعة من عربان آل مرة إلى المنطقة الشرقية؛ ليقيم في الصحراء حتى تندمل جراحه.

ثانيًا: بعد أن شُفِيَ سعود من إصاباته توجه إلى البريمي في ضيافة أميرها تركي بن أحمد السديري الذي قتل فيما بعد في الشارقة وهو يحاول جمع قوة عسكرية؛ ليساعد سالم ابن ثويني الذي خلع عن عرش مسقط ضد عزان بن قيس الذي انتزع الحكم من سالم.

ثالثًا: بدأ سعود يخطط من أجل فصل المنطقة الشرقية عن أخيه؛ لكي تفقد الرياض جزءًا حيويًّا ومنفذًا هامًّا على الخليج، معتمدًا هناك على مساعدة المعتمد البريطاني في الخليج[246]، وعلى سوء العلاقات بين مسقط والرياض، وعلى الخضوع القسري لآل خليفة ودفعهم الزكاة بالقوة لنجد، وعلى العون الذي سيقدمه بنو خالد أخواله الحانقون على حكم عبد الله، وعلى قبائل العجمان وآل مرة الذين يفضلون الحروب طمعًا في الأسلاب. وهكذا بذل سعود قصارى جهده لتكوين حلف من عمان والبحرين والعجمان وآل مرة ضد أخيه.

رابعًا: حاول سعود أن يضرب مراكز المقاومة في شبه جزيرة قطر المؤيدة لعبد الله ابن فيصل، وكذلك الأحساء القلعة السعودية في منطقة الشرق، والقطيف التي يرى فيها مؤيدين له.

وهكذا خطط سعود بعد المعركة التي انكسر فيها. وبقي علينا أن نعرض نتائج المعركة بالنسبة للامام عبد الله، فكانت نتائجها هامة وكبيرة منها:

أولًا: استطاع عبد الله أن يكشف عن أعدائه؛ نتيجة التحالفات التي دارت في المنطقة فصمم على تأديبها.

ثانيًا: عزل عبد الله بن فيصل واليه محمد السديري عن إمارة الأحساء، وعين خلفًا له ناصر ابن جابر الخالدي بعد أن اتهم الأول بالضعف، حيث إنه لم يستطع كبح جماح قبائل العجمان المؤيدة لسعود. كما أرسل حملة تأديبية بقيادة عمه عبد الله بن تركي ضد العجمان وآل مرة في الشرق؛

استطاعت أن تقبض على عدد منهم فقتلتهم جميعًا وأجرت أعمالًا انتقامية في المنطقة كهدم منازل بعض غير المؤيدين[247].

ثالثا: أرسل عبد الله حملات تأديبية ضد بدو الجنوب، في الدواسر بخاصة؛ ليعاقب العناصر التي أيدت أخاه وساعدته. وأقام بجيشه في الجنوب حوالي شهرين متواصلين؛ ليتمكن من تثبيت دعائم سلطانه في المنطقة؛ عله يتمكن من القضاء على روح الثورة القائمة هناك[248].

رابعًا: ظلت أسباب التوتر قائمة بين الطرفين؛ لأن عبد الله بن فيصل أخذ يعد العدة للقضاء على حلف أخيه سعود؛ الذي جمعه من إمارات الشرق وبدوها.

كان على عبد الله أن يتخذ موقفًا حازمًا في منطقة الشرق؛ خوفًا من أن تفلت المنطقة جميعها من يده، وتصبح في قبضة أخيه سعود؛ لذا جرد حملة عسكرية قوامها البدو والحضر من أتباعه وسار ومعه أخوه عبد الرحمن الصغير إلى مكان يدعى دعيلج قريبًا من الأحساء. ومنها ظل يراقب تطورات الموقف وما يستدعيه. وكان كل همه أن يراقب تحشدات قوات أخيه؛ عله ينقض عليها. وظل في المنطقة مدة أربعة أشهر لم يقم فيها بأي هجوم على عدوه، إلا ما قامت به قواته من ضرب تجمعات قبائل الصهبة؛ أحد فروع قبائل مطير المقيمة في منطقة الوفراء القريبة من الكويت. وقبل عودته إلى عاصمته عزز حامية قطر؛ فأرسل لها سرية من جنده برئاسة مساعد[249] الظفيري وأرسل سرية أخرى إلى الأحساء بقيادة فهد بن دغيثر، وبعدها عدا بقواته إلى الرياض في أواخر سنة 1286هـ / 1869م[250].

استغل سعود عودة قوات أخيه فانتقل من البريمي إلى البحرين التي ساعده شيخها بقوات ناوشت الحامية النجدية في قطر عام 1287هـ / 1870م، ثم عزز قوته بعد أن ساعدته قبائل بني خالد والعجمان التي عقد معهما حلفًا بعد استسلام زعيم العجمان راكان بن حثلين، ويبدو أن سعودًا قد مناه بحكم المنطقة الشرقية، وهذا يتوافق مع أهداف رؤساء العجمان وبني خالد الذين يحاولون استعادة مركزهم القديم، كما تحالف معهم شيخ البحرين الذي كان يحلم بإعادة امتيازاته في القطيف وسيهات، ويتخلص من دفع الزكاة للرياض.

توجهت قوات سعود المتحالفة إلى الأحساء (الهفوف)[251]، فخرجت حامية المدينة بقيادة أمير الإقليم ناصر بن جبر الخالدي المؤيد لعبد الله بن سعود لملاقاتها، فالتقى الطرفان في الوجاج،

ودارت الحرب بينهما، كان النصر فيها حليفًا لقوات سعود بعد أن خان رؤساء المدينة أميرها الخالدي[252].

وصلت حامية الأحساء إلى داخل المدينة وتحصنت فيها، وظلت تقاوم حصار قوات سعود للمدينة فترة أربعين يومًا، مما اضطر عبد الله بن فيصل إلى أن يرسل قوات من الرياض لمساعدة حامية الاحساء. إلا أن هذه النجدات اشتبكت مع قوات سعود في بئر جودة في رمضان 1287هـ/ ديسمبر 1870 م، وكان النصر في المعركة حليف قوات سعود[253].

ونتج عن واقعة بئر جودة ما يلي:

أولًا: أسر قائد قوات عبد الله بن فيصل، وكان وقتها محمد بن فيصل الذي يعتبر الساعد الأيمن لعبد الله، وسجن هذا القائد في القطيف تحت رقابة أخيه سعود.

ثانيًا: استسلمت الأحساء بدون عناء، وأيد رؤساء البلدة الأمير سعود الذي أصبح سيد المنطقة الشرقية بلا منازع.

ثالثًا: بانفصال الأحساء والمنطقة الشرقية، حرمت الرياض من طرق التموين الشرقية؛ لأنها فقدت المنطقة الحيوية من حيث الإستراتيجية التجارية والزراعية.

رابعًا: بدأ التدخل الفعلي في أمور نجد الداخلية من قبل العثمانيين في بغداد، وبدأ تدخل آل رشيد أصحاب حائل التابعين اسميا للرياض. وكان كلاهما يطمع في توسيع نفوذه.

خامسًا: تعتبر معركة بئر جودة بداية النهاية للدولة السعودية الثانية؛ التي بدأت منذ هذه المعركة في التقلُّص والضعف، حتى قضي عليها عام 1309هـ /1891م.

سادسًا: توقع عبد الله بن فيصل من أخيه هجومًا صاعقًا على العاصمة؛ لذا جمع أمواله وعياله وغادر الرياض إلى حائل يطلب العون من أصدقائه آل رشيد، وبخاصة أنه كان متزوجًا من ابنه عبد الله بن رشيد المؤسس الأول لأسرة آل رشيد الحاكمة في حائل. كما قرر الاتصال بوالي بغداد؛ عله يساعده في كبح جماح أخيه سعود[254].

سابعًا: لم يغامر سعود ولم يتوجه لأخذ الرياض، بل ظل يثبت دعائم سلطته في الشرق؛ لذا عاد عبد الله إلى الرياض بعد تشجيع من محمد بن هادي بن قرملة، زعيم قحطان الذي حنق على سعود؛ لأنه قابله ببرود عندما زاره في الأحساء، فاعتبر ذلك مهينًا لكرامته.

ثامنًا: عمت نجد مجاعة كبيرة، نتيجة لرداءة الموسم، ونتيجة لضعف الاقتصاديات ومرافق الحياة الأخرى؛ لانشغال الناس في القتال. وقيل إن الناس أكلوا الجيف والحمير. واستمر هذا القحط حتى عام 1289هـ/ 1872م[255].

زحف سعود من الأحساء إلى الرياض عام 1288هـ/1871م ففر منها عبد الله والتجأ مرة ثانية عند قبائل قحطان في الجنوب[256]، وكان قد أرسل أمواله ومدافعه وأسلحته مع سرية عسكرية بقيادة "ابن مقبل العطيفة" إلى الجنوب لتكون في مأمن من السلب، غير أن سعودًا التقى بها في الطريق فقتل رئيسها وعددًا من جماعته واستولى على ما معهم. وبعد ذلك تقدم سعود إلى الرياض ودخلها بدون قتال، فأعمل فيها النهب والسلب جزاء لموقفها العدائي منه. وأصبح سعود الحاكم الفعلي في نجد بدلا من أخيه عبد الله، وجاءه زعماء البلاد يعلنون ولاءهم التقليدي- كعادتهم- لكل من دخل الرياض[257].

وهكذا انتهت الفترة الأولى من حكم عبد الله بن فيصل لنجد وتوابعها، وبدأت فترة حكم أخيه سعود الذي استطاع أخذ الحكم بالقوة. وهنا تظهر الأخطار المحيطة بالدولة السعودية، وتبدأ التدخلات الخارجية في شئون الأسرة السعودية؛ التي زال حكمها الثاني بعد حوالي عشرين سنة من حادثة بئر جودة. ومع أن عبد الله بن فيصل حاول تجميع بعض مؤيديه في مكان يدعي "البرة" ليقاوم أخاه سعودًا، إلا أنه هزم هناك مرة أخرى، وبعدها لم يستطع الإقامة في منطقة الرياض، وبدأ يبحث عن أعوان، فتوجه أولا إلى زامل السليم من آل سليم، وكان حاكمًا على عنيزة، فرفض هذا مساعدته خوفًا من سعود، فاضطر عبد الله إلى أن يرحل من عنيزة، فتوجه إلى حائل عند حاكمها وصديقه محمد بن رشيد، إلا أنه لم يجد منه صدرًا رحبًا، إذ إن هذا "الصديق" بدأ يطمع في ضم مناطق القصيم، ويعد لتوسيع رقعة بلاده بعد التحالف مع العثمانيين؛ فرحل عبد الله إلى سلطان الدويش رئيس "مطير" وعساف أبو ثنين رئيس "سبيع" فقبلا لجوءه عندهم؛ لأنهما يحنقان على حاكم الرياض الجديد، ويعملان كل ما في وسعهما لإقصائه عن الرياض خوفًا من نفوذه[258].

حاول عبد الله أن يبذل قصارى جهده لإضعاف قوة أخيه سعود؛ فأوفد رسولًا إلى العراق اسمه "عبد العزيز أبا بطين" ومعه ثلاثة رسائل: الأولى إلى مدحت باشا والي بغداد، والثانية إلى خليل بك والي البصرة، والثالثة إلى السيد محمد الرفاعي نقيب أشراف البصرة. وكان محور هذه الرسائل يدور حول الشكوى من أخيه، ويطلب من الحكومة العثمانية مساعدته ضد هذا الثائر[259].

وهكذا نلاحظ أن الصراع الداخلي في نجد تخطى حدودها إلى البحرين وعمان والعراق، وأصبح نزاعًا عامًّا أكثر من كونه خاصًّا، والتقت فيه عدة قوى متنازعة.

موقف العثمانيين من الحرب الأهلية:

لم تقف الدولة العثمانية من النزاع القائم موقف المتفرج، بل كانت دومًا تتحين الفرص من أجل تثبيت سلطتها في الخليج ونجد، والأطراف الأخرى من جزيرة العرب، وبخاصة بعد قيام الحركة الإصلاحية النجدية في نجد، والزيدية في اليمن. وفي زمن الإمام السابق فيصل بن تركي اكتفت الدولة العليا بالتبعية الاسمية؛ التي عبر عنها بدفعه- أحيانًا- بعض الأموال للأشراف نواب الدولة في الجزيرة، حتى أن بريطانيا كانت لا تنظر إلى هذه التبعية الاسمية، وكانت دائمًا تتعامل مباشرة مع الدولة السعودية، وأصرت على أن حكم السعوديين متتال وذو مظهر استقلالي تام، بالرغم مما كان يدفعه السعوديون أحيانًا من أتاوات[260].

ويبدو أن سياسة السلطان عبد العزيز من 1861/1876م كانت ترمي إلى تركيز دعائم الحكم التركي في ولايات الدولة الشرقية. وهذا مايفسره مضاعفة حاميات الدولة في كل من مكة والحجاز، وتجريدها حملة لإخضاع اليمن. وكذلك تعيين "مدحت باشا" الرجل الشديد والطموح حاكمًا عامًّا في العراق، وإطلاق يده في بسط نفوذ الدولة بأي اتجاه يراه مناسبًا[261]. ومما ساعد الدولة على زيادة تفكيرها في احتلال وتثبيت سلطتها في مناطق الجزيرة افتتاح قناة السويس منذ 1288هـ/ 1869م.

فأصبح في مقدورها إرسال الحملات البحرية بجانب الحملات البرية. هذا إلى جانب التنظيمات التي أعقبت حرب القرم كالتنظيمات العسكرية الحديثة[262]. بالإضافة إلى رغبة الدولة في وقف وتحديد النفوذ الإنجليزي في مناطق الخليج.

وجاء طلب عبد الله بن فيصل للنجدة من بغداد خير فرصة للدولة لتنفيذ ما كانت تخطط له، وعلى الرغم من معارضة بريطانيا، وادعائها أن هذا يعكر صفو السلام في المنطقة[263]، إلا أن مدحت باشا جهز حملة من 5000 "خمسة آلاف" جندي بقيادة "نافذ باشا"، واستعان بناصر السعدون رئيس المنتفق، وعبد الله بن صباح حاكم الكويت، وببني خالد[264]، حتى أن مدحت باشا أشرف بنفسه على الحملة، عندما جاء إلى الكويت؛ ليعرف مدى نجاح حملته[265]، وقبل أن يأمر الحملة بالمسير استشار السلطان العثماني في الأمر بعد أن أرسل كتابًا مفصلًا شرح فيه حالة المنطقة، وطلب الموافقة له على إرسال حملة إلى الأحساء؛ خوفًا من تدخل الإنجليز، فكان الرد بالموافقة.

عندها استغل حالة الفوضى الضاربة في نجد، وطلب عبد الله المساعدة من بغداد. فأعلن أن سعودًا ثائر ضد الدولة، وأنه يتصل بالإنجليز، وإذا انتصر على عبد الله فانه سيعمل حتمًا على ضم البلاد تحت نفوذ بريطانيا وحمايتها، وبالتالي تتحكم بريطانيا في العراق.

وادعى مدحت باشا أن سعودًا اعتدى على أهالي العراق وقطع تجارتهم[266]. ومهد مدحت باشا للحملة بأن أرسل جواسيسه إلى الأحساء ليقفوا على مدى قوة سعود، ووطد علاقاته مع شيخ الكويت عبد الله بن صباح، وعمل على قهر القبائل العربية الساكنة في حدود منطقة الأحساء[267].

عرفت بريطانيا وحكومة الهند "نِيَّة" مدحت وإعداده للحملة، وأكد هذا قنصل بريطانيا في مصر في رسالة إلى وزير الخارجية البريطانية في 30 ديسمبر 1870م ذكر فيها أن الخديوي أكد له أن الحكومة العثمانية تعد حملة للسيطرة على الخليج العربي. واستطلع أرجيل «Argyil» وزير الخارجية الأمر من سفيره في الآستانه. وأما حكومة الهند فعرفت عن إعداد الحملة من تقرير بعث به الكولونيل هربرت "Herbert" القنصل البريطاني في بغداد[268].

زودت الحملة بباخرتين هما: لبنان والإسكندرية بعض ناقلات شط العرب، وكانت الحملة من خمس كتائب مع بعض الفرسان، وفرقة من المدفعية، بقيادة "نافذ باشا"، ورئيس أركانه البكباشي رجب بك. وأبحرت الحملة من البصرة في ربيع الأول سنة 1288هـ/ مايو 1871م، ووصلت رأس تنورة – قرب الدمام اليوم- وراقب مدحت باشا الحملة عن كثب، فوصل الكويت على ظهر سفينة حربية تدعى الزحاف. وهناك أخذ عددًا من سفن الغوص الكويتية وعددها حوالي 80 "ثمانين" سفينة؛ كي تساعد

الحملة في نقل الأمتعة والعتاد. وقد ساعد الكويتيون الحملة فأرسلوا قوتين: الأولى بحرية بقيادة عبد الله بن صباح، والثانية برية بقيادة مبارك أخي الشيخ عبد الله المذكور.

وتمكنت الحملة من الوصول إلى القطيف واحتلالها دون مقاومة تذكر[269]، وبعدها تقدمت القوات إلى الأحساء واحتلها كذلك، وأطلقت عليها اسم ولاية نجد، وربما يعني ذلك ترقبًا في احتلال نجد؛ لأنها الهدف الرئيس لمدحت باشا[270]، وهذا يفسره ما جاء في منشور مدحت باشا الذي أذاعه على أهالي الأحساء في 18 رجب 1288هـ/1871م -[271].

وبعد أن استتب الوضع للعثمانيين في الأحساء وضُّحوا سياستهم الرامية إلى احتلال الرياض من سعود. وصرح "نافذ باشا" أن غايته إقرار سيادة الدولة العثمانية على الأحساء، وأنه سيعمل على إعادة عبد الله بن سعود إلى الحكم برتبة قائمقام، وسوف تعيِّن الدولة ولاة وقضاة في المقاطعات[272]، وحددت الضرائب التي ستأخذها من رعاياها بالزكاة الشرعية، كما أجرت تنظيمات في القوة العسكرية؛ فوضعت في الأحساء خمسة آلاف جندي نظامي مع بعض الخيالة، وأبقت بعض السفن الحربية راسية لقمع أي اضطراب في المنطقة[273].

موقف آل رشيد من النزاع السعودي:

ويبدو أن الجبل كان مستقلًا إداريًّا تحت سلطة آل سعود، وحكم عبد الله بن رشيد المنطقة حوالي اثنتي عشرة سنة، كبداية لحكم أسرة آل رشيد التي حكمت أكثر من 90 سنة[274]. وقامت هذه الإمارة بدور خطير في الأحداث في فترة الحروب بين أولاد فيصل، إذ كان يحكم الإمارة- وقتذاك- محمد بن عبد الله بن رشيد الذي حكم فترة طويلة حوالي 25 سنة من 1872 إلى 1897م، ويعد هذا بحق من أشهر أمراء حائل من آل رشيد على الإطلاق؛ إذ توسعت في زمنه إمارة حائل، فشملت الجوف ووادي سرحان في الشمال. وتدخل عام 1299هـ/1882م في شئون القصيم والمجمعة وسدير، واستطاع ضم جميع هذه المناطق لدولته[275].

وهكذا نرى أن الفتنة كانت الظرف المناسب لكل من آل رشيد والأتراك لتحقيق هدفيهما. ولم تنته الفتنة بموت سعود، بل استمرت إلى أبعد من ذلك، ففي عام 1291هـ/ 1874م تولى عبد الرحمن بن فيصل إمامة نجد بعد وفاة أخيه سعود، ومضى في حكمه على أتم وجه حوالي السنة، وبعدها انعكست الأوضاع بالنسبة لعبد الرحمن[276]؛ إذ جاء أخوه عبد الله الإمام الشرعي ومعه أخوه

محمد من بادية العجمان – حيث كانا لاجئين سياسيين هناك – إلى الرياض ومعهما قوات من بدو عتيبة ومن حضر الوشم، والتقيا بقوات عبد الرحمن الذي رفض التنازل لأخيه الكبير في بلدة ثرمدا، ونشبت الحرب بين الطرفين، لم يصل أحدهما إلى نصر حاسم.

فتفاوضا فنتج عن هذا التفاوض صلح مؤقت؛ تمركزت فيه قوات عبد الله في الشمال، وظلت قوات عبد الرحمن تسيطر على الرياض والجنوب[277]. أمَّا بالنسبة لأولاد سعود فقد وقفوا بجانب عمهم عبد الرحمن؛ لأنه كان يؤيد أباهم في آخر أيامه[278].

ومع هذا فلم يهدأ الوضع المتأزم، إذ ثار أبناء سعود ضد عمهم عبد الرحمن وأخذوا يطالبون بالحكم، وانقلبوا على عمهم بعد أن كانوا يؤيدونه. ولم يستطع عبد الرحمن الصمود أمام ثورتهم، بل اضطر تحت ضغطهم أن يخرج من الرياض، ويلتجئ عند أخيه عبد الله في بادية عتيبة، وعاهده أن يتعاون معه ضد أولاد سعود.

وهكذا انعكس الوضع السياسي في نجد؛ فأصبح الحكم بيد أولاد سعود بدلًا من عميهم الشرعيين. وكان لابد للعمين أن يقاوما أولاد أخيهما حتى يستردا السلطة؛ فجمع عبد الله قوات اتجهت من الشمال نحو الرياض. إلا أن أولاد سعود لما رأوا تصميم عميهم على الحرب، وضعف قوتهم، تركوا الرياض، واتجهوا إلى مركزهم الأول "الخرج". وهكذا استطاع عبد الله وأخوه دخول الرياض بدون قتال عام 1293هـ/1876م.

تولى عبد الله بن فيصل حكم الرياض للمرة الثالثة. وهدأ الجو السياسي بعض الشيء لأولاد فيصل؛ لأن كلًّا من محمد وعبد الرحمن أصبحا مطيعين لأخيهما الكبير[279]. ولكن الأمر لم يقف إلى هذا الحد بل ظل أبناء سعود مصدر قلق لأعمامهم، وظلوا حانقين على الحكم؛ لذا ظلت بوادر الحرب قائمة بين الجهات المتنازعة.

ولو ألقينا نظرة سريعة على وضع الإمام الحالي من الوجهة السياسية لوجدناه أضعف بكثير من موقفه الأول؛ لأن بوادر الخلاف قائمة، وآل رشيد يتربصون به، والقصيم تجنح إلى الاستقلال، والاقتصاد في البلاد متدهور؛ لذا يمكن القول إن الدولة السعودية الثانية بدأت تقترب من النهاية وتلفظ آخر أنفاسها. وقد حلل الأمير عبد العزيز آل سعود الموقف بقوله: « لم يستقم الأمر لعبد الله لثلاثة أسباب وهي، أولًا: وجود أبناء أخيه في "الخرج" يحرضون القبائل عليه. ثانيًا: مناصرته لآل

أبي عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين في ذلك الحين. وكان ذلك جهلًا من عبد الله؛ لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم. ثالثًا: ظهور محمد بن رشيد الطامع بالحكم؛ فقد تحالف مع آل أبي الخيل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يدًا واحدة على ابن سعود»[280].

ويبدأ دور آل رشيد في التدخل منذ بدء الخلاف بين آل أبي الخيل "رؤساء بريدة قديمًا" وآل مهنا "رؤسائها زمن عبد الله". فعندما تولى عبد الله الحكم جاءه إبراهيم بن عبد المحسن آل عليان وطلب منه مساعدته ضد آل مهنا؛ فكان هذا قد أغضب رئيس بريدة آنذاك "مهنا الصالح أبا الخيل" فاستغل مركزه كحاكم لبلدة بريدة؛ فأمر بطرد بعض أفراد أسرة آل أبي عليان من البلد، متهمًا إياهم بتدبير مؤامرة لاغتياله. ولجأ المطرودون من آل أبي عليان إلى عنيزة، ولكنهم ما فتئوا أن عادوا إلى بريدة، واغتالوا مهنا الصالح عند خروجه من المسجد، وحاصروا قلعة الحكم في بريدة، واستولوا عليها من حرسها.

ولم تهدأ الأمور بل جمع حسن أبا الخيل (وهو ابن للمقتول) أفراد أسرته، وحاصر آل أبي عليان في القصر حتى استسلموا، وتولى حسن الإمارة بدلًا من أبيه. أمَّا إبراهيم بن عبد المحسن آل أبي عليان الذي كان في زيارة للإمام عبد الله، فقد أقنع عبد الله بالتدخل لصالح آل عليان ووعده بتقديم الولاء والطاعة لآل سعود[281]. ويبدو أن عبد الله كان يشك في إخلاص آل مهنا للحكم فقرر التدخل، بخاصة بعد أن بطش حسن آل مهنا بأسرة آل أبي عليان، وقتل الكثير من زعمائهم، فاعتبر هذا تعديًا على سلطته كإمام للبلاد النجدية.

وعندما حدث الخلاف بين الامام عبد الله وبين أهل المجمعة وأدى إلى الحرب، وكان محمد ابن الرشيد قد اتفق وأهل ذاك البلد على أن يكون حليفهم وحاميهم، وأن يكونوا من رعاياه؛ فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبد الله بن فيصل، فبادر إلى نجدتهم بجيش مؤلف من بوادي شمر وحرب.

وعندما وصل إلى بريدة انضم إليه أميرها حسن آل مهنا أبو الخيل ومعه جند من القصيم. ثم زحفوا إلى الزلفى، وكان عبد الله ومن معه من أهل المحمل وسدير والوشم وبادية عتيبة؛ قد عسكروا في ضرما، فلما علموا بتحالف ابن الرشيد وابن مهنا وزحفهما إلى الزلفى؛ انسحبوا من ضرما وعادوا إلى الرياض.

فدخل ابن الرشيد المجمعة وعين عليها أحد رجالها، فكانت بعد فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد.

ثم أعاد الإمام عبد الله الكرة على المجمعة؛ فاستغاث أهلها بأمير الجبل ابن الرشيد وأمير بريدة ابن مهنا فأغاثاهم، فأدى ذلك إلى وقعة بينهم وبين الإمام، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد الذي كتب بعد ذلك إلى رؤساء البلدان في الوشم وسدير؛ يدعوهم إليه في "الحمادة" مكان الوقعة فجاءوه طائعين، فعزلهم من وظائفهم، وعين في كل بلد من بلدانهم واحدًا من رجاله. وكانت وقعة الحمادة الخطوة الثالثة في استيلائه على نجد. [282]

وبعد هذه الموقعة بعث الإمام عبد الله بأخيه محمد رسولًا إلى ابن الرشيد، فأكرمه وتفاوض وإياه. وقد عاد محمد من حائل يحمل إلى أخيه من أمير الجبل هدية، وتعهدًا بأن يترك له بلدان الوشم وسدير، فبادر الإمام إلى عزل من أراد عزله في تلك البلدان؛ فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل، إذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها، ولا تقلص نفوذ ابن الرشيد. [283]

أمَّا أولاد سعود بن فيصل الذين نزحزا إلى الخرج فقد قام منهم محمد ينصر عمه عبد الله؛ فحشد جيشًا من عتيبة وراح يطلب الخصم الجديد ابن الرشيد، فالتقى به عند ماء يسمى عروى، فنازله هناك وكان مهزومًا. هذه هي بداية العداء بين ابن الرشيد وبين أولاد سعود بن فيصل.

ولكنهم لم يكونوا يدًا واحدة على خصمهم. فقد قاموا في هذه السنة على عمهم عبد الله يحاولون انتزاع الحكم منه؛ فقبضوا عليه وألقوه في السجن، فجاء ابن الرشيد يقطف- على عادته- ثمار الخلاف. جاء فزعًا كما ادعى، وكان قد كتب إلى رؤساء البلدان في نجد يشجب عمل أولاد سعود، ويدعو لنصرة عمهم عبد الله. فلبى الناس دعوته، ومشوا معه إلى الرياض، فخرج إليهم عندما دنا منها وفد للمفاوضة يرأسه عبد الرحمن بن فيصل، فقال ابن الرشيد: ما قصدي والله غير أن أُخرج عبد الله من السجن، وأن تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود. ثم عاهدهم على ذلك. [284]

أمَّا أولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن الرشيد الأمان؛ فأمنهم على دمائهم وأموالهم، فعادوا إلى الخرج. وبعد أن دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار، قام على الفور بإطلاق عبد الله من السجن، وأرسله وأخيه عبد الرحمن

وعشرة آخرين من آل سعود "أسرى" إلى حائل. ثم أقام سالم السبهان (بيت السبهان أخوال بيت الرشيد) أميرًا في الرياض.

وبعد خمسة أشهر جاء سالمًا وفدٌ متظلمٌ من "الخرج" الذي كان أهله قد اختصموا وأبناء سعود ابن فيصل، فراح سالم يحسم الخلاف هناك. وقد حسمه حسمًا تستحيل عنده المعاودة، إذ إنه قتل أبناء سعود محمدًا وسعدًا وعبدَ الله؛ أولئك الذين أمنهم ابن الرشيد على حياتهم، وأجلى أهلهم إلى حائل. فضجَّ الناس وقاموا يحتجون على السبهان، فعزله ابن الرشيد وعين مكانه فهاد بن رخيص من كبار شمر. [285]

وفي السنة التالية مرض عبد الله بن فيصل في الجبل، فأذن له ولأخيه عبد الرحمن وأسريتهما بأن يعودوا إلى الرياض. وقد عاهد عبد الله على أن يكون أميرًا في بلاده. ولكنه توفي في 2 ربيع الثاني /26 نوفمبر من هذه السنة بعد وصوله إلى الرياض، فكتب عبد الرحمن إلى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله أن يعزل عامله حسب العهد المذكور، فكان جواب ابن الرشيد أن عزل فهاد بن رخيص وعين مكانه سالم السبهان، أي أنه نكث عهده. وفي 11 ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبد الرحمن أن ابن السبهان قادم ليسلم عليهم سلام العيد ويقتلهم؛ فاحتاطوا للأمر. وعندما وصل السبهان أمر عبد الرحمن بأن يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلامًا من ابن الرشيد، وكان في نيته أن يفتك بهم فيذبحهم جميعًا. على أن السعوديين سبقوه إلى شبه ما كان يبطن، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عددًا منهم[286].

بلغ خبر هذا الحادث أهل القصيم، وكانوا قد اختلفوا وابن الرشيد؛ فكتبوا إلى عبد الرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون. وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم إلى الرياض ليثبت ابن السبهان في مركزه، وقفوا له في الطريق وصدُّوه، فعللهم بالوعود – وعد بأن يعطيهم بادية مطير «والخوة» التي كانت تفرض على الحجاج– فرضوا ذلك، ونكثوا عهدهم مع ابن سعود عبد الرحمن. [287]

ثم زحف ابن الرشيد إلى الرياض بجيشه فحاصرها أربعين يومًا. ثم دعا أهلها للصلح، فخرج إليه محمد بن فيصل والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من آل الشيخ. ومعهما ابن عبد الرحمن عبد العزيز الذي كان يومئذٍ في الحادية عشرة من سنه، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصالحوا على أن

تكون الإمارة في العارض لعبد الرحمن بن فيصل. إلا أنه كان صلحًا مموهًا لأن ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة، ولا تمكن أهلها من رده عنها.

أمَّا أهل القصيم فعندما عاد الأمير محمد إلى الجبل طلبوا منه أن يبر بوعده فسوَّف وتردَّد، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب. وما كان هذا الأمير الشمري ليرد طالبًا، فقد استنفر قبائله وتلاقى وأهل القصيم في القرعا، فتصادموا وتناوشوا في العشر الأُوَلِ من جمادى الأولى سنة 1308هـ /1890م وكانت الغلبة لأهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن الرشيد أن يخرجوا من ذلك المكان كأنهم منهزمون وأن يسيروا إلى البادية حيث لا «ضلعان» - تلال – ولا «مزاين» - أماكن يكمن فيها – فيظن العدو أنهم انهزموا، فيتقفاهم، فيقطعون ساقته بالخيل. [288]

قال الراوي: «وأهل القصيم أناس شجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل» فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا: انهزم، انهزم، ولحقوه، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم، فهجمت عليهم الحيل، فاجتزت مؤخرهم. كانت الهزيمة عظيمة. قيل إنه قتل ألف رجل من أهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المليدة، والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد.

لم يقم لآل سعود قائم بعدها. فقد كان الإمام عبد الرحمن خارجًا برجاله من الرياض؛ لينجد أهل القصيم، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة، عاد إلى الرياض، فأخرج حريمه وأولاده منها، وارتحلوا إلى الأحساء التي كان يومئذٍ عاكف باشا متصرفها[289].

وكان طبيب الجيش هناك شابًّا لبنانيًّا هو الدكتور زخور عازار؛ الذي انتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود، ويعرض عليه شروط الدولة. فاجتمع الدكتور زخور على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة 1308 / يناير 1891م بالإمام عبد الرحمن، وكان معه ابنه الصغير عبد العزيز. وقد عرض عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة، إذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها، ودفع بمنابة الخراج شيئًا "ألف ريال أو أقل مثلًا" في السنة [290].

فرفض الإمام عبد الرحمن قائلا: إن بعد ذبح بندر بن الرشيد تفتت العشائر؛ فصارت خائنة بعضها لبعض، وللأمراء الحاكمين كذلك. وإنه لا يستطيع والحال هذه أن يثق بها[291].

وفي عام 1309هـ/ 1891م توجه عبد الرحمن إلى قطر وأقام فيها حوالي شهرين[292]، وهناك اتصل به حافظ باشا متصرف الأحساء، وتفاوض معه على أن تدفع له الدولة راتبًا شهريًّا

مقداره 60 ليرة عثمانية، وأن يقيم في الكويت؛ وذلك لتضمن حركاته[293]، ووافق عبد الرحمن وسكن الكويت[294] وظل فيها حتى استطاع ابنه عبد العزيز أن يستعيد الرياض من آل رشيد عام 1319هـ/1902م.

وأثناء وجود عبد الرحمن في الكويت كاتب نقيب أشراف البصرة؛ لعله يتوسط له عند واليها كي يضغط على ابن رشيد فينسحب من الرياض، ويرجع حكمها لأسرة آل سعود[295]. ولكن التوسط لم يعط فائدة تذكر.

نهاية الدولة السعودية الثانية:

كان أول احتكاك غير ودي بين الإمام عبد الله بن فيصل والأمير محمد بن رشيد سنة 1293هـ/1876م ، حينما أغرى أمير عنيزة "زامل بن سليم" ذلك الإمام بالوقوف مع آل عليان – حكام بريدة سابقًا – ضد خصومهم آل مهنا أبي الخيل- أمراء هذه البلدة حينذاك-. فلقد توجه الإمام عبد الله إلى عنيزة محاولًا القيام بهجوم على بريدة مع آل عليان وزامل بن سليم وقبيلة عتيبة. لكن الفريق الأكبر من هذه القبيلة تأخر مجيئه إليه. وكان حسن بن مهنا "أمير بريدة" قد اتصل بالأمير محمد ابن رشيد لينجده في ساعته الحرجة. فانتهز هذا الأمير الطموح الفرصة المواتية؛ فلبى طلب ابن مهنا أملا في مد نفوذه الخاص. وأمام تأخر تركي بن حميد وقومه من عتيبة في الوصول إلى عنيزة، ومعرفة الإمام عبد الله بتحرك ابن رشيد للوقوف مع أمير بريدة، أقلع ذلك الإمام عن فكرة مهاجمة هذه البلدة. وبذلت جهود كان من نتيجتها أن انسحب كل من عبد الله بن فيصل ومحمد بن رشيد إلى قاعدة حكمه[296]. ومنذ تلك الحادثة أصبح محمد بن رشيد وحسن بن مهنا حليفين، وأخذا يهاجمان المناطقَ النجدية التابعة للإمام عبد الله رسميًّا والقبائلَ الموالية له.

ويبدو أن ما حققه محمد بن رشيد من نجاح قد دفع أهل المجمعة للتحالف معه. وفي عام 1299هـ/1882م جهز الإمام عبد الله جيشًا لمحاربة هذه البلدة، ووضع حصار عليها. لكنها استنجدت بالأمير محمد بن رشيد؛ فهب لنجدتها، وانضم إليه حسن بن مهنا وأتباعه. وحينما اقترب منها ابن رشيد ومن معه؛ اضطر الإمام عبد الله إلى فك الحصار عنها. والعودة إلى الرياض[297].

وبعد عامين من الحادثة السابقة حاول الإمام عبد الله إعادة المجمعة إلى طاعته؛ فهب لنجدتها ابن رشيد وحسن بن مهنا بأتباعهما، ودارت بين الفريقين معركة في أم العصافير القريبة من

تلك البلدة. وقد انتصر ابن رشيد ومن معه انتصارًا عظيمًا ثبت مركزه أكثر من ذي قبل في إقليمي الوشم وسدير[298].

وفي أعقاب معركة أم العصافير بعث الإمام عبد الله بن فيصل أخاه محمدًا إلى الأمير محمد ابن رشيد ليفاوضه. فأكرمه ابن رشيد، وتخلى لعبد الله عن البلدان التي دخلت تحت نفوذه من سدير والوشم باستثناء المجمعة[299]. وكانت تلك البادرة عملًا ذكيًّا من ابن رشيد؛ لأنه كان يدرك أن أمراء بلدان الإقليمين لن يتعاونوا مع الإمام عبد الله على أية حال. وهو إن أرضى الإمام نظريًّا، فإنه لن يخسر شيئًا عمليًّا؛ لأن الأمراء المذكورين سينضمون إليه عاجلًا أو آجلًا.

على أن أبناء سعود بن فيصل لم يخلدوا إلى الراحة. بل كانوا يقومون بغزوات لعدد من القبائل. وكانت بعض غزواتهم موفقة[300]. ولعل ما أحرزوه من نجاح جزئي، وما لاحظوه من ضعف عسكري في جانب عمهم عبد الله، كانا من الأمور التي أغرتهم بدخول الرياض، والقبض عليه، والاستيلاء على مقاليد الأمور في هذه المدينة سنة 1305هـ/1887م[301].

وكان عملُ أبناء سعود بن فيصل ضد عمهم عبد الله فرصةً أخرى لمحمد بن رشيد لتوسيع نفوذه. فقد توجه إلى الرياض مظهرًا أنه أتى إليها ليدافع عن الإمام الشرعي؛ خاصة أنه خالٌ لتركي ابن الإمام عبد الله. وسواء كان مجيئه إلى هذه المدينة بناء على طلب من الإمام عبد الله كما تقول بعض المصادر[302] أو لم يكن؛ فإنه حينما اقترب منها خرج إليه نفر من زعمائها، واتفقوا معه على أن يخرج أبناء سعود وأن يعودوا إلى "الخرج"، وأن يدخل هو الرياض بدون قتال. وبعد دخوله إليها أخرج الإمام عبد الله من السجن، وعيَّن سالم بن سبهان أميرًا فيها. ثم عاد إلى حائل ومعه عبد الله بن فيصل أخوه عبد الرحمن[303]. وبذلك أصبحت الدولة السعودية تحت نفوذ الأمير محمد بن عبد الله ابن رشيد، وأصبح الحكم السعودي منتهيًا تقريبًا.

على أن سالم بن سبهان - ومن ورائه محمد بن رشيد – كان يدرك أن وضعه في الرياض غير آمن مادام أبناء سعود بن فيصل يقومون بنشاط عسكري في إقليم الخرج؛ فبدأ يخطط للتخلص منهم.

ولم تمر بضعة شهور على توليه إمارة الرياض إلا وقد نجح في تنفيذ ما خططه؛ إذ توجه إلى الدلم، وفاجأهم، فقتل ثلاثة منهم. أما الرابع- وهو عبد العزيز- فقد كان ذاهبًا إلى حائل. وقد

أبقاه الأمير محمد بن رشيد لديه هناك[304].

وكما كان متوقعًا، فقد ضجَّ أفراد الأسرة السعودية ومؤيديهم من عمل ابن سبهان، وأظهر محمد ابن رشيد غضبه عليه واستياءه مما ارتبكه؛ فعزله عن إمارة الرياض، وعين بدلًا منه فهاد ابن رخيص[305].

وبعد مقتل أبناء سعود بن فيصل، اطمأن الأمير محمد بن رشيد إلى أنه قضى على مصدر من أهم مصادر الخطر بالنسبة لنفوذه في نجد، ولم يعد في حاجة لأية مراعاةٍ لأي زعيم من زعائمها. ومن هنا فإن علاقته بحسن بن مهنا "أمير بريدة" قد بدأت تتغير نوعًا ما[306]. ولعل قوة وحسن وموقع إمارته- بين جبل شمر وبقية الأقاليم النجدية- كانا من أهم الأسباب التي دفعت حاكم نجد الجديد إلى البحث عن وسيلة للقضاء عليه أو إضعاف قوته. وكانت الشرارة التي أوقدت الخلاف بين الطرفين محاولة الأمير محمد أخذ الزكاة من بادية يعدها الأمير حسن تابعة له، وذلك سنة 1306 هـ/1888م[307] وكانت بداية الخلاف بين هذين الأميرين إيذانًا ببداية التحالف بين الأمير حسن وأمير عنيزة "زامل بن سليم"[308]. وهذا ما مهد الطريق لتعود منطقة القصيم متحدة مرة أخرى أمام آل رشيد.

وفي عام 1307هـ/1889م ، أذن الأمير محمد بن رشيد لعبد الله بن فيصل وأخيه عبد الرحمن بالعودة إلى الرياض. وكان عبد الله مريضا؛ فتوفي بعد يومين من وصوله إلى هذه المدينة[309].

ويبدو أن الأمير محمد بن رشيد قد خشِيَ أن يستعيد عبد الرحمن ابن فيصل نشاطه بعد وفاة أخيه عبد الله واستقراره في الرياض؛ ولذلك أعاد سالم بن سبهان ليكون رئيسًا للحامية الموجودة فيها. وبدا لعبد الرحمن أن إعادة سالم إلى هذه المدينة قصد بها التخلص منه عاجلًا أو آجلًا.

وقد دفع "حسنَ بن مهنا" خروجُهُ عن تحالفه مع الأمير محمد بن رشيد إلى أن يكتب إلى عبد الرحمن بن فيصل؛ يحرضه على التخلص من ابن سبهان ويعده بمناصرته[310].

وقد دبر عبد الرحمن حيلة استطاع بها القبض على سالم[311]. وكما كان متوقعًا، لم يقف الأمير محمد بن رشيد موقف المتفرج إزاء القبض على سالم بن سبهان؛ فجهز جيشا واتجه به من

حائل إلى الرياض في مستهل عام 1308هـ/1890م. واستطاع أن يتفادى أهل القصيم في مسيرته. وحينما وصل إلى أسوار الرياض قام بقطع كثير من نخيلها، وحدثت مناوشات بينه وبين أهلها[312].

ثم خرج وفد منها للتفاوض معه. وكان رئيس الوفد محمد بن فيصل ومعه ابن أخيه عبد العزيز ابن عبد الرحمن – الأمير عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة بعد ذلك – والشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف، واتفق الطرفان على أن يكون عبد الرحمن بن فيصل إمامًا للعارض والخرج. وأن يطلق سراح ابن سبهان مقابل إطلاق الأمير محمد بن رشيد لمن كانوا قد وفدوا إليه من آل سعود سنة 1307ه / 1889م[313]. ومن الواضح أن الاتفاق كان كسبًا للإمام عبد الرحمن بن فيصل نسبيًّا. ولعل مما دفع الأمير محمد بن رشيد إلى الموافقة عليه أنه لم يقض بعد على القوة الجديدة التي بدأت تنافسه، وهي قوة القصيم.

ولم يمكث الأمير محمد بن رشيد في قاعدة حكمه بعد عودته إليها من الرياض إلا شهرًا تقريبًا. ثم خرج منها بقواته لقتال أهل القصيم.

وكان هؤلاء ومن انضم إليهم من البادية قد استعدوا للقائه، وحدثت بين الطرفين مناوشات في القرعاء رجحت فيها كفة أهل القصيم ومن معهم. ثم استخرجهم الأمير محمد بن رشيد من مواقعهم إلى أرض المليداء الصالحة لكر الخيل وفرها؛ فدارت بينه وبينهم معركة حامية الوطيس انتصر فيها عليهم انتصارًا عظيمًا. وقتل منهم حوالي ألف رجل بينهم أمير عنيزة "زامل بن سليم". ثم قبض على الأمير حسن ابن مهنا فيما بعد، وأخذه معه سجينًا إلى حائل[314]. وتعد معركة المليداء من المعارك الفاصلة؛ إذ جعلت منطقة القصيم- المهمة قوةً واقتصادًا وموقعًا جغرافيًّا- خاضعة للأمير محمد ابن رشيد مثلها في ذلك مثل الأقاليم النجدية الأخرى.

وكان الإمام عبد الرحمن بن فيصل قد جهز حملة من أتباعه لنجدة أهل القصيم ومن معهم، وبدأ مسيرة إلى هناك. لكنه تأخر في سيره[315]. وما إن علم بأخبار هزيمتهم الساحقة حتى عاد إلى الرياض، وتفرق أتباعه. ويبدو أن معركة المليداء كانت النذير الأخير للإمام عبد الرحمن، الذي خاض- بعد عام من وقوعها- معركة ضد ابن رشيد في حريملاء. لكن دائرة هذه المعركة دارت عليه، وكانت بمثابة نهاية الدولة السعودية الثانية[316].

ومهما يكن فقد اعتكف عبد الرحمن عن العمل السياسي فترة سنتين من 1302-1304هـ/1884-1886م. وأما محمد بن سعود فقد ظل بعيدًا عن العمل السياسي حتى عام 1308هـ/1890م، وفي هذه السنة بالذات ظهر في الرياض، وربما كان طوال هذه الفترة في الرياض دون أن يتدخل في السياسة[317].

والواقع أن أخذ عبد الله بن فيصل إلى حائل كان بمثابة سجن أدبي له، وكان هذا معناه نهاية حكم آل سعود في الرياض، وهذا ما يفسره تعيين ابن سبهان نائبًا عن ابن رشيد في الرياض. فكل هذه الأعمال تثبت أن ابن رشيد قد سيطر على نجد.

وفي عام 1305هـ/1887م حدث خلاف بين أهالي الخرج وأولاد سعود الثلاثة وهم محمد وسعد وعبد الله. أمَّا عبد العزيز فقد كان أسيرًا في حائل[318]. فضج الناس في وادي حنيفة مما أغضب ابن رشيد فأمر بعزل ابن سبهان وتعيين فهاد بن عبادة بن رخيص[319]. وكان الناس قد ضجوا على ابن سبهان للطريقة التي قتل بها أولاد سعود الثلاثة.

ثم ذهب عبد الرحمن بن فيصل إلى حائل لزيارة أخيه عبد الله الذي زاد فيه المرض وأصبح أمل شفائه متعذرًا، وهناك أشار محمد بن رشيد على عبد الرحمن أن ينقل أخاه إلى الرياض، فنقله ومات بعد وصوله بمدة لا تتجاوز 8 ربيع الآخر 1307هـ/ 24 نوفمبر 1889م[320].

وبموت عبد الله انقضى عهد الدولة السعودية الثانية بشكل تام بعد أن عجز هذا الإمام عن الحفاظ على تركة والده؛ نتيجة للظروف غير العادية التي سادت البلاد. ويذكر فلبي «أن عبد الله قضى ثلث حكمه لاجئًا لا وطن له، ومع هذا فقد كان رجلًا ممتازًا يتمتع بدماثة الخلق، ولكن كانت تنقصه الحكمة والدهاء»[321].

وتولى عبد الرحمن بن فيصل الحكم بعد موت أخيه[322] ؛ لأن أخاه محمدًا لم يكن ذا مطمع سياسي، وطلب هذا من محمد بن رشيد أن يعزل فهاد بن رخيص عن إمارة الرياض لتبقى السلطة جميعها بيده، إلا أن ابن رشيد قابل هذا الطلب بتحد واضح؛ فعزل فهاد وعين ابن سبهان العدو اللدود لآل سعود، وهذا يثبت تمامًا أن الحكم في نجد أصبح بيد آل رشيد، ولم تكن سلطة عبد الرحمن سوى سلطة اسمية فقط؛ لأن الأمر والنهي كان بيد نائب ابن رشيد.

بدأ ابن سبهان يدبر من أجل التخلص من بقايا آل سعود، وأعد يومًا لتنفيذ مخططه، وهو يوم عيد الأضحى في 1307هـ / 1889م، إلا أن عبد الرحمن كشف المؤامرة وعرف نوايا ابن سبهان، ولما دخل ابن سبهان للسلام عليه في قصر الرياض أُلقِيَ القبضُ عليه ومن معه، وظل أسيرًا حتى حصار الرياض الأخير من قبل ابن رشيد فيما بعد. وبهذا النجاح نجا عبد الرحمن وأسرته من مكائد نائب آل رشيد[323].

حاول عبد الرحمن أن يعيد سلطة الدولة على مناطق القصيم، عندما استنجد به أهالي القصيم ضد محمد بن عبد الله بن رشيد، لكن الأخير لم يمهل هذا الحلف حتى ينضج، بل جرد حملة عسكرية قوية من البدو والحضر، واتجه لمحاصرة الرياض؛ وذلك لإنهاء حكم آل سعود نهائيًا من نجد. ولم يكن عبد الرحمن بغافل عن تحركات عدوه، بل أخذ يحض سكان الرياض حتى يستطيعوا الصمود أمام ابن رشيد. وصلت قوات ابن رشيد وحاصرت المدينة، لكن حاميتها استبسلت في الصمود، فحاول ابن رشيد أن يقطع المدد الاقتصادي عنها؛ فأغار على قواها المحيطة بها، واقتلع حوالي 8000 "ثمانية آلاف" نخلة[324].

ودام الحصار مدة 40 "أربعين" يومًا وبعدها اقترح ابن رشيد أن يتفاوض مع عبد الرحمن، فوافق الأخير وأرسل وفدًا برئاسة أخيه محمد والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف "قاضي الرياض" كعضو محادث، وحضر المفاوضات الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن (الأمير عبد العزيز فيما بعد)، وكان عمره لا يتجاوز عشر سنوات، وتم الاتفاق على الآتي:

أولًا: أن يرحل ابن رشيد إلى حائل بعد فكه للحصار المفروض على المدينة.

ثانيًا: أن تكون السلطة الفعلية في الرياض بيد آل سعود، دون أن يتدخل ابن رشيد فيها.

ثالثًا: أن يطلق سراح سالم بن سبهان المأسور بعد مؤامرة عيد الأضحي. وهذا الشرط أورده حافظ وهبة وعنه أخذ كل من أمين سعيد، عبد الغفور[325] وكلهم أخذوا ذلك عن المؤرخ إبراهيم بن عيسى.

ويعلق عبد الرحمن الناصر على هذا بقوله «ووقع الصلح إلا أنه كان مموهًا.. »[326] ويقول فلبي «ومن المشكوك فيه أن يكون أي من الجانبين قد اعتبر الاتفاقيات دائمة ونهائية»، فقد أضاع

أمير الرياض جزءًا كبيرًا من بلاده ولابد من استعادته، وقد كان ابن رشيد يحلم بزيادة ممتلكاته لتصبح له دولة حقيقية[327].

قرر ابن رشيد أن يصفي حسابه مع بريدة بعد أن فشل من فتح الرياض؛ أرسل حملة من عربان شمر وحرب والتقى بقوات القصيم في مكان يدعى القرعاء، انتصر فيها أهالي القصيم في 10 جمادى الأولى 1308هـ/1890م. إلا أن ابن رشيد اتبع الحيلة، فأمر قواته بالانسحاب إلى أرض سهلية حتى يراهم أهل القصيم؛ فيلحق بهم وبعدها تنقض فرسانه على القوات القصيمية. ونجح بذلك وتمكن من أن يهزم أهل القصيم بعد أن قتل من مؤخرتها حوالي 1000 "ألف" قتيل، وعرفت هذه الوقعة باسم المليداء، وكانت هذه من أكبر الخطوات الحاسمة التي مكنت ابن رشيد من السيطرة على جميع نجد[328].

ومع أن عبد الرحمن جهز جيشًا لمساعدة أهل القصيم "أصدقائه"، إلا أنه وصل سهل الحمادة وسمع بانهزامهم؛ فقفل راجعًا إلى الرياض. وبعدها عرف النتيجة الحتمية له فقرر أن يهاجر من الرياض، فسار بعائلته إلى الصحراء الشرقية قرب الأحساء، بعد أن بقي أخوه محمد وعائلته في الرياض. وأقام عبد الرحمن عند آل مرة حوالي سبعة أشهر، وأرسل مبعوثًا إلى شيخ البحرين، وسمح لأهله بالإقامة فيها. وبعدها تفرغ للعودة ثانية إلى الرياض بعد أن أمَّن عائلته من الخطر[329].

ثم جمع عبد الرحمن قوات من بدو المنطقة واتجه إلى حريملاء، وفيها التقى بقوات محمد ابن رشيد التي مزقت حشود قواته، ومن حسن حظ عبد الرحمن أنه تمكن من النجاة بنفسه، وعاد بعدها ثانية إلى الصحراء[330].

ولما عرف أن الأمر فوق مقدوره بدأ يراسل العثمانيين ويفاوضهم، وبخاصة أن هؤلاء يدعمون ابن رشيد الذي تحالف معهم ضد آل سعود لاتفاق الطرفين في الهدف؛ ولأن الدولة تريد أن تقضي على سلطة آل سعود القوية في المنطقة. وقد قبل العثمانيون مفاوضة عبد الرحمن، وناب عنه شاب لبناني يدعى الدكتور زخور عازار، والتقى الطرفان في عين نجم قرب الهفوف في 1308هـ / يناير 1891م[331] ويبدو أن الدولة هالها ما وصل إليه آل رشيد من نفوذ، فرأت أن توازن بين القوي في المنطقة؛ لذا فتحت باب المفاوضات مع عبد الرحمن.

ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق؛ لأن الدولة العثمانية كانت تريد أن تضرب عصفورين بحجر؛ فطلبت من عبد الرحمن أن يهاجم الرياض ويأخذها من آل رشيد، وبعدها يصبح حاكمًا عليها من قبل الدولة، على أن يدفع لها خراجًا سنويًّا[332].

وقد رفض عبد الرحمن هذا الطلب؛ إذ لم يكن لديه القوة الكافية لقهر آل رشيد، بعد أن انفصلت عنه معظم القبائل التي سئمت من كثرة الحروب[333].

وفي عام 1309هـ/1891م توجه عبد الرحمن إلى قطر وأقام فيها حوالي شهرين[334]، وهناك اتصل به "حافظ باشا" متصرف الأحساء، وتفاوض معه على أن تدفع له الدولة راتبًا شهريًّا مقداره 60 ليرة عثمانية، وأن يقيم في الكويت وذلك لتضمن حركاته[335]، ووافق عبد الرحمن وسكن الكويت[336] وظل فيها حتى استطاع ابنه عبد العزيز أن يستعيد الرياض من آل رشيد عام 1319هـ/1902م. وأثناء وجود عبد الرحمن في الكويت كاتب نقيب أشراف البصرة؛ عله يتوسط له عند واليها كي يضغط على ابن رشيد فينسحب من الرياض، ويرجع حكمها لأسرة آل سعود[337]. ولكن التوسط لم يعط فائدة تذكر.

نتائج الحرب الأهلية

لابد من دراسة النتائج المترتبة على الفتنة، وحرصًا على الدقة فقد قسمنا هذه النتائج إلى عدة أقسام: سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى جانب بعض النتائج الثانوية الأخرى.

أولا: النتائج السياسية:

عمت البلاد حروب شملت بلاد نجد، وامتدت إلى خارج حدودها، وظلت حالة الفوضى أكثر من ثلاثين سنة. وكانت هذه الحروب نتيجة لتحالفات القبائل المؤيدة لسعود، والقبائل المؤيدة لعبد الله؛ مما أدى إلى عودة روح العداء التقليدي بين الجماعات البدوية والحضرية. كما أدى- من نتائج الفتنة- إلى ضياع الحكم السعودي الثاني، وظهور قوة سياسية جديدة ضمت جميع نجد بجانب إقليم الجبل، وهي قوة آل رشيد.

وتمكن العثمانيون من مد نفوذهم الجدي وبشكل عسكري في الأقاليم الشرقية من نجد، هذا ما حدا ببريطانيا أن تنظر للأمر نظرة جادة؛ فزار الكولونيل "بلي" البحرين وجدد تأكيدات بريطانيا

حول موضوع الحماية التي كانت قد أعلنتها على البحرين عام 1278هـ/1861م، وظل أسطولها يرابط في المنطقة كقوة رادعة ضد محاولات العثمانيين الرامية إلى التوسع في الخليج[338].

ونتج- كذلك- احتكاك مسلح بين مبارك آل صباح شيخ الكويت وبين آل رشيد أصحاب السلطة الجديدة في نجد، وذلك نتيجة لإقامة آل سعود في الكويت التي اتخذوها قاعدة للهجوم على نجد ومحاولة لإعادة سلطتهم فيها.

ومن هنا أصبحت الكويت الصغيرة محور سياسة الصحراء، ومركز التنافس والتوتر الدولي في المنطقة حتى إنها غدت نقطة رئيسة في المشروع الاقتصادي الألماني في الولايات العثمانية «سكة حديد برلين - بغداد». وكان لهذا الإجراء أثره على السياسة الإنجليزية؛ إذ تعهدت بريطانيا بحماية الكويت ضد أي اعتداء خارجي. وكان من نتائج الاحتكاك الرشيدي الكويتي السعودي وقعة الصريف في 17 ذي القعدة 1318هـ / 1901م[339].

وهناك نتيجة سياسية هامة، وهي أن الانقسامات شجعت "عزان بن قيس" إمام عمان أن ينتزع البريمي من آل سعود في صيف عام 1286هـ/1869م. حتى إن الإمام عبد الله بن فيصل لم يستطع أن يفعل شيئًا نتيجة انشغاله بحروب أخيه، وتمردات القبائل، وانفصال بعض أقاليم الدولة، ولظروف ثانوية أخرى.

ثانيًا: النتائج الاقتصادية:

امتصت الحروب كثيرًا من الأيدي العاملة التي كانت سببًا في إنعاش الحياة الاقتصادية والزراعية والتجارية والصناعية والري، كما كان للحروب نتائج كبيرة؛ إذ قتل فيها عدد كبير من الأفراد العاملين؛ مما شل الحركة الاقتصادية في البلاد بشكل عام.

كما أن التجار وقوافلهم أصبحوا في حالة من القلق وعدم الاطمئنان؛ خوفًا من نهب البدو واعتداءات القبائل، وذلك نتيجة حتمية لضعف السلطة المركزية.

وقد أثر هذا في تعطيل مرافق العمل في البلاد، وكانت نتيجته أن حدثت هزات اقتصادية قوية، وبخاصة في قلب البلاد (نجد)، حتى إن الناس أكلوا الجيف من شدة الجوع وعدم توافر المواد الغذائية اللازمة[340]. ومما زاد الأمر صعوبة ضعف اقتصاد البلاد آنذاك؛ إذ كانت تعتمد كلية على الزراعة

والري والتجارة، وهذه جميعها تأثرت بالأوضاع السياسية السائدة في البلاد خلال فترة الفتنة. وهكذا نرى أن الأمور التي ساعدت على ضعف اقتصاد البلاد كانت طبيعية وبشرية وسياسية، انعكس تأثيرها على دخل الدولة؛ فاضطرت الدولة إلى زيادة الضرائب؛ مما أرهق كاهل الشعب، فزاد في تذمره.

ثالثًا: النتائج الاجتماعية:

ظهرت عدة مشكلات اجتماعية نتيجة الحروب المذكورة؛ إذ إن الضعف الاقتصادي خلف في البلاد طبقة اجتماعية عاطلة عن العمل؛ فانتشرت البطالة وقل الإنتاج. كما أن الحروب أوجدت أفرادًا مشوهين، وذوي عاهات دائمة. فأصبح هؤلاء عالة مستديمة على المجتمع، وكان بالإمكان استغلال هذه الطاقات البشرية في الحقل الاقتصادي، وفي عمليات البناء الحضاري.

ونتج عن الحروب أن تمزقت وحدة المجتمع السعودي بعد أن تهيَّأت فيه أسباب الانقسام، كدخول القبائل في حروب ضد بعضها، هذا ما أعاد إلى الأذهان العداوات القديمة التي ظلت تلازم التطورات السياسية في المنطقة، إلى أن جاء عهد الدولة السعودية الحديثة؛ فعمل عبد العزيز آل سعود على إنهاء هذه العداوات، بعد أن شكل البدو قرًى دعيت بالهجر، ودعاهم بالإخوان أي بمعنى الحليف والمعاهد لأخيه المسلم، وهذا ما سنه الرسول الكريم عندما هاجر إلى المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار متماشيًا مع الآية الكريمة «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.. » وغدت كلمة الإخوان علمًا يطلق على سكان البادية الذين تركوا سُكني الخيام، واستقروا في أماكن خصصت لهم[341].

وقد أثرت الفتنة على الحياة الثقافية والأدبية في البلاد، فشلت حركة الكتاتيب؛ نتيجة لعدم الاستقرار السياسي في المنطقة، ولم تبق سوى الكتاتيب التي كانت تلازم مخيمات الجند أو التي كانت تقام في الجوامع بعد انتهاء صلاة العصر، هذا إذا كانت البلدة أو القرية في هدوء آنذاك. وعلي الرغم من هذا فقد ازدهر الشعر النبطي في وصف الحروب والأوضاع العامة.

ومن جانب آخر فقد ألهبت عواطف الشعراء، فمنهم من كان يؤيد عبد الله، ومنهم من أيد سعودًا، ومنهم من وقف على الحياد، وأخذ يحضهما على الاجتماع بدلًا من الفرقة والخلاف وينهاهما عن الشقاق. وقد حللت بعض هذه القصائد الفتنة، وذكرت في أبياتها مدى المساوئ التي

خلفتها. فيقول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى أحد قضاة آل سعود في قصيدة وجهها لأولاد فيصل ما يلي:

فحتي متي هذا التواني على العلي	كأنكمو ممن حوته المقابـر
وأموالكم منهوبة وبلادكـم	تبوأها بالرغم منكم أصاغـر
وأشياعكم في كل قطر وبلـدة	أذلا حيارى والدموع مواطر
وأطفالكم هلكى تشتَّت ملهـم	وساءت لهم حال إذا الجدعاثر
ممالككم قد قسمتها ملوكها	وأنتم لهم أحدوثة ومساخـر[342]

ففي هذه القصيدة صورة أدبية تعكس لنا صورة حية عن شقاق أولاد فيصل، وما نتج عن هذا الشقاق. وقد استخلص الباحث في خاتمة الفصل الثاني ما يلي:-

أولًا: كانت معركة "المعتلا" بين سعود بن فيصل وأخيه عبد الله بن فيصل حدًّا فاصلًا؛ حيث إن نتائجها العسكرية كانت انتصار عبد الله. أما نتائجها الأخرى فقد تمثلت في أنها كشفت لعبد الله عن أعدائه الكامنين؛ فصمم على تأديبهم، وكذلك أجرى تعديلات في دولته؛ حيث عزل الضعفاء والمولين لأخيه سعود، وولى من هم أفضل وأكثر إخلاصا له. ولكن ظلت أسباب التوتر قائمة بين الطرفين إلى أن جاءت معركة الأحساء؛ والتي كان النصر فيها حليف سعود بن فيصل، وتبع ذلك انفصال الأحساء وحرمان الرياض من طرق التموين الشرقية؛ فكانت تلك هي الضربة القوية الأولى التي مهدت بعد ذلك لسعود الانتصار على أخيه في المعارك التالية؛ إلى أن تمت له السيطرة على الرياض وفرار أخيه عبد الله منها.

ثانيًا: إن الدولة العثمانية لم تكن تقف موقف المتفرج على الأحداث؛ إنما كانت تتابع عن كثب كل التطورات؛ وذلك للأهمية الحيوية لهذه المنطقة، والتي زادت أهميتها أكثر بعد افتتاح قناة السويس؛ فأصبح في مقدورها إرسال حملات بحرية بجانب الحملات البرية، ولذلك زودت الدولة

العثمانية من حامياتها في كل من مكة والحجاز، وأرسلت حملة إلى اليمن، وأخيرًا عينت مدحت باشا - المعروف عنة الشدة والطموح – حاكمًا عامًّا في العراق، والذي جهز حملة بقيادة "نافذ باشا" إلى الأحساء، ولقد مهد مدحت باشا للحملة بأن أرسل جواسيسه إلى الأحساء؛ ليقفوا على مدى قوة سعود، بل وتحالف مع القبائل الساكنة على حدود الأحساء.

ثالثًا: كان هدف الدولة العثمانية من احتلال الرياض من سعود بن فيصل هو إقرار السيادة العثمانية على الأحساء- كما أعلنوا-، وأنهم سيعملون على إعادة عبد الله بن سعود إلى الحكم برتبة قائمقام، وأن الدولة العثمانية سوف تعين ولاة وقضاة للمقاطعات، وستحدد الضرائب التي ستأخذها من رعاياها بالزكاة الشرعية، وقامت بتأمين الأحساء بالقوة العسكرية من الجنود والخيالة وبعض السفن الحربية؛ لقمع أي اضطراب في المنطقة.

رابعًا: استغلال كل طرف الأمة لصالحه؛ ولقد ظهر هذا المبدأ جليًّا عندما استغل محمد بن عبد الله ابن رشيد - الذي كان يحكم إمارة حائل – الفتنة، ووسع إمارته فشملت الجوف ووادي سرحان ثم القصيم، ومن بعدها المحمعة وسدير عام 1882 ، وكذلك ظهر دور آل رشيد في التدخل منذ بدء الخلاف بين آل أبي الخيل وآل مهنا، وتحالف ابن الرشيد مع ابن مهنا، وزحفا إلى الزلفى؛ فانسحب عبد الله ومن معه من ضرما إلى الرياض، فدخل ابن الرشيد المجمعة، وكانت بعد فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد، ثم بعدها حدثت وقعة الحمادة وانتصر فيها أيضا ابن الرشيد؛ فكانت الخطوة الثالثة في استيلائه على نجد.

خامسًا: أدت الحروب التي شملت نجد وامتدت خارج حدودها إلى حالة من الفوضى دامت لأكثر من ثلاثين عاما، وكانت هذه الحروب بسبب تحالفات القبائل المؤيدة لسعود، والقبائل المؤيدة لعبد الله؛ مما أدى إلى عودة روح العداء التقليدي بين الجماعات البدوية والحضرية، وظهرت قوة سياسية جديدة ضمت جميع نجد وإقليم الجبل. ثم تمكن العثمانيون من مد نفوذهم العسكري في الأقاليم الشرقية من نجد؛ مما جعل بريطانيا تنظر إلى الأمر نظرة جادة، حيث أرسلت الكولونيل "بلي" إلى البحرين، وهناك جدد تأكيدات بريطانيا حول موضوع الحماية التي أعلنتها على البحرين عام 1861. وكان نتيجة ذلك أن حدث احتكاك مسلح بين مبارك آل صباح حاكم الكويت وبين آل رشيد؛ نظرا لأن آل سعود قد اتخذوا من الكويت قاعدة للهجوم على نجد؛ ومن هنا أصبحت الكويت مركز الاهتمام في المنطقة بأسرها، وصارت نقطة رئيسة في المشروع الاقتصادي "سكة حديد

برلين - بغداد" وردت بريطانيا بالتعهد للكويت بالحماية ضد أي اعتداء خارجي. وكذلك واقعة الصريف عام1901؛ نتيجة الاحتكاك الرشيدي الكويتي السعودي، وقبلها وفي عام1869 قام عزان بن قيس بانتزاع البريمي؛ بسبب انشغال عبد الله بحروب أخيه، وبسبب الانقسامات و تمرد القبائل وانفصال بعضها.

سادسًا: أثرت الحروب كثيرًا على الحياة الاقتصادية؛ فقد امتصت الحروب كثيرًا من الأيدي العاملة الماهرة و المدربة، وذات الخبرات في مجالات الزراعة والري والصناعة والتجارة، وغيرها من الحرف، وكان لمقتل عدد كبير من هؤلاء الأفراد العاملين أثر سيئ للغاية؛ مما أصاب الحياة الاقتصادية بالشلل التام، فأثر ذلك على دخل الدولة واضطرت الدولة لفرض ضرائب جديدة وزيادتها، وبالتالي أثر ذلك كله على دخل الأفراد ومستوى معيشتهم، وتعطلت مرافق العمل في البلاد؛ فحدثت هزات اقتصادية هائلة، وبخاصة في قلب البلاد "نجد" لدرجة أن الناس قد أكلوا الجيف من شدة الجوع وعدم توفر المواد الغذائية. أضف إلى ذلك ضعف الحالة الاقتصادية للبلاد وقتها؛ حيث كانت البلاد تعتمد كليًّا على الزراعة والري والتجارة، وكل ذلك تأثر بسبب الحروب.

سابعًا: لقد أدت الظروف السياسية والأزمة الاقتصادية إلى ظهور عدة مشكلات اجتماعية، تمثلت في وجود طبقة اجتماعية عاطلة عن العمل، فكان نتيجة ذلك أن انتشرت البطالة وقل الإنتاج، كما أدت الحروب إلى ظهور طبقة من الأفراد المشوهين "مصابي الحروب"، والذين أصبحوا أصحاب عاهات مستديمة وهم عالة على المجتمع؛ حيث كان من المفترض أن يكون هؤلاء ضمن الطاقات البشرية و الأيدي العاملة التي تساهم التنمية الاقتصادية، ورفع مستوى المعيشة لأنفسهم ولأسرهم ولدولتهم.

ثامنًا: كانت الحروب الكثيرة والمتفرقة سببًا رئيسًا ومباشرًا في تمزق وحدة المجتمع السعودي، وذلك بعد دخول القبائل في حروب ضد بعضها، ولقد أثرت الفتنة على الحياة الثقافية والأدبية في البلاد؛ فجمدت الكتاتيب أنشطتها لعدم الاستقرار السياسي في الدولة، ولم تبق سوى بعض الكتاتيب التي كانت تأخذ الطابع العسكري، أو تلك التي كانت تقام في الجوامع بعد انتهاء صلاة العصر فقط في البلدة أو القرية التي كانت تتمتع الهدوء، ولكن بعد مجيء عهد الدولة السعودية الثالثة فقد عمل الأمير عبد العزيز على إنها العداوات سواء بين القرى المتناحرة أو بين القبائل المتصارعة، وآخى بين البدو وبين القبائل وغيرهم؛ مقتديًا بالرسول الكريم عندما آخى بين

المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة وقبلها آخى بين قبيلتي الأوس و الخزرج. وكان لهذه الفتنة أثر ايجابي على الشعر وخاصة شعر الحماسة في في وصف الحروب والمعارك والانتصارات عند حدوثها، وانقسم الشعراء إلى ثلاث فرق؛ فمنهم من كان يؤيد عبد الله ومنهم من يؤيد سعودًا ومنهم من وقف محايدًا يدعو للتهدئة.

الفصل الثالث

العلاقات بين عبد العزيز آل سعود وآل رشيد حتى سقوط حائل

(1308-1339هـ/1891-1921م)

لقد اتسمت تلك المرحلة بكثرة الحروب والغزوات والصراعات بين آل الرشيد وآل سعود؛ فبعد نهاية الدولة السعودية الثانية والقضاء عليها من قبل آل الرشيد على يد محمد بن عبد الله بن رشيد في عام 1309هـ/ 1892م وفرار آل سعود ومنهم عبد الرحمن بن فيصل وابن عبد العزيز إلى الكويت، وتزامن ذلك مع تدهور العلاقات بين آل الرشيد وشيخ الكويت الشيخ مبارك الصباح، ، ففي فترة حكم عبد العزيز بن متعب آل رشيد هاجم شيخ الكويت الطرفية - إحدى قرى القصيم- واحتلها بقوات تجاوزت الثلاثين ألف مقاتل وجعلها موقعًا متقدمًا لقواته، لكن وقعت بعدها معركة الصريف 1318هـ/1901م والتي انتصر فيها عبد العزيز بن رشيد على الشيخ مبارك الذي ففر مخذولًا من موقع المعركة وعاد إلى الكويت؛ ما أدى إلى تحمس شيخ الكويت للوقوف بجانب آل سعود، فنجده يمد آل سعود بالمال والرجال والسلاح والعتاد بعد أن وفر له الملجأ الآمن له ولأسرته وجعله ينطلق من أرض الكويت لمهاجمة ابن الرشيد في الرياض 1319هـ/ 1902م، وتوالت بعدها المعارك والحروب مثل منطقة القصيم منها البكيرية والشنانة 1322هـ/1904م، ثم كانت المعركة الفاصلة في روضة مهنا والتي قُتل فيها عبد العزيز بن رشيد. وتوالت المعارك بين الأمير عبد العزيز آل سعود وآل رشيد إلى أن حاصر الأمير عبد العزيز آل سعود حائل عاصمة آل رشيد وآخر معاقلهم وانتزعها من الأمير محمد بن طلال آخر أمراء آل الرشيد وذلك في 29 من صفر 1340هـ/2 من نوفمبر 1921م.

بداية الدولة السعودية الثالثة في نجد:

أصبح أمير جبل شمر "محمد بن رشيد" أميرًا لمنطقة نجد كلها. غير أن مما يلفت النظر هو أن الغزوات المتبادلة بين قبائلها الرُّحَّل ظلت مستمرة. بل إن غزواته هو لبعضها تكررت. ولقد كانت علاقات أسرته من قبله بالدولة العثمانية حسنة. فزدادت في عهده حُسْنًا. ولم يكن ذلك متوقع. فقد كانت له صلات خاصة مع ولايتها في العراق قبل توليه الإمارة؛ إذ كان أميرًا لقوافل الحج القادمة منها، عبر جبل شمر، والعائدة إليها. وعند توليه تلك الإمارة كانت منطقة الأحساء والقطيف قد خضعت لتلك الدولة. وبهذا أصبح محاطًا من الشمال والغرب والشرق بمناطق تابعة مباشرة لها. ومعلوم ما لسكان نجد عمومًا من مصالح مهمة وضرورية في تلك المناطق. واجتمعت عوامل

وأسباب متعددة لتجعل منه تابعًا للعثمانيين، حريصًا على إظهار المودة لهم. وظل يحكم نجد حتى وفاته في 3 رجب سنة 1315هـ / 27 نوفمبر1897م. وخلفه في الحكم ابن أخيه "عبد العزيز ابن متعب" الذي لم يكن يتحلى بما كان يتحلى به عمه محمد من دهاء وبعد نظر سياسي. وكان لاتصاف الأمير الجديد بالشدة أثر كبير في نفور كثير من النجديين عنه، وتطلعهم إلى التخلص من حكمه. [343]

وكان الإمام عبد الرحمن بن فيصل- بعد خروجه من الرياض- قد بعث نساء أسرته وأطفالها إلى البحرين، حيث رحب بهم حاكمها الشيخ عيسى بن خليفة. أما هو فقد حاول أن يتخذ من الكويت مقرًّا مؤقتًا له؛ وذلك لبعدها نسبيًّا عن قاعدة الأمير محمد بن رشيد، وكونها قد أصبحت لبعض النجديين؛ خاصة من أهل القصيم، الذين فروا خوفًا من ذلك الأمير. لكن حاكم الكويت لم يقبل مجيئه في بداية الأمر؛ ربما بإيعاز من الدولة العثمانية. على أن تلك الدولة أدركت- فيما يبدو- أن وجوده في تلك المدينة أضمن لمراقبة تحركاته؛ فأذنت له في المجيء إليها[344]، وقررت له راتبًا شهريًّا، ورحب به حاكمها. واجتمع شمل أسرته هناك عام 1310م/ 1892م[345]. ومضت سنوات تغيرت خلالها القيادة في كل من الكويت وحائل، وتوترت العلاقات بين الشيخ مبارك ابن صباح والأمير عبد العزيز بن رشيد، إلى أن حدثت بين الأول وحلفائه والثاني وأتباعه معركة الصريف عام 1318هـ / 1901م، التي هُزم فيها مبارك ومن معه هزيمة ساحقة.

يرجح أحد المؤرخين المعاصرين أن الأمير عبد العزيز ولد سنة 1293هـ / 1876م[346]. ولكن الخلاف بين أبيه وعمه عبد الله قد انتهي تلك السنة[347]. وهذا يعني أن السعادة بمولده تزامنت مع السعادة بانتهاء ذلك الخلاف. ونشأ نشأة كثير من أفراد أسرته؛ متأدبًا بالآداب العربية الإسلامية المتوارثة فيها. وقد وهبه الله من الذكاء والفطنة ما ساعده على النجاح فيما كان عليه أن يتعلمه ويتقنه. وتهيأ له من الظروف المحيطة بنشأته ما صقل مواهبه.

وكانت أول مشاركة له في الحياة السياسية خروجه مع عمه محمد والشيخين عبد الله بن عبد اللطيف وحمد بن فارس لمقابلة الأمير محمد بن رشيد عندما حاصر الرياض[348]. وكان ذلك الحصار في مستهل عام 1308هـ/1890م -[349]. أما أول قيادة عسكرية يتولاها؛ فمن المرجح أنها تلك التي قاد فيها فرقة من الجيش الزاحف من الكويت، عام 1318هـ/1900م؛ وذلك عندما انطلق بهذه الفرقة من الشوكي إلى الرياض، ودخلها، وحاصر حامية ابن رشيد فيها. ولقد أنهى الحصار بعدما وافته أخبار هزيمة ذلك الجيش في معركة الصريف، وعاد إلى الكويت[350].

وفي عام 1319هـ/1901م خرج الأمير عبد العزيز من الكويت ومعه عدد من أقاربه ومؤيديه الذين تذكر بعض المصادر أنهم أربعون[351]؛ وذلك بعد أن تهيأ له من الركاب والأسلحة والمؤن ما كان للشيخ مبارك بن صباح اليد الطولي في تهيئته. وقام بعدة غزوات أدت إلى انضمام فئات من القبائل إليه. لكنها تركته لما رأت أن السلطات العثمانية في الأحساء أصبحت ضده. فمضى إلى "يبرين" الواقعة بين قطر والربع الخالي، وأقام هناك مدة يتدبر أمره. ثم انطلق هو ومن معه صوب الرياض في الحادي والعشرين من رمضان من ذلك العام. وفي ليلة الخامس من شوال 1320هـ / الخامس عشر من يناير1902م كانوا في ضواحي هذه المدينة. وما تم في تلك الليلة وصباح ذلك اليوم- تخطيطًا وتنفيذًا- من دخول الرياض والقضاء على "عجلان" أميرها من قبل ابن رشيد، ذكرته كثير من الكتب بالتفصيل والإعجاب بحيث لا يحتاج إلى إعادة أو إيجاز. وكان الخطوة الأولى في مسيرة ذلك المؤسس الوحدوية[352].

بعد أن اطمأن الأمير عبد العزيز إلى قوة ما قام به من تحصينات في الرياض سارع إلى التحرك خارجها لمواصلة مسيرته. فبدأ بالأقاليم الواقعة جنوب هذه المدينة، ونجح في توحيدها. واستدرج ابن رشيد إليها، وهزمه في معركة الدلم في ربيع الأول من عام 1320هـ/ يوليو 1902م[353]. ثم بدأ بتوحيد الأقاليم النجدية الواقعة شمال الرياض. ولم يمر عام على تلك المعركة إلا وقد دخل تحت طاعته أقاليم المحمل والشعيب والوشم وسدير[354]، وأصبح على حدود إقليم القصيم الذي دارت على أرضه أعظم المعارك بينه وبين خصمه الأمير عبد العزيز بن رشيد.

كان كبار آل مهنا "أمراء بريدة"، وآل سليم "أمراء عنيزة" موجودين في الكويت عندما كانت الأسرة السعودية هناك. وقد شارك أولئك في الحملة التي انطلقت من هناك إلى نجد، عام 1318هـ / 1900م، ودخلوا بلدتيهما دون عناء يذكر، بمؤازرة من غالبية سكانها. ولما علموا بهزيمة ابن صباح ومن معه في الصريف عادوا إلى الكويت[355]. وعندما قرر الأمير عبد العزيز أن يكون القصيم الخطوة الآتية في حركته الوحدوية؛ استدعى آل مهنا وآل سليم، واتفق معهم على خطة لانتزاع ذلك الإقليم من حكم ابن رشيد.

وكان هذا الأمير قد أدرك خطورة ما آلت إليه الأمور في أقاليم نجد الأخرى بالنسبة له، كما أدرك أن القصيم سيكون مسرح مجابهة عنيفة بينه وبين الأمير عبد العزيز. ولهذا عزز حامياته فيه،

وأرسل سرايا لتدافع عنه، وذهب إلى حدود العراق يستنجد السلطات العثمانية لإمداده بالقوات والمؤن والأموال، ويستنهض المؤيدين له من شمر في ذلك القطر.

وتوجه الأمير عبدالعزيز وأتباعه صوب القصيم. وفي الخامس من المحرم سنة 1322هـ/ الثاني والعشرين من مارس سنة 1904م دخلت تحت حكمه عنيزة. ثم توجه إلى بريدة ودخلها، وحاصر حامية ابن رشيد فيها قرابة ثلاثة شهور، إلى أن اصطلح معه على أن يخرج المحاصرون بأسلحتهم الشخصية آمنين، وتؤمَّن لهم ركائب تنقلهم إلى بلادهم. وبدخول المدينتين الكبيرتين من القصيم في حكمه أصبح الإقليم عمليًّا تابعًا له[356].

كان الأمير عبد العزيز بن رشيد قد نجح في الحصول على ما ذهب إلى حدود العراق من أجله. فتوجه إلى القصيم، لكنه لم يصل إليه إلا بعد أن وحده الأمير عبد العزيز. وكانت أول مجابهة بينهما معركة البكيرية؛ التي حدثت في ربيع الثاني عام 1322هـ / يوليو 1904م[357]. وقد تكبد كل من أتباع ابن رشيد- خاصة جيشه النظامي- وأتباع الأمير عبد العزيز آل سعود خسائر فادحة، لكن أهل القصيم التابعين للأمير قد حققوا انتصارًا على خصمه[358]. ثم تلت تلك المعركة مناوشات بين الطرفين؛ ختمت بمعركة الشنانة التي وقعت في الثامن عشر من رجب 1322هـ / السابع والعشرين من سبتمبر سنة 1904م)، والتي كان النصر فيها حليف الأمير عبد العزيز[359]. وكان من نتائجها توطيد حكمه في القصيم، واختلاف قادة القوات العثمانية هناك مع ابن رشيد، وانفصالهم عنه. وفي السابع عشر من صفر عام 1324هـ/ العاشر من أبريل 1906م، شن الأمير عبد العزيز هجومًا على الأمير عبد العزيز بن رشيد في روضة مهنا. وقد نتج عن ذلك مقتل هذا الأمير، وانسحاب فلول أتباعه صوب جبل شمر[360].

كان الأمير عبد العزيز يدرك خطورة المجابهة مع الدولة العثمانية، ويسعي إلى تفادي الصدام معها ما أمكنه ذلك؛ ولهذا حرص- منذ دخوله الرياض- على أن يوضح لقادتها بأن عمله ليس موجهًا ضدها، وإنما ضد خصمه ابن رشيد[361]. لكن هذا الخصم نجح في إقناع أولئك القادة بمحاربته. ورغم ذلك فإن الملك استمر في كتاباته إليهم يعبر عن تقديره لهم، ويعتذر لهم بأنه دخل الحرب التي كان جنودهم طرفًا فيها؛ دفاعًا عن النفس. ولقد أدرك العثمانيون – بعد أن رأوا ما حدث على أرض الواقع في القصيم – فائدة التفاوض معه. وبدأت المفاوضات بينه وبينهم عام 1323هـ/1905م ـ، وانتهت في العام الذي تلاه[362].

وكان مما نتج عنها اعترافه بالسيادة العثمانية على القصيم[363]. لكن سرعان ما احتدم الخلاف بينه وبين قائد القوات العثمانية في ذلك الإقليم؛ مما أدى إلى انسحاب تلك القوات من هناك قبل نهاية عام1324هـ/1906م -[364]

ولم يحالف الحظ الأمير عبد العزيز، عام 1324هـ/1906م، في تخلصه من أقوي خصم له في نجد، وهو الأمير عبد العزيز بن رشيد، وانسحاب القوات العثمانية من القصيم فحسب، وإنما تجاوز هذا وذاك إلى حدوث خلاف دام بين آل رشيد أنفسهم. فقد قام أبناء حمود العبيد "سلطان وسعود وفيصل" باغتيال متعب بن عبد العزيز؛ الذي خلف أباه في الإمارة، وأخويه "مشعل ومحمد". وتولى سلطان مقاليد الأمور في جبل شمر[365]. وما لبث أن تحالف مع أمير بريدة "محمد أبا الخيل" وزعيم مطير "فيصل الدويش" ضد الأمير عبد العزيز. لكن الملك أنزل بالمتحالفين هزيمة في الطرفية سنة 1325هـ/1907م -[366]. ثم ثار سعود على أخيه سلطان وقتله في السنة التالية[367]. لكن سعودًا لم يلبث في الإمارة أكثر من شهرين. ذلك أن آل سبهان قدموا إلى حائل بابن أختهم، سعود بن عبد العزيز ابن متعب، من المدينة المنورة في شعبان سنة 1326هـ/1908م، وأصبح سعود بن عبد العزيز-برعاية أخواله- أميرًا لجبل شمر. وقد خاضت القيادة الجديدة معركة ضد الأمير عبد العزيز في الأشعلي عام 1327هـ/1909م، لكنها خسرت تلك المعركة[368]. ثم بقيت الجبهة بينهما هادئة نسبيًّا إلى عام 1333هـ 1915م.

وكانت سنة 1328هـ/1910م حافلة بأحداث مهمة بالنسبة للأمير عبد العزيز. فقد ذهب لنجدة أمير الكويت ضد زعيم المنتفق "سعدون المنصور" لكن سعدونًا انتصر على خصومه في معركة هدية[369]. وثار على الملك عدد من أحفاد عمه سعود؛ متخذين من جنوبي نجد قاعدة لهم. وبينما كان يرتب أموره للقضاء على ثورتهم ومن تحالف معهم؛ فوجئ بقوات شريف مكة "الحسين ابن علي" تتوغل في نجد وتأسر أخاه "سعدًا"، الذي كان حينذاك بين فئة من قبيلة عتيبة. فأرجأ التعامل مع أحفاد عمه ومن معهم حتى يحل مشكلته مع الشريف. وتوصل مع هذا – في آخر الأمر- إلى اعترافه للدولة العثمانية، وتعهده بدفع مبلغ من المال إليها سنويًّا، وإطلاق سراح سعد[370]. ثم توجه إلى جنوبي نجد، وتمكن من تشتيت صفوف الثائرين ضده. [371]

توحيد الأحساء والقطيف:

لعل من أبرز ما يراه المتأمل في تاريخ الدولتين السعوديتين الأولي والثانية أن أنظار قادتمها لم تتجه لتوحيد منطقة الأحساء والقطيف؛ إلا بعد توحيدهم لنجد، وأن تلك المنطقة كانت المسرح الأول لامتداد عملياتهم الوحدوية خارج الأقاليم النجدية. وكان ذلك هو المتوقع. أما بالنسبة للأمر الأول:- فكان من المنطق أن يهتم أولئك القادة بتوحيد منطلق حركاتهم؛ وهو أقاليم نجد، قبل الاهتمام بتوحيد غيرها. وأما بالنسبة للأمر الثاني:- فإن حكام الأحساء والقطيف كانوا أول من بدأ الهجمات من خارج نجد على الأراضي السعودية داخلها. وكان الرد على هجماتهم- بعد المقدرة عليهم- من طبيعة الأشياء. وكانت سواحل بلادهم المنفذ الملائم للنجديين لاستيراد ما هم في حاجة إليه مما لا تنتجه منطقتهم. وبالإضافة إلى هذا وذلك، فإن إمكانات الأحساء والقطيف الاقتصادية الذاتية وموقعها المتميز لهما أهمية كبيرة جذابة.

ولقد ورد في إحدى الدراسات أن الأمير عبد العزيز أرسل مندوبًا إلى السلطات البريطانية عام 1903م – وهذا العام ينتهي قبل نهاية عام 1321هـ -؛ باحثًا عن مساعدتها، وملمِّحًا إلى تفكيره في استعادة منطقة الأحساء والقطيف من العثمانيين. وأشارت تلك الدراسة إلى أن ذلك الاتصال تم بعد توحيد الأمير عبد العزيز للقصيم[372]. وإذا سلمنا بصحة بعثه مندوبٍ من قبله؛ فإن من الواضح أن خطأً ما في التاريخ لتلك الحادثة قد وقع. فمن المعلوم أن توحيد إقليم القصيم لم يتم إلا سنة 1904م؛ أي سنة 1322هـ. وعلى هذا فإن بعثة المندوب إمَّا أن تكون بعد سنة 1903م، أو قبل توحيد القصيم. على أنه من غير المرجح أن يفكر الأمير عبد العزيز جدِّيًا في توحيد الأحساء والقطيف قبل توحيده لنجد، أو على الأقل توحيده لأكثر أقاليمها بما في ذلك إقليم القطيف. وبعد توحيده لهذا الإقليم، وتثبيت حكمه فيه، لم يبق على استكماله لأقاليم نجد إلا جبل شمر، مركز إمارة آل رشيد، الذي لم يعد توحيده- خاصة بعد مقتل الأمير عبد العزيز بن متعب سنة 1324هـ/1906م- إلا مسألة وقت فقط. وهذا ربما جعله يفكر حينذاك في توحيد الأحساء والقطيف.

وكان من دوافع تفكير الأمير عبد العزيز في توحيد منطقة الأحساء والقطيف أنها كانت جزءًا من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، وأن العثمانيين انتزعوها من الحكم السعودي حيلة، وأنهم وقفوا مع خصمه ابن رشيد، وأن دخولها تحت حكمه فيه تعزيز لقوته أمام سائر خصومه؛ إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من إمكاناتها الاقتصادية وكونها منفذًا لتجارة نجد. وظل يتحين الفرصة لتنفيذ ما كان يفكر فيه[373]. ومع بداية عام 1331هـ، رأى أن تلك الفرصة قد حانت لعدة أسباب من أهمها: أن السلطات العثمانية في تلك المنطقة سمحت لخصومه من البادية، عامي

1329هـ و1330هـ، بالالتجاء إلى مدنها، وأن شريف مكة قد ضايق التجار النجديين، ومنع الاتصال التجاري بين نجد والحجاز، وأن الدولة العثمانية قد أصبحت مشغولة في ليبيا والبلقان، وأن سلطاتها في الأحساء والقطيف قد أرهقت السكان بالضرائب، وعجزت عن حفظ الأمن خارج أسوار مدنهما؛ مما جعلهم يتطلعون إلى من يخلصهم من الأوضاع السيئة التي كانوا فيها. وكان الأمير عبد العزيز قد كثف اتصالاته بعدد من المتعاطفين معه منهم. ثم إنطلق من الرياض بقواته متجهًا صوب قاعدتها "الهفوف" وبتخطيط سليم وتنفيذ جريء دخل تلك المدينة ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة 1331هـ / الرابع من مايو سنة 1913م؛ مفاجئًا الحامية العثمانية هناك. ولم يعد أمامها إلا الاستسلام للأمر الواقع؛ خاصة أنها كانت تدرك مشاعر السكان غير المؤيدة لها[374].

ورحَّل الأمير عبد العزيز تلك الحامية – باحترام- إلى العقير، ثم إلى البحرين. ولقد حاولت العودة إلى المنطقة، لكنها صُدَّت عند وصولها إلى العقير[375].

لقد حدث ما سبق ذكره، ورياح الحرب العالمية الأولى توشك أن تهب، واجتمع ذلك مع صعوبة اتخاذ العثمانيين أيه خطوة عسكرية ضد الأمير عبد العزيز، وخوفهم من وقوفه مع بريطانيا ضدهم؛ خاصة بعد أن اجتمع به وكيلها السياسي في البحرين أوائل عام 1332هـ/1912م ، فقرروا أن يغيروا سياستهم تجاهه، وأرسلوا إليه وفدًا برئاسة السيد "طالب النقيب"[376]، ونتج عن التفاوض بينهم وبينه اتفاق على أمور من أهمها؛ اعترافه بالسيادة العثمانية مقابل مساعدته بالمال والسلاح. على أن تطورات الحرب العالمية حالت دون تنفيذ ما اتفق عليه[377].

وجدت الدولة العثمانية نفسها في أتون الحرب العالمية الأولى في1332هـ/ نوفمبر 1914م. وتحولت منطقة شمال شرق الجزيرة العربية إثر ذلك إلى ميدان قتال فعلي، حين غزت الجيوش البريطانية جنوب العراق. وترتب على ذلك قيام الطرفين المتحاربين بنشاط كبير من أجل استقطاب ولاء وتأييد القوى المحلية في المنطقة. وقد أصدرت تلك القوى مواقفها من الحرب الدائرة بدرجات متفاوتة في الوضوح والحسم. إذ أعلن حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح انحيازه التام وتأييده الصريح لحلفائه البريطانيين. بينما كان موقف حاكم نجد الأمير عبد العزيز آل سعود أقرب إلى الحياد[378] وبالمقابل انضوت أغلب قبائل جنوب العراق إلى جانب العثمانيين[379]. كما تمسك حاكم حائل الأمير سعود ابن عبد العزيز الرشيد بولائه للدولة العثمانية، رغم المحاولات المتكررة التي قام بها البريطانيون لإقناعه بالعدول عن ذلك[380].

جاءت تلك الولاءات المتعارضة في وقت كانت فيه علاقات تلك القوى المحلية ببعضها ليست صافية تمامًا. إذ توترت العلاقات بين الرياض والكويت في أواخر أيام الشيخ مبارك، ثم انفرجت قليلًا في بداية عهد الشيخ جابر فيما يمكن اعتباره هدنة مؤقتة. أما علاقة الرياض بحائل فكانت في هذا الطور- كما في الأطوار التي سبقته- تتأرجح بين حرب معلنة وهدنة قلقة. في حين كانت علاقة الكويت بحائل على شيء من التعقيد. فبعد العداء الصريح بين الطرفين الذي توج بمعركة الصريف (الطرفية) في سنة 1319هـ/ 1901م، سعى الشيخ مبارك بعد مقتل حاكم حائل عبد العزيز بن متعب الرشيد سنة 1324هـ/ 1906م؛ لدى خلفائه لتحسين العلاقة بين الطرفين. ورغم ذلك لا يمكن القول أن مسعاه قد حقق النتيجة المرجوة، إذ استمرت علاقة الطرفين مقلقة لا تثبت على حال. ولعل حالة عدم الاستقرار تلك كانت وليد تشابك علاقات الشيخ مبارك بكل من الرياض وحائل، وانعكاس للمواقف المتغيرة التي كان يتبناها حيال الصراع الدائر بين هاتين الحاضرتين[381].

أزال موت عبد العزيز بن رشيد كل أثر للقلق في نفس ابن سعود، وطمأنه على استقرار حكمه حتى الحدود الشمالية للقصيم، ولم يطمع في امتداد سيطرته إلى أبعد من ذلك. كما قوَّى عزله لصالح بن مهنا من سيطرته على القصيم نفسها[382].

وخلف متعب بن عبد العزيز بن رشيد أباه على العرش، وأخذ يفاوض بشأن إيجاد تسوية عامة؛ فوافق ابن سعود في الحال على استقلال جبل شمر بحدوده الطبيعية، في حين تعهد متعب أن يعيد إلى الرياض جميع الباقين من أمراء عائلة سعود المتمردين. وكان هؤلاء قد لجئوا إلى حائل مؤملين استخدام الوضع لمصلحتهم. بيد أن انسحاب "سامي باشا الفاروقي" القائد التركي الذي خلف "صدقي باشا"؛ لم يكن قد تم بعد، فرأى ابن سعود أنه طالما كان الأتراك موجودين في البلاد سيظل الباب مفتوحًا لحبك المكائد والمؤامرات[383].

والواقع أن متعبًا نفسه كان يراسل السلطات في بغداد، ويتآمر معها دون نظر إلى التسوية التي عقدها مع ابن سعود. ويبدو أنه لم يستطع أن يقنع الأتراك بوجهة نظره الخاصة، وإن كان سامي باشا قد حاول أن يرشو ابن سعود ليسمح ببقاء قواته في القصيم. فرفض عبد العزيز ذلك المطلب بسخط، وارتحلت القوات في النهاية.

وعند ذلك سار ابن سعود عائدًا إلى بلاده. وتوقف عند شقرا، حيث وافاه وفد من المجمعة ليؤكد له ولاء المدينة وإخلاصها. وفي أثناء إقامته هناك وردته أخبار "فيصل الدويش" زعيم مطير واتصاله بالأتراك؛ فسارع ابن سعود إلى القضاء على المؤامرة بأن أرسل حملة تأديبية إلى أراضي مطير. ومن ثم قفل إلى الرياض لاستقبال الوفد الذي أرسله السلطان عبد الحميد؛ ليقدم له شكره على الحفاوة التي لقيها قواده وجيشه أثناء إقامتهم في الجزيرة العربية[384].

لم يسترح ابن سعود طويلًا على أكاليل غاره. فقد دهمته أخبار من حائل عن مقتل متعب واثنين من أشقائه الثلاثة. أما الأخ الأصغر فقد هرَّبه عبد مخلص من عبيده ونجا بجلده. وخلفه في إمارة حائل "سلطان بن حمود" - الذي قام بهذه المذبحة المريعة- لمدة سنة واحدة فقط. ففي سنة 1326هـ/ أكتوبر 1908م اغتيل بدوره على يد شقيقه سعود بن فيصل. وأصبح سعود الحاكم الجديد، بينما غدا فيصل حاكمًا في الجوف والمقاطعات الشمالية التي كان نفوذ حائل فيها يتعدى نفوذ "نوري الشعلان" زعيم قبائل الرولي وكان ذلك- بلاشك- بتشجيع من الأتراك الذين ما فتئوا يتلمسون طريقهم إلى الحجاز عبر شمال الجزيرة[385]. وقد سبق لواحة "خيبر" أن ألفت نير الخضوع لـ "سلطان بن حمود" الذي أدى عدم كفاءته إلى تحويل قوافل الحجاج العراقية والإيرانية عن طريق حائل إلى تلك التي تمر بالقصيم، غير أن السلطان لم يكن ليرضى بفقدان القصيم بصورة نهائية. وكان لا يزال يعتمد على قبيلة مطير وحكومة بريدة لبقاء الوضع مائعًا[386].

وكان "فيصل الدويش" زعيم مطير، هو أول من رفع علم الثورة في 1325هـ/ شهر مايو سنة 1907م. إلا أنه دُحِر وسُحِق سحقًا. وأُصيب هو نفسه بجرح بليغ في المجمعة، أمَّا حكاية الاستسلام الاعتيادية والعفو؛ فلم تحدث تغيرًا دائمًا في مسلكه، فها نحن نجده في الخريف معسكِرًا في الطرفية لمساعدة "سلطان" و "محمد أبي الخيل البريدي" مقابل القصيم. ولقد بادر ابن سعود بالذهاب إلى مقاطعة السر حتى طلب إلى قبائل عتيبة وقحطان وسبيع والسهول أن ينضموا إليه بكامل قواتهم. ومن ثم تقدم نحو عنيزة على مراكز سلطان الأمامية، الموزعة هنا وهناك، بعد أن أرسل قوة لقمع قبيلة مطير في الطرفية. ومن هناك زحف بنفسه ليوقع هزيمة ساحقة بفيصل ويستولي على معسكره[387].

أما سلطان وأهل بريدة فحاولوا أن يباغتوا ابن سعود في مكانه هذا في العشرين من سبتمبر، غير أن المعركة التالية انتهت بهزيمتهم التامة وفرارهم إلى بريدة. ومن ثم عاد "سلطان" إلى حائل

تاركًا أخيه "فيصل" لمساعدة محمد أبي الخيل في حالة حدوث اضطراب. وفي هذه الأثناء أرسل ابن سعود قوة من الخيالة لمراقبة بريدة، ثم قام بسلسلة من الهجمات في شتى الجهات حتى البكيرية والرس وبلاد حرب بجوار النبانهية، وبعد ذلك عاد إلى الرياض ليستجم فترة من الزمن.

لكنه سرعان ما كرَّ إلى القصيم لدى سماعه أخبار كاذبة عن أن "سلطانًا" كان يزحف على بريدة؛ فتقدم حتى بلغ إلى كهفة في انتظار هذا الزحف، ولما لم يجد أثرًا للعدو أغار على معسكر طوالة شمر في فيد. ومن ثم انسحب إلى البكيرية، حيث بلغه خبر قتل سلطان في 1326هـ/ يناير سنة 1908م[388]

أما سعود الحاكم الجديد فقد انتهز الفرصة، وأخذ يبحث عن تسوية مع ابن سعود الذي غدا الآن حرًّا في أن يوجه نضاله إلى بريدة للوصول إلى تسوية نهائية مع أهلها. كان البريديون قد أنهمكهم الخوف الدائم الذي وجدوا أنفسهم يعانونه من جراء سياسة محمد أبي الخيل الأنانية، فاتفقوا على أن يتصلوا بابن سعود سرًّا؛ ليفتحوا له أحد الأبواب ذات ليلة أثناء صلاة العشاء. وقد تم ذلك بالفعل، فاستولى الرجال المخصصون لهذا الغرض على أبراج السور الدائري بكل سهولة. وحجبت المساحة الواسعة التي أمام الحصن عن بقية المدينة بقوة قوامها ثلاثمائة رجل، بينما قرأ الناس في الجوامع والأمكنة العامة إعلان ابن سعود بإعطاء الأمان لكل المواطنين حتى الموالين لمحمد أبي الخيل، بعد أن يسلموا ما معهم من الأسلحة. وكان تأثير ذلك سريعًا حتى لم يبق أمام ابن سعود من يقاومه سوى محمد نفسه، وعدد ضئيل من رجاله الذين أغلقوا القلعة عليهم، وتحصنوا فيها ليقاوموا الحصار. ولقد كان وضعهم يائسًا[389].

وبعد بضعة أيام من المناوشات العقيمة طلب محمد عرض شروط التسليم. وتم الاتفاق على أساس تسليم جميع الأسلحة، وضمان سلامة محمد الشخصية وعائلته، وخدمه الذين تركت لهم الحرية في الرحيل في سوق الشيوخ. وكان محمد أبو الخيل آخر حاكم وطني في بريدة. ولم يعد بإمكان ابن سعود أن يغامر بترك العائلات الرئيسية تعكر السلام في مواطنها بفعل التنافس على إمارة الإقليم.. كانت الحاجة ماسة إلى يد حازمة تبقي روح القصيم المتوقدة في نطاق السيطرة عليها. ولهذا كان الحاكم السعودي الجديد هو ابن عم عبد العزيز(عبد الله بن جلوي) الجبار. فظل مسئولًا طيلة السنوات الخمس التالية، وإلى أن احتيجت خدماته للقيام بمسئوليات أخطر في مناطق أخرى[390].

وهكذا لم تعد القصيم بؤرة الاضطراب في الجزيرة العربية، ولا مصدر القلق فيها كما كانت خلال السنوات الحرجة من سني كفاح ابن سعود للسيطرة على نجد.

لقد استسلمت بريدة في 1326هـ/ التاسع والعشرين من مايو سنة 1908م، فسارع سعود حاكم حائل الجديد إلى البحث عن تسوية مع ابن سعود الذي كان على استعداد للاعتراف باستقلال جبل شمر على شرط ألا تكون مصدر تعكير لصفو بلاده بعد الأن. وأرسل سكان المجمعة وفدًا برئاسة زعيمهم عبدالله إلى العسكر لتقديم الاعتذار عن موقفهم المبهم، والإعلان عن ولائهم للنظام الجديد. ويبدو أن الفيضان العظيم في مكة كان خاتمة بركات الماء في هذه السنة التي شهدت إنجازات باهرة. فدخلت المياه المتدفقة رحبة المسجد الحرام وشكلت بحيرة عمقها عشرة أقدام حول الكعبة نفسها[391].

كان ابن سعود يأمل في فترة سلام الآن، ولكن آماله قد تحطمت بانتكاس الحالة في حائل وحدوث اضطراب فيها، إذ إن الأهلين في المدينة كانوا يرغبون في إعادة الإمارة الشرعية إلى "سعود بن عبد العزيز" البالغ من العمر عشر سنوات، والذي نجا بفضل أحد عبيده حين اغتصب سلطان بن حمود الحكم، وهرب إلى المدينة المنورة وفتحت الأبواب من قبل الموالين في حائل،

وقُتِل سعود بن حمود في المعركة التي نشبت بعد ذلك[392]، بينما تخلصوا من بعض أعضاء العائلة الآخرين بقتلهم، إلا أن اثنين منهم وهما ضاري وفيصل تمكنا من الهرب، وحلَّا ضيفين على الرياض. وقد أعلن تعيين سعود بن عبد العزيز الرشيدي أميرًا تحت وصاية "حمود بن صبحان" الذي كان ابنه عبد العزيز وزوج أخت الأمير الرشيدي الوحيدة[393].

وكان زامل ساعده الأيمن في حكم الدولة، وقد خلفه فعلًا في منصب الوصي على العرش لبضعة أشهر عندما توفي حمود مسمومًا. ومن أجل تقوية سيطرته على أمور الدولة تزوج زامل أم سعود الأمير، وكان زوجها الرابع؛ فقد كانت سابقًا وعلى التوالي زوجة محمد بن رشيد العظيم، وعبد العزيز بن رشيد، وسلطان ابن حمود قاتل ابن زوجها (متعب) ومع أن احتجاب النساء في الجزيرة العربية لم يحل قط دون أن يكن ذوات دور هام في تقرير الأمور السياسية في لعبة شطرنج الدولة[394].

وكانت خطوة حمود الأولى محاولته تأمين رضا صاحب الرياض عبد العزيز ابن سعود. إلا أن هذه الرواية ولسبب مجهول في بعض كتب التاريخ، ترفض تقرب وصي حائل؛ بأن هاجم قبائل شمر في جوار شعيبة، بينما راح يبحث عن زامل في النفوذ، وكان معروفا أن ابن سعود يقوم بمناوراته هذه كمقدمة للهجوم. ثم انتقل إلى مكان يسمى الأشعلي، ونصب خيامه كالمعتاد مع جميع عتادها وانسحب بعض المسافة ليرقب التطورات، أما زامل فسار ليلًا حتى واجه المعسكر، وقام ببعض الاستعدادات للهجوم. فأعلمته إحد دورياته بأنه كان خاليًا. وكان هذا فشلًا ذريعًا لا يستأهل ما أجراه من ترتيبات، فاتجهت القوة بكاملها صوب المعسكر ونهبوا ودمروا جميع معدات الأعداء الذين وقفوا يرقبون ما يجري منتظرين أن يحين ساعة هجوم مباغت.. وحانت الساعة. فتلت ذلك المعركة المحتومة ثم أعقبها الفرار. وسار ابن سعود مارًّا في طريقة من القبة إلى القصيم ثم الرياض[395].

وفي تلك الأيام كانت أواسط الجزيرة العربية تعاني ضيقًا شديدًا من جراء الجفاف العظيم الذي دام عدة سنوات، وأصبح يعرف باسم "الساحوت" في أخبار البلاد وتاريخها، وبسبب هذا الجفاف حل عهد من السخط وعدم الاستقرار، وتحملت موارد ابن سعود الضئيلة أقصى ما يمكن أن تكلف به، بخلاف غياب ابن سعود في الشمال. وبلغت والده عبد الرحمن أخبار مزعجة عن احتكار محلي في منطقة الحريق، حيث قتل أمير حزان على أيدي اثنين من أبناء عمه الصغار؛ فأرسل الإمام قوة لوضع حد للاضطراب، ألقت القبض على القتلة وسلمتهم إلى أشقاء ضحيتهم فذبحوهم. وما كادت القوة تغادر المنطقة حتى وقع حادثا قتل آخران.

فتوجه عبد العزيز نفسه إلى المدينة ليعالج الموقف هناك[396]. ولكن الزعماء المتمردين رفضوا طلبه بتحويل القضية إلى المحكمة الشرعية، ولجئوا إلى حصنهم واستحكموا فيه؛ ليجابهوا حصارًا استمر خمسين يومًا. وفي نهاية هذه المدة وضع ابن سعود لغمًا تحت الحصن وهددهم بنسفه بكل من فيه مع الأطفال والنساء؛ فاستسلم الزعماء ونقلوا إلى الرياض، حيث زج بهم في سجن الملك مدة سنتين، وعند انتهائها أطلق سراحهم على إثر وساطة آل ثاني أمير قطر[397].

وكان في هذه الأثناء قد نشب خلاف بين مبارك شيخ الكويت، وبين سعود باشا زعيم قبائل المنتفق العراقية. فزحف ابن سعود إلى مقاطعة حجيزة بالقرب من الحود العراقية؛ تلبية لنداء تلقاه من الشيخ مبارك، وسار على رأس قوة قوامها سبعة آلاف مقاتل معظمهم من الكويت بقيادة جابر.

وسرعان ما اشتبكت هذه مع قوات سعدون باشا التي كانت تساويها في العدد، ولكنها تُرجَّح عنها في القوة بفضل المدافع [398].

وتجاهل نصيحة ابن سعود له بوجوب هجوم قواته البرية على معسكر العدو، وابتداء معركة «هادية» في 1328هـ/ السادس عشر من يونيو سنة 1910م بهجوم من الخيالة. أما سعدون فقد احتفظ بخيالته ولم يأمرها بالاشتراك في القتال، إلا بعد أن توقف هجوم العدو واندحر في فوضى. وهكذا اختفت القوات المتحالفة في الصحراء هاربة إلى الكويت بينما احتلت قوات المنتفك معسكرهم ونهبته [399].

كانت هذه المعركة جزءًا فقط من حركة شاملة، الغاية منها الحد من جهود زامل بن صبحان في سبيل استعادة شيء من أمجاد حائل الماضية. وفي الوقت الذي كان فيه سعدون باشا حليفًا لزامل، كان نوري الشعلان الذي انتزع الجوف ومقاطعة وادي السرحان من سلطة حائل، قد انضم إلى قبائل عمارات وعنيزة؛ للضغط على زامل في الشمال والشمال الشرقي، بينما فعلت قوات ابن سعود والكويت نفس الشيء من الجنوب. وقد رأينا كيف أن فقرة من فقرات هذا البرنامج لم تنفذ يوم هادية[400].

وفي نفس الوقت تقريبًا هاجم زامل الحلفاء الشماليين، فهزمهم هزيمة ساحقة، وفي تلك الأيام الحرجة ثارت واحة تيماء في الغرب، فاحتلها الأتراك الذين قدموا من المدينة المنورة؛ بناء على دعوة من أهلها، مما اضطر زامل إلى الهجوم عليها، حيث كان النجاح حليفه مرة أخرى. فأكره الحامية التركية على التقهقر، وتعرض السكان إلى انتقام مريع لعدم ولائهم. [401]

وفي نفس الوقت انتهز سعدون وزامل الجفاف الذي كان يسود البلاد؛ فتآمرا مع العجمان في الصحراء الشرقية لاستمرار الضغط على جناح ابن سعود، وتعقد الوضع أكثر فأكثر بسبب انضمام أحفاد سعود بن فيصل إلى قبيلة العجمان المعادية، بعد أن غادروا الرياض إثر استيلاء ابن سعود على عنيزة سنة 1321هـ/ 1904م كما ذكرنا. [402]

كان هذا تطورًا سيئًا بسبب نتائجه الوخيمة المباشرة. فقد كانت معاملة ابن سعود لأبناء المنشقين كريمة، بالرغم من كونهم أقل مرتبة بين أعضاء الأسرة المالكة؛ مما جعل في غير مقدوره استخدامهم في مناصب الإقليم المهمة بدون مجازفة، ولا غرابة أن يجد أشخاصًا في ربيع العمر

يغضبون للبطالة؛ التي فرضت عليهم في زمن يعج بالأحداث والمغامرات المثيرة. ومع أن هذه العوامل كانت كافية لابن سعود؛ إلا أن كأس مرارته وآلامه لم تمتلئ بعد. صحيح أن زامل قدم عرضًا للصلح في سنة 1329هـ/ 1911م، وقبلت على أساس محدود هو الاعتراف باستقلاله في جبل شمر فقط.. إلا أن هذا الاتفاق لا يدوم إلا إذا كان ملائمًا للأطراف المعنية[403].

وفي هذا الوقت ظهر عدو آخر في الغرب؛ حيث إن الأتراك لم يتخلوا قط عن فكرة إرساء سلطانهم وتثبيته في أواسط الجزيرة العربية، ولما كانت اختباراتهم لابن رشيد مخيبة للآمال؛ نراهم يتجهون الآن إلى الشريف حسين، الذي عينوه أميرًا على مكة سنة 1326هـ/ 1908م، وهي السنة التي أنجز فيها مد الخط الحديدي الحجازي حتى المدينة المنورة[404].

وكان هذا الشريف قد قضى طفولته بين البدو قبل نفيه الطويل إلى الأستانة (أسطنبول)، والآن وهو في الستين من عمره كانت لديه الفرصة لإظهار ما يمكن أن يفعله في سبيل تدعيم مركزه كعامل له خطورته في سياسة الصحراء. وعلى العموم، بدون عمل إيجابي من لدنه، واصل الشريف سياسة أسلافه في منع امتداد الخط الحديدي إلى مكة[405].

ومن ناحية أخرى أظهر حكمًا ومزايا قيادية في أثناء الحملة التي وكَّلها إليه الباب العالي ضد الثائر "إدريس" زعيم قبائل محمد، الذي احتل مرتفعات عسير وأبها، في الوقت الذي كان فيه الأتراك منهمكين في قمع ثورة الإمام يحيى الخطيرة في اليمن، فاستعاد الشريف حسين إقليم عسير لأسياده وعاد إلى مكة عن طريق واحة بيشة ورنيا وتربة، رافعًا علم النصر. وشجع نجاحه هذا الأتراك على أن يستخدموه في توطيد نفوذهم في الصحراء [406].

وفي نهاية عام 1329هـ/ 1911م وأوائل السنة التالية، زحف بقوة كبيرة إلى بلاد عتيبة؛ فوصل القويعية في اللحظة التي وصل فيها "سعد" شقيق ابن سعود المحبوب؛ ليجند المقاتلين للقيام بحملة ضد العراقيين الذين خرجوا في ثورة سافرة، وتمركزوا في مقاطعتي الحوطة والحريق، فأُلقِي القبضُ على سعد، وأخذه حسين رهينة. ثم عرض ابن سعود أن يفتديه بقبوله السيادة التركية، ودفعه جزية سنوية اسمية عن القصيم. [407]

ترك ابن سعود المطالبين بالعرش (العرايق) وشأنهم بصورة مؤقتة، وتتبع الشريف حسين في أثناء تراجعه إلى الغرب مع غنائمه الكثيرة. إذ كان الشريف حسين يحرص دائما على أن يكون

بعيدًا عن أي أذًى قد ينشأ. وفي الواقع لم يكن لابن سعود أقل خيار في الأمر، فقد كان مستعدًا لأن يذهب إلى أقصى مكان لإنقاذ أخيه من براثن العدو. وبعد محاولات ناجحة للتفاوض بشأن أمور أخرى، اضطر ابن سعود إلى التوقيع على وثيقة قدمها الشريف حسين، الذي استمر في سيره يهلل ويرقص طربًا. عندما أُطلِق سراح سعد وانضم إلى أخيه [408].

لقد كسب أمير مكة نصرًا عسكريًّا لقضية الأتراك. إلا أن خصمه لم يقصد - كما يبدو- أن ينفذ بنود الاتفاقية، فلم يدفع جزية على الإطلاق. وسرعان ما أخل بوعده الشفهي بالخضوع لسيادة السلطان؛ بقيامه بإجراء لم يترك مجالًا لسوء الفهم.

عاد ابن سعود مع أخيه إلى الحريق، واحتل المدينة. وكان قد فر منها المطالبون بالعرش؛ ليطلبوا مساعدة أهل الحوطة لدى اقترابه منها. فرفض أهل الحوطة أن تكون لهم أية علاقة بالثورة؛ مما اضطر الأمير سعود بن عبد العزيز وأبناء عمه الآخرين، إلى متابعة هربهم إلى إقليم الأفلاج، حيث تمركز أخوه فيصل مع بعض من زعماء حزان في السيح. أما بقية الإقليم فقد كان يسيطر عليه ابن سعود بواسطة الحاكم أحمد السديري؛ الذي أبلغه أن معظم المطالبين قد هربوا والتجئوا إلى الشريف.

وحينئذ وقع سعود بن عبد العزيز وجماعة حزان أسرى في يد صاحب الرياض في ليلي. ولدى وصول ابن سعود استعرض الأسرى أمامه، وحكم على زعماء حزان بالموت، فنفذ فيهم الحكم في نفس المكان. أما سعود قائد الثورة في الغريب فقد أطلق خصمه سراحه، وخيره بين اللحاق بأبناء عمه في الحجاز أو البقاء معه. فاختار البقاء معه، وظل مواليًا لرئيسه على الدوام[409].

وبعد أن تخلص ابن سعود من أبناء عمه الثائرين قام بغارة على العجمان الذين. آواهم فكانوا بذلك مصدرًا دائمًا للمتاعب. وفي أثناء وجوده في الصحراء الشرقية، وصلته رسالة من الشيخ مبارك يطلب فيها مساعدته ضد قبائل المنتفك والظافر عند العراقية؛ إلا أنه بعد ما رآه من جابر يوم هداية فلم يعد ميالًا للتعاون على الإطلاق، لولا ورود رسالة أخرى أكثر أهمية من سابقتها حملته على تغيير رأيه؛ فسار على رأس قوة كبيرة إلى حفار البطين، حيث وافاه حمود بن سويط وعقد معه الصلح. كما أعلمه في نفس الوقت أن مباركًا نفسه قد أنذره مستبقًا بالحملة؛ لأنه- فيما يبدو- كان يحاول إيجاد توازن في القوى في الصحراء. فأغار ابن سعود على قبائل المنتفك في كبدة وظهر في صموان بالقرب من البصرة والزبير [410].

ومهما كانت الدوافع في هذه التظاهرة التي قام بها ابن سعود والأتراك على أحر من الجمر؛ بسبب اشتداد الحركة العربية الوطنية في سوريا والعراق بعد ثورة 1326ه/ 1908م؛ فقد بادر إلى الانسحاب لدى وصول الوفد السلمي الذي يمثل والي البصرة وسكان الزبير. ثم سار إلى جهرة بالقرب من الكويت، حيث قام بغارة أخرى على العجمان في منطقة الإحساء، وذلك بعد أن أوضح له مبارك الأمر معتذرًا شديد الاعتذار عن مسلكه المبهم الأخير[411].

وكان دور الأتراك الآن، تحت ضغط اتساع سلطان ابن سعود في شئون الصحراء، أن حاولوا جره إلى جانبهم؛ ليكون القوة المرجحة ضد الحركة الوطنية في البلدان الواقعة على الحدود؛ لذا أرسل سليمان شفيق باشا والي البصرة ليتأكد من وضع الزعيم الوهابي، ولطلب مشورته بصدد أفضل الطرق في معالجة الوضع العام.

وكان جواب الأمير الوهابي المدون شيقًّا بلا شك؛ لأنه كان أول أطروحة له في ممارسة السياسية. فبعد مقدمة خاصة أنحى فيها باللوم المحق على الأتراك أنفسهم، معتبرا إياهم السبب في المتاعب التي ضيقت عليهم في كل جزء من الإمبراطورية العربية، حيث قال: "لقد كانوا قانعين بأن يكونوا حكامًا دون أن يعرفوا مسئولية الحكام في التفكير بمصلحة رعاياهم. فإذا نشدوا السلاح في الجزيرة العربية ليتفرغوا لمعالجة متاعبهم الداخلية؛ يكون عليهم أن يتوصلوا إلى تفاهم مع العرب على أسس من الحرية والرضا. كما يجب عليهم أن يجمعوا جميع زعماء العرب: صغيرهم وكبيرهم، بدون تمييز في مؤتمر عام، وفي مكان لا يخضع للإرادة العثمانية؛ حتى يكون هناك مجال لحرية الكلام المطلقة" [412].

والغاية من هذا الاجتماع هي إيجاد توافق وانسجام في البلاد العربية. ويجب أن يكون للزعماء الخيار: فإما أن تشكل الدول العربية مجموعة واحدة يرأسها حاكم يختارونه بأنفسهم، أو يبقى الترتيب الحالي القائم على كيانات سياسية منفصلة تتمتع كل منها باستقلال محلي تام، وتظل الواحدة منها تحت سيادة حاكمها الذي يشبه الوالي في الإقليم التركي. وإذا لزم الأمر، يجري تخطيط حدود معرَّفة وثابتة بواسطة مساعي الأتراك الطيبة. وفي أية حالة ستبقى البلاد العربية تحت سلطة السلطات العليا؛ التي ستكون مسئولة عن تنظيم الدفاع وتطويره أيضا، بينما يتوجب على أهل كل وحدة حاكمة أن تتعاون مع جيرانها في حماية الصالح العام وتشجيع العمل عليه، مع ضمان تعاون الجميع لدفع العدوان من أي كائن من كان. ثم أنهى كلامه قائلًا:

وبهذه الطريقة فقط يمكن لمصالحكم ولمصالحنا أن تتفق وتنجح، كما يمكن ضمان حمايتها ضد أي عدو خارجي[413].

ويذكر أن متصرف البصرة قد تأثر بهذا الخطاب؛ فأرسله إلى الباب العالي لإمعان النظر فيه. ولابد أن الباب العالي قد اعتبر هذا الجهد من جانب ابن سعود محاولة لبسط نفوذه على كامل الجزيرة العربية، بمساعدة الإمبراطورية العثمانية وعلى حسابها. ومع ذلك كان الأجدى بالباب العالي أن يجتاز فترة الهدوء النسبي هذه؛ لتُعِدُّ الدولة العثمانية شراعها للعاصفة القادمة.

أما ابن سعود، فبعد أن ثبت لديه أن مقترحاته لم تلق آذانًا صاغية، لم يجد بدًا من أن يحمي نفسه بترتيبات أخرى. وكان قد حاول- عبثًا طوال السنوات الاثني عشرة السابقة- أن يثير اهتمام الحكومة البريطانية، بصفتها الدولة الوحيدة ذات المصالح الحيوية والقوة الكافية في الخليج العربي؛ لضمان مركزه في الجزيرة العربية ضد أي اعتداء من أية ناحية. إلا أن بريطانيا لم تكن ميالة لزج نفسها في مغامرات في الصحراء، بل كانت مهتمة أشد الاهتمام بإرضاء تركيا سياسيًّا، ترضية تتلاءم وحماية مصالحها في الخليج العربي[414]. وهكذا وبسيطرة الأتراك على إقليم الأحساء سنة 1288هـ/ 1871م، واستيلاء بريطانيا على جميع منافذ ساحل الجزيرة العربية من الكويت حتى مسقط، وجد ابن سعود نفسه سجينًا في الصحراء، ومكشوفًا من الشمال والغرب لهجمات أعداء يتمتعون بمساعدة الأتراك وتشجيعهم، بينما كان هو يعتمد على ولاء القبائل، وولاء مدن بلاده غير المضمون[415].

كان هذا مصدر ضعف خطير. ولابد أن ابن سعود أمضى ساعات وساعات خلال سنوات الكفاح السابقة وهو يفكر في الوسائل الكفيلة بمجابهة أهواء القدر وتعقباته، هذا القدر الذي أذل أسلافه بين الحين والآخر خلال تاريخ الحركة الوهابية؛ التي بوأت البيت السعودي مكان السيادة في الجزيرة. وقد شاهد هو بنفسه انهيار دولة "محمد بن رشيد"، وأدى دورًا بارزًا في هذه السبيل، حالما توفي صاحب اليد القوية وزالت قبضته عن دفة السفينة. وحتى الإمبراطورية العربية في أيام الإسلام الأولى تبددت بفعل القيادة الضعيفة، والانحطاط الذي ولدته ثروات الأقاليم التي فتحها المسلمون.

ويبدو أن هناك ضعفًا في جوهر المجتمع الصحراوي؛ لأنه وإن كان أهلًا للأعمال البطولية بدافع قضية كبرى أو تأثير شخصية عظمى، فهو- فطريًّا - يعجز عن الحفاظ لأمد غير محدود، على

النظم الضرورية لتطوير ثمار النصر للصالح العام. فالقبائل الصحراوية والدول الدينية كانت -على السواء- واقعة تحت تأثير شعور من الولاء المحلي أو القبلي؛ الذي تغلب على شعور الوطنية، والمشاعر العامة الضرورية لإقامة دولة يسودها النظام [416].

هذا هو الضعف الذي وجد ابن سعود نفسه مضطرًا لإيجاد علاج له. فتاريخ أسرته جعل من الدين العنصر الأساسي لهذه الدولة. ولاشك بأنه وأباه كانا سلفيين صادقين مخلصين؛ إلا أنه في أواخر القتال الضاري الذي دار في تلك السنين الخوالي؛ يعوزنا أي تاريخ مسطور يدل على الناحية الدينية في عملياتهما الحربية. ومع ذلك يمكن الافتراض أن فكرة نهضة وهابية أخرى كانت تختمر في رأس ابن سعود كعامل سياسي يستفيد منه.

ولقد تأثر ابن سعود بفكرة جديدة من النوع العادي لهذه النهضات، وقد ركز جهود دعاته وحاملي رسالته بين البدو، تلك الجهود التي بدأت ثمارها في الظهور سنة 1331هـ/ 1912م. ففي تلك السنة اجتمعت جماعة مختلفة من قبائل حرب ومطير في حرما- بالقرب من المجمعة- متأثرة بتحذيرات الدعاة من العقاب الأبدي، وأخذت تبحث عن معلومات أوفى حول هذا الموضوع ومن مصادر أوثق. وقد ساعدهم في هذا الأمر المتحمسون من السكان المحليين. إلا أن تعصبهم وشدة تمسكهم وتزمتهم لمظاهر التقوى الشخصية سرعان ما أسخطت عليهم السكان الآخرين [417].

وقد قررت هذه الجماعة- التي عرفت باسم الإخوان- والبالغ عددها خمسين شخصًا وعائلاتهم، الهجرة إلى بيئة يكونون فيها أقل تعرضًا للخطر؛ فوقع اختيارهم على آبار أرطاوية الواقعة على طريق القوافل بين الكويت والقصيم؛ لتكون بمثابة مستعمرة نُسَّاك، وسرعان ما أصبح هذا المهجر نموذجًا للتجمعات العسكرية الدينية التي ظهرت- تباعا- بسرعة مدهشة في جميع أنحاء البلاد التي تتوفر فيها الأحوال الملائمة للحياة الاجتماعية في هذا المهاجر التعاونية[418].

أما ابن سعود الذي بدأ عملية التجديد بين البدو بواسطة دعاته ومرشديه، فقد وضع جميع التسهيلات الضرورية تحت تصرفهم، المال والحبوب والأدوات الزراعية وعلماء الدين، وكل ما هو ضروري لبناء الجوامع والمدارس والمساكن. وأخيرًا زودها بالذخيرة والسلاح اللازم للدفاع عن مذهب كان أهم مبادئه الأساسية نبذ جميع العادات الوثنية والتقاليد القبلية الموروثة. فالأُخُوَّة القائمة بين جميع الناس الذين اعتنقوا المذهب الجديد- بغض النظر عن أنسابهم القبلية ومراكزهم الإجتماعية- وجهت شوق العرب بدلًا من أن يكون للحرب، فجعلته إلى خدمة الله ووكيله على

الأرض، وأصبحت الغارات المتبادلة والسرقة على قارعة الطريق التدخين وترف الحياة وطراوتها محرمة، وتركز جل الاهتمام في هذه التعاونيات (المستعمرات) على التفكير والعمل لحياة أخرى [419].

أما نشاط الخمسين رجلًا من الإخوان وأعمالهم، فقد كانت مجال بحث واسع في القبائل التي هجروها؛ فوفد المتطوعون من كل ناحية لينضموا إليهم. وسرعان ما أصبحت أرطاوية مدينة مزدهرة تضم عشرة آلاف من السكان. وتبعتها غطغط في مقاطعة ضرما؛ فتأسست فيها نواة من عتيبة، واعتنقوا المذهب الجديد. ومع مرور الزمن أصبحت في المرتبة الثانية بعد أرطاوية في حماسها وأهميتها. ثم أنشئت القرى في كل مركز بسرعة مدهشة. فنالت كل منها جزاءها في الدنيا والآخرة. هذا مع العلم أن حماسهم البالغ مبلغ التعصب في القضاء على الوثنيين المشركين- كلمة ضمنوها غير المسلمين، والمسلمين الذين لم يعتنقوا مذهبهم في الدين القويم - كان يستلزم الضبط والتقيد في ساعة النصر والهزيمة وفي ساعة السلم والحرب على السواء. ولهذا كان جيش ابن سعود يضم أيضا قوة من الإخوان، يسيرون تحت أعلامهم الخاصة يرافقهم البدو الذين لم يعتنقوا ذلك المذهب بعد؛ والحضر من الجيش الوطني القديم. فكل فصيلة لها مَهَمتها الخاصة التي تقوم بها في العمليات الحربية الآتية. وكان الإخوان هم خميرة المجموعة كلها بحكم شراستهم واندفاعهم؛ الذي كثيرًا ما أفاد ابن سعود في التغلب على أعدائه [420].

وفي السنوات التالية ازداد عدد الأخوان المهاجرين مع انتشار الحركة في أقصى نواحي ديار البدو. غير أن المنزلة الرفيعة في سجل الشرف يجب أن تكون من حظ الهجرة الأولى التي اتخدت للأخرى. فاعتنقوا المذهب من قبيلة مطير واستقروا في أرطاوية- عاصمة المذهب الجديد- وامتدت فروعهم إلى مبيض وبوضا وفريتان ومليح والقريتان. أما بطن برقة من قبيلة عتيبة؛ فكان صاحب غطغط ذات الصيت البعيد، والروضة وأروى وسنام [421].

أسس بطن رقة مهجرًا له في داهنة وسوح والعرجا وساجر وعسيلة وكبشان ونيفي. أما مهجر حرب فكانت دخنة وشبيكة والدليمية، وقرين وشاقية وحليفا وحنيظل، وبارود خصيبا وقبا وفراره. ونزل المهتدون من شمر في بنوان وفطيم وقصير وحفيرة، وبلازبة زخبة واليتم والأجفر، وكهفا وبيضة نائل. أما عناصر عنيزة فاستوطنت في شعبية والقلبان وشقيق. بينما قصدت قبيلة هتيم المتواضعة إلى خريفات والمسعى ومرير. وأما قحطان فهي صاحبة هياثم وجعفر والحصاة

وحفيرية. في حين أن أهل وادي الدواسر استوطنوا مشيرفة ووسيطة من جملة أماكن أخرى. وسكن العجمان في صرار وحنينا وصحاف والعقير وعريره ونطاع. أما العوازم فاستوطنوا الحاسي وتج والحنات وعتيق. وكانت هناك مستعمرات مختلطة في شباك وأبيرق وعين دار. أما الإخوان من سبيع والسهول فاستوطنوا ظبيع وبدع وسنيسف، وأخضر وطسم والرويضة [422].

وهكذا كانت القبائل ومهاجروها هي التي كونت الناموس الجديد. وسرعان ما وضعها ابن سعود موضع العمل في حملات المرحلة الثانية من مراحل زحفه لقيادة الجزيرة العربية وسيادتها. وقد بدا أن حملات تلك المرحلة قد تعدت- بصورة ما- نوعية الحروب الضيقة المحدودة إلى مستوًى أعلى في الصراع الدولي؛ لتواجه مجازفات خطيرة أعظم من أية مجازفة واجهتها من قبل [423].

وقد نجح ابن سعود في حروبه هذه. وكان مدينًا بهذا النجاح إلى قوات الإخوان على الخصوص. غير أنهم ما لبثوا أن وضعوا سياسته في مأزق حرج، عندما أصبحت مسئولياته الدولية تصطدم مع المعتقدات الدينية لرعاياه؛ فالمؤرخ النجدي – الذي كتب بعد الحادثة – يوضح كيف أن ابن سعود الكريم اختص المستعمرات ومكنها من الوقوف على أقدامها؛ فعين أميرًا وكل إليه تطبيق العدالة بين الضعيف والقوي من أبنائها، كما زود كل واحدة منها بفقيه يُعرِّف أهلها بحدود الشرع، ويهديهم إلى ما فيه منجاتهم في الدنيا والآخرة [424]. هذا علاوة على أنه وفر للمهاجر- بسخاء ويسر- الآلات الزراعية والسلاح والذخيرة.

ويقول أحد المؤرخين[425]: ظلت هذه الهِجَرُ ثابتة الإيمان مدة خمسة أعوام؛ حتى ملأتهم الثروة والرخاء بالكبرياء، وجعلتهم يفاخرون بقولهم: إن انتصارات ابن سعود كانت ثمرة بسالتهم وشيمهم الكريمة.

في نهاية عام 1331هـ/ 1912م تأصلت حركة الإخوان بصورة حاسمة، وضمنت سرعة تعبئة هذه القوة الضاربة المستوحاة من المثل المتعصبة، وأصبح ابن سعود السيد المعترف به في أواسط الجزيرة العربية ونجد، من إقليم وادي الدواسر جنوبًا إلى حدود جبل شمر شمالًا، ومن الحدود الغربية للأحساء- الواقعة تحت الحكم التركي- إلى الحدود الشرقية للحجاز؛ الذي كان- أيضًا- جزءًا من الدولة العثمانية.

وكان هذان الإقليمان متصلين ببعضهما بواسطة قوس يبعد العراق وسوريا.

أما جبل شمر الذي كان يعترف بالسيادة العثمانية، فشكل دولة مستقلة تمثل مقاطعة داخلية من العراق وسوريا، والقسم الشمالي من الحجاز ما فوق خط عرض 27. وكانت الدولة الوهابية لم تبلغ أية نقطة على البحر[426]، بينما تحيطها من كل ناحية مراكز أمامية توسعية لدول عدوة تقليدية؛ تقوي مركزها باحتلالها اليمن وعسير.

هذا فيما عدا الجنوب، حيث صحراء الربع الخالي الواسعة؛ التي ظلت تشكل خطًا دفاعيًّا طبيعيًّا ضد المناطق الواقعة على ساحل المحيط الهندي. ففي الطرف الجنوبي من اليمن كانت محمية عدن المستعمرة البريطانية، وأراضي الكويت التي تعتبر عنصرًا فعالًا في أنشطة الممتلكات التركية الشاسعة؛ التي تحد الدولة الوهابية من ثلاث جهات، كانت قد التجأت إلى الحماية البريطانية. أما البحرين والساحل المهادن، وطرف عمان الساحلي، ومداخل حضر موت؛ فهي خاضعة للسلطة البريطانية بصورة أو بأخرى [427].

ومما زاد في متاعب ابن سعود أن جميع البلاد التي كان يحكمها محرومة تمامًا من أية موارد طبيعية مهما كان نوعها. فمحصول التمر في دولته لا يكاد يكفي حاجات سكان البلاد؛ لابدوهم ولا حضرهم.

وأما محصول القمح فقليل يحتاج إلى إمدادات من الحبوب تستورد من الخارج مثل الأرز. وكان ابن سعود أول من عمم استعماله كطعام رئيسي للطبقات الثرية.. وكان السكان الحضر يعتمدون كلية على مصادر ما وراء البحار في لباسهم، بينما اكتفى البدو بما يحيكونه محليًّا من أدثرة. وكانت اللحوم والحليب والسمن وافرة في سنوات الخير. ولكن أكل اللحوم كان يعتبر نوعًا من الرفاهية بين البدو مع أنهم يربون الأغنام. أما بيع الحليب فهو في نظرهم عار وسبة؛ فهم يمخضونه ليعرضون السمن وحده للبيع في السوق. وكانت تربية الجمال مهنة البدو الوحيدة، يبيعونها أو يؤجرونها للركوب وحمل الأثقال أو يبيعونها للجزار [428].

هذا في البادية. أما في المناطق الحضرية فقد اقتصر الأهلون على ممارسة الزراعة، ووجهوا أنظارهم إليها. أما النشاط المعماري- ولنقل مهنة بناء الأكواخ - فكانت جل إمكانياتها موجهة إلى تزويد السكان الفقراء بما يأوون إليه.

وهكذا. كان الوضع الاقتصادي متأزمًا حالكًا للغاية. أما الوضع السياسي فلم يكن مشجعًا أبدًا. فماذا يفعل عبد العزيز؟ لقد بلغ أوجه. ولكنه كان يدرك جسامة ما يواجهه من مشاكل حتى بعد أن أتم ما استطاع من إنجازات باهرة. ولا ريب أنه كان يلجأ إلى العزاء والتشجيع في النص الكريم الذي اتخذه ـ فيما بعدـ دستوره؛ ومعناه: «أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

وعلى كل حال، سرعان ما أصبح ابن سعود على استعداد لتنفيذ الفصل الأول من مخططه للمستقبل. وقد يظن البعضـ لأول وهلة ـ أن مثل هذه الظروف ستضطره إلى الاتجاه نحو ضمان الاستقرار لحكمه في الصحراء العربية بالقضاء على بيت آل رشيد في حائل، إلا أن عبد العزيز لم يكن يرى هذا الرأي [429].

وعلى أية حال فقد أصدر ابن سعود أوامره في 1332هـ/ فبراير سنة 1913م؛ لاحتشاد قواته كلها. ثم غادر الرياض متجهًا إلى برك الخفس في الطرف الغربي من هضبة عرمه، حيث كانت تتوافر المراعي لحيوانات القوات المحلية التي يتألف منها جيشه، وبينما هو ينتظر تكامل تعبئة جيوشه هناك، أرسل فصيلة للإغارة على قبيلة مرة فنهبوها. وكان تغطية لخططه الحقيقية ولصرف الأنظار؛ إذ إنه بعد مسيرة قصيرة وصل إلى مشارف "الهفوف" عاصمة الأحساء؛ وهي المدينة التي زارها السائح الإنجليزي القائد ج. ليشمان "lishman" في أواخر سياحته الصحراوية التي بدأها في بغداد، وانتهي منها إلى الرياض مارًّا ببريدة، بعد مغامرات عديدة وقعت له في الأحساء. وقد وجد الرحالة الإنجليزي القوات التركية متذمرة في منفاها القصي، وغير راضية بتمضية بقية أيامها في تلك البراري.. وكان أكثر أحلامها هو الخلاص من الخدمة العسكرية في الجزيرة العربية. وها هي في أقل من خمسة أشهر بعد زيارة السائح الإنجليزي تغادر البلاد إلى الأبد[430].

ويذكر أن عدد الحامية التركية في الهفوف حوالي 1200 جندي " ألف ومائتين". وكان في القطيف فصيلة صغيرة تساندها أربًا متفرقة موزعة في عرض الإقليم. فماذا كان ينتظرها جميعًا؟

قضى ابن سعود مساء الثامن من آيار "مايو" من نفس العام؛ في الاستعداد للهجوم على المدينة والاستيلاء على حصنها العظيم، مصدرًا تعليماته الموجزة بصدد كيفية تنفيذ خطته. وكانت فصائل من جيشه قد قامت بقطع بعض أشجار النخيل في واحة صغيرة قريبة، وأخذوا يصنعون منها ما يشبه السلالم للتسلق، بينما وزعت حبال الآبار، التي كان يحملها جميع المسافرين في

الجزيرة العربية، على أفراد الفرقة كي يدلوها من أعلى الأسوار، حين يبلغون أول هدف من أهدافهم [431].

وبدأ الزحف مشيًا على الأقدام في منتصف الليل.. فلم يبزغ الفجر حتى كانت الحبال على الأسوار. فقد تمكن المتسللون من إخراس بعض الحرس النيام إلى الأبد. وقبل أن تتمالك الحامية نفسها من الذهول الذي أصابها في الظلام، كانت قلعة الكوت الكبيرة في أيدي الوهابيين. فانسحب الأتراك إلى جامع إبراهيم باشا بسرعة، وتحصنوا هناك في انتظار ما يجد من تطورات.

وفي هذه الأثناء استولى الوهابيون على إحدى بوابات المدينة؛ فتدفقت قوات ابن سعود للداخل، يطلقون الرصاص ويرددون هتافاتهم الحربية؛ لتزيد من قدر الفزع الذي تملك السكان، وتحمل العدو على الاعتقاد بأنه لا أمل له في النجاة.

ثم إن السعوديين أسروا عسكريًّا تركيًّا، فأرسلوه إلى قائده ليطلب منه الاستسلام، ويبلغه ابن سعود بصحة وسلامة أرواح الحامية التي ستنتقل بأمان إلى البحرين، وأعدوا العدة لوضع لغم تحت البنايات التي لجأت إليها قوات العدو الرئيسية، ووجهوا للمحاصَرين تحذيرًا بتفجير اللغم إذا تأخر استسلامهم عن موعد مقرر [432].

وحينئذٍ أعمل القائد التركي فكره.. فلم يجد بدًا من الاستسلام. وقد وافق على إلقاء سلاحه بالشروط التي عرضها ابن سعود.

وفي الوقت المعين خرجت الحامية كلها من الهفوف، تحت الحراسة الوهابية وقيادة أحمد ابن سنيان؛ وهو ابن عم بعيد للقائد الوهابي. ومن هناك سافروا في المراكب التي أوجودها إلى البحرين؛ حيث شرع القائد التركي يحاول جاهدًا إعادة الوضع السابق؛ فقام بإرسال قوات جديدة إلى عقير، إلا أن بعضها أسر حال نزوله اليابسة، بينما عاد الباقون إلى البحرين على متون سفنهم [433].

وسار ابن سعود بنفسه إلى عقير فأطلق سراح الأسرى، وأعادهم إلى سفنهم، ومن ثم توجه إلى القطيف فأخضعها بلا صعوبة، وخرج السكان زرافات ووحدانًا لتحية حاكمهم الجديد، ومن هنا ومن مدن الأحساء وقراها استطاع ابن سعود أن يسد النقص في مخازن مئونته، ثم عاد ابن سعود فرحًا إلى عاصمته راضيًا عما أنجزه من أعمال خلال شهر واحد. وكان قد وضع الترتيبات اللازمة لإدارة إقليمه الجديد.

ووجه انتباهًا عظيمًا لتعليم السكان الشيعة المبادئ الجديدة التي ستسود من الآن فصاعدًا؛ فوضع تصاميم بناء مدارس وجوامع، وعيَّن موظفين أكفاء في الوظائف الخاصة بالجباية والإنفاق، وأدخل الإصلاح إلى المحاكم كي تعمل وفق أمر الشريعة [434].

وأخيرًا وليس آخرًا عيَّن ابن سعود حاكمًا جديدًا بقي في منصبه حتى وافاه الأجل بعد ربع قرن، فأصبح أسطورة في حياته، وهو عبد الله بن جلوي؛ الذي رافق ابن عمه سنة 1320هـ/ 1902م في هجومه الجريء الذي استعاد به الرياض. كما ظل الحاكم العام في القصيم منذ احتلها الوهابيون مرة أخرى. ولاشك أن ابن سعود استشاره في خطة الهجوم على الأحساء؛ فغادر بريدة معه ليشترك في تلك الحملة قبل مجيء ليشمان"lishman" إلى المدينة في 1331هـ/ "ديسمبر" سنة 1912م. وكان الحاكم آنذاك هو فهيد بن عمر. ثم عين ابن سعود صديقه عبد الرحمن ابن سويلم- الذي قاد القوة المرسلة لاحتلال القطيف- أميرًا على الميناء تحت إشراف ابن جلوي، بينما جعل عقير تابعة لإدارة عبد الرحمن بن خير الله؛ الذي قدر له أن يبقى هناك ما بقي رئيسه في الهفوف [435].

وهكذا وبقليل من الجهد، وصل ابن سعود إلى ساحل الخليج العربي، وكسب جبهة واسعة؛ تمتد من أراضي الكويت في الشمال إلى شبه جزيرة قطر في الجنوب.

وفي قطر توفي صديق ابن سعود وحليفه "قاسم آل ثاني" الذي بادر لنجدته سنة 1323هـ/ 1905م، أي نفس السنة التي انتصر فيها في الأحساء. وكان قاسم قد شاخ وبلغ عمره 111سنة "مائة وإحدى عشرة". وكان هذا الرجل ذا سمعة أسطورية؛ فاحتفظ بقدرته العقلية والجسمانية حتى النهاية. وكثيرًا ما كان يشاهد وهو يمتطي جواده مع فرقة من الخياله كلها مع أبنائه وأحفاده، وقد خلفه ابنه عبد الله، فظل يحافظ على العلاقات الودية مع جاره العظيم؛ الذي كان حكيمًا، فلم يتدخل قط في استقلال شبه الجزيرة [436].

أمَّا رد الفعل الذي أحدثه فقدان الإمبراطورية العثمانية للأحساء فكان غير طبيعي. حيث بدأت المفاوضات مع ابن سعود بواسطة "سيد طالب النقيب" من البصرة، بينما أرسل والي البصرة "سليمان شقيق كمال باشا"؛ للبحث- مع زامل الصبحان(الممثل لحاكم حائل)، واسمه سعود ابن رشيد- في خطة لتزويده بالمال والسلاح اللذين يستخدمهما ضد ابن سعود. وبلغ الأمر ابن سعود

فاحتج على زامل لإخلاله بنصوص اتفاقية الهدنة السارية المفعول بين الدولتين، حين قبل اثني عشر ألف بندقية، وكميات مماثلة من الذخيرة والمال للانقضاض عليه [437].

وحينئذ أعلن زامل صراحة أنه في جانب الأتراك، بصفتهم الدولة ذات السيادة. وأبدى أنه سيعمل لمصلحتهم فيما إذا اصطدمت رغباتهم بعلاقته مع الرياض؛ فقبل ابن سعود ذلك التحدي الضمني وانتهت بذلك الهدنة.

ولما كان ابن سعود يدرك حرج مركزه؛ نراه التزم جانب السلام أثناء مباحثاته مع "سيد طالب النقيب" في الصبيحية القريبة من الكويت؛ فانتهت بإعطاء وعد شفهي بالاعتراف بسلطة السلطان في الأحساء، مقابل الأسلحة التركية والمال الكافيين لتأمين سلامة الأقليم. فعل ذلك ابن سعود وهو يعلم أن الأحساء أثمن جوهرة في تاجه؛ لما تنتجه من محاصيل زراعية وفيرة، وماتدرُّه جماركها من واردات كثيرة، ولم يحدث أن أضيف شيء جديد إلى هذه الاتفاقية[438]. إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى في الفترة (1914-1918) وإعلان الدولة العثمانية الحرب على بريطانيا؛ قد قضت على آمال الأتراك في استعادة الإقليم إلى الأبد.

وقد ألقيت الدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى في نوفمبر 1914م. وتحولت منطقة شمال شرق الجزيرة العربية إثر ذلك إلى ميدان قتال فعلي، حين غزت الجيوش البريطانية جنوب العراق. وترتب على ذلك قيام الطرفين المتحاربين بنشاط كبير؛ من أجل استقطاب ولاء وتأييد القوى المحلية في المنطقة. وقد أصدرت تلك القوى مواقفها من الحرب الدائرة بدرجات متفاوتة في الوضوح والحسم[439].

إذ أعلن حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح انحيازه التام وتأييده الصريح لحلفائه البريطانيين. بينما كان موقف حاكم نجد الأمير عبد العزيز آل سعود أقرب إلى الحياد[440]. وبالمقابل انضمت أغلب قبائل جنوب العراق إلى جانب العثمانيين[441]. كما تمسك حاكم حائل الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد بولائه للدولة العثمانية؛ رغم المحاولات المتكررة التي قام بها البريطانيون لاقناعه بالعدول عن ذلك[442].

جاءت تلك الولاءات المتعارضة في وقت كانت فيه علاقات تلك القوى المحلية ببعضها ليست صافية تمام الصفاء. إذ توترت العلاقات بين الرياض والكويت في أواخر أيام الشيخ مبارك،

ثم انفرجت قليلًا في بداية عهد الشيخ جابر؛ فيما يمكن اعتباره هدنة مؤقتة. أما علاقة الرياض بحائل فكانت في هذا الطور- كما في الأطوار التي سبقته - تتأرجح بين حرب معلنة وهدنة قلقة. في حين كانت علاقة الكويت بحائل على شيء من التعقيد؛ فبعد العداء الصريح بين الطرفين الذي توج بمعركة الصريف(الطرفية) في سنة 1319هـ/ 1901م، سعى الشيخ مبارك- بعد مقتل حاكم حائل عبد العزيز بن متعب الرشيد سنة 1324هـ/ 1906م- لدى خلفائه لتحسين العلاقة بين الطرفين. ورغم ذلك لا يمكن القول أن مسعاه قد حقق النتيجة المرجوة؛ إذ استمرت علاقة الطرفين قلقة لا تثبت على حال. ولعل عدم الاستقرار ذلك كان وليد تشابك الشيخ مبارك بكل من الرياض وحائل، وانعكاس للمواقف المتغيرة التي كان يتبناها حيال الصراع الدائر بين هاتين الحاضرتين.

وقد أدى التزام الكويت وحائل لطرفين متناقضين- من أطراف الحرب العالمية الأولى- إلى زيادة التوتر في العلاقات بينهما، بحيث يمكن القول: إن تلك العلاقات اتجهت في أواخر أيام الشيخ مبارك لأن تكون علاقة خلاف ومواجهة لا علاقة اتفاق ووئام. يدل على ذلك قيام بعض من أفراد قبيلة شمر التابعة لابن رشيد بالإغارة في أراضي الكويت على أربعمائة جمل، وأموال أخرى؛ عائدة لأهالي بلدة شقراء في نجد ونهبها في 1334هـ/ مايو سنة 1915م. وعلى إثر ذلك كتب الشيخ مبارك إلى الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد يرجوه باسم الصداقة؛ الأمر بإعادة الجمال والأموال المنهوبة[443]. فرد عليه ابن رشيد برسالة خشنة الأسلوب نوعًا ما، نثبتها بنصها هنا لما فيها من إيضاح لطبيعة العلاقة بين الرجلين:

● بسم الله الرحمن الرحيم ●

من سعود بن رشيد إلى جناب المكرم مبارك الصباح سلمه الله تعالى:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وهنا من فضل الله بأحسن حال، والخط الذي مع رجالكم سيف وصل، وما ذكرتو [كذا] كان معلوم خصوص من طرف الأباعر والنقايص الذي خذو [كذا] الشمامرة، تعجبنا من ذلك في هذا الوقة [كذا] ليس لها مدخال، ثم تعلم أن حنا تبع لحكومتنا السنية، وفي انتظار أوامرها السامية في كل خصوص مالنا في الأمور المناقضة لمصالح دولتنا العلية، وتذكر من طرف [كذا] الصداقة السابقة، فأنتم ماجريتو [كذا] على مقتضاها صديق الوجه عدو السرائر العاقل، خصيم نفسه ومواد المحبة تفهمونها، هذا مالزم منا السلام على العيال، ولدينا والسلام (ختم).

30 رجب 1333هـ[444]

يظهر من هذه الرسالة مقدار ما أشرنا له من تأثير مواقف الشيخ مبارك حيال الصراع بين الرياض وحائل على علاقته بالأخيرة. فعبارة "صديق الوجه عدو السرائر" تكشف عدم ثقة ابن رشيد بصدق مبارك نحوه، وهي عدم ثقة تستند- بلا ريب- على مجريات أحداث الماضي أكثر من استنادها إلى وقائع الأحداث الحاضرة. ويدل هذا على عدم مرونة ابن رشيد في التعامل المستجدات السياسية، إذ لو فعل لاغتنم فرصة التوتر في علاقات الشيخ مبارك مع خصمه ابن سعود لكسب الأول إلى جانبه. ولعله فكر في تلك الإمكانية، ولكن انتماءه والشيخ مبارك إلى معسكرين متعاديين؛ جعل مثل تلك الإمكانية بعيدة الاحتمال. يدل على ذلك تأكيد ابن رشيد المتكرر في رسالته على إخلاصه للدولة العثمانية. فلا منايبة منطقية تفرض ذلك التكرار، إلا أن يكون إشارة إلى أن إخلاصه ذلك يجعل علاقته بمبارك علاقة حرب؛ تبرر القيام بمثل تلك الغارة، وما نتج عنها من منهوبات. أو أن تكون رسالة الشيخ له- والتي لم تصلنا للأسف- حاوية على محاولة إقناعه بتغيير ولائه من العثمانيين إلى البريطانيين، وذلك أمر ليس مستبعدًا أيضا؛ لأن لدينا من الشواهد ما يثبت قيام مبارك بمحاولة مشابهة مع زعماء محليين آخرين[445]. ولقد كان من مصلحة الشيخ أن يتم ذلك التغيير؛ فيأمن من جرائه جانب ابن رشيد، أو حتى يكسبه إلى جانبه على ضوء ما مر ذكره من تغير علاقته مع الرياض في هذه الفترة.

يبدو على- أيه حال- أن تلك الرسالة قد أغلقت الباب أمام أية إمكانية للتصافي بين مبارك وابن رشيد، وانعكس ذلك على موقف الأول حيال كل أفراد قبيلة شمر من أتباع ابن رشيد؛ إذ أصدر الأوامر بحرمانهم من حق المرور الآمن في الأراضي الكويتية، ولا يبدو أن وفاة الشيخ مبارك في أواخر سنة 1334هـ/ 1915م، قد أدت إلى تغيير فوري في طبيعة العلاقات بين الطرفين. حيث استمرت تلك العلاقات متوترة خلال الأشهر الأولى في حكم الشيخ جابر بن مبارك. بل إن التوتر كان في 1335هـ/ شهر أبريل 1916م واضحًا؛ لدرجة جعلت القبائل التابعة للكويت تتوقع هجومًا يشن عليها من قبل ابن رشيد. وقد أدى ذلك التوقع بالشيخ سالم بن مبارك؛ الذي كان مخيمًا على بعد ثمانين ميلًا غرب الجهراء إلى التراجع نحو الوراء، وأن يطلب موافاته بالتعزيزات من بلدة الكويت[446].

وفجأة وفي خضم هذا التوتر تصل أخبار للزبير في 1335هـ/ النصف الأول من مايو 1916م؛ تشير إلى اتجاه ابن رشيد نحو عقد السلام مع الكويت، وأن مفاوضات تجرى بينه وبين الشيخ جابر من أجل الوصول لهذه الغاية. وكانت تلك الأخبار مثار اهتمام السلطات البريطانية؛ إذ بادر رئيس الضباط السياسيين السير برسي كوكس "sir P. Cox" حال علمه بتلك الأخبار؛ بإرسال مذكرة إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في السادس عشر من مايو. وتضمنت مذكرته وصف موقف ابن رشيد حيال البريطانيين بأنه موقف متذبذب جدًّا ومتغير من يوم لآخر. وعبَّر كوكس عن قناعته بأن الشيخ جابر يوافق على أن تكون سياسته تجاه ابن رشيد متناسقة مع السياسة البريطانية حياله[447]، ولم يلبث كوكس أن عزز مذكرته تلك ببرقية أخرى بعثها بعد يومين إلى الوكيل السياسي في الكويت، أعاد فيها وصف موقف ابن رشيد بالتضارب.

فهو يطلب من البريطانيين السماح له بالتمون من الأسواق الخاضعة لهم، ولكن من جهة أخرى يتجاهل رسائلهم له، ويبقى ساكنًا من غير حراك بالقرب من "الخميسية"[448] ضد رغبتهم. وأضاف:- "سمعنا مؤخرا أنه كان هناك اشتباك بين دوريتي استكشاف تابعتين للكويت وابن رشيد، ونسمع الآن عن عروض سلام جارية بين الكويت وابن رشيد، وأن سالم بن مبارك أرسل لابن رشيد مائتي كيس من الطحين. يرجى الإبراق عن ماهية الوضع. ويجب ألا يدخل شيخ الكويت مطلقًا في علاقات ودية (مع ابن رشيد) دون التشاور الكامل معنا"[449].

وقبل التطرق إلى رد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت على ما جاء أعلاه، يحسن التوقف قليلًا عند الإصرار البريطاني على وجوب عدم تصرف الشيخ جابر في أمر علاقته مع ابن رشيد قبل الرجوع إلى رأي السلطات البريطانية. ويعود ذلك الإصرار إلى عدم نجاح السلطات البريطانية في إقناع ابن رشيد بالتزام جانبها في الحرب الدائرة، أو وقوفه على الحياد على الأقل. ولذلك فإن دخول الشيخ جابر في اتصالات مع طرف يعتبر عدوًا لبريطانيا يخل- من وجهة النظر البريطانية – بموقف التأييد المطلق لبريطانيا؛ الذي التزمه شيخ الكويت الراحل. وإذا تساهلت السلطات البريطانية تجاه ذلك؛ فقد يتشجع شيخ الكويت على اتخاذ خطوات أخرى تبعده أكثر عن التمسك بالجانب البريطاني، وقد يغري ذلك أيضا قوى محلية أخرى بأن تحذو حذو شيخ الكويت. وذلك مالا ترضاه بريطانيا، وهي الحريصة على حشد أكبر تأييد محلي خلفها. ثم إن قيام علاقات ودية بين شيخ الكويت وابن رشيد قد يفتح للأخير سوق الكويت للحصول على المؤن اللازمة منه؛

فتفقد بريطانيا بذلك وسيلة فعالة للضغط على ابن رشيد. إذ إنها استغلت حاجته للمؤن وجعلت مروره للأسواق الخاضعة لسيطرتها مشروطًا بحسن سلوكه تجاهها [450].

رد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت على ما كتبه كوكس ببرقية مستعجلة أفاد منها بأن الموقف في الكويت مرضٍ تمامًا. وأوضح أن الاشتباك الذي أشار له كوكس لم يكن بين أتباع ابن رشيد وشيخ الكويت، ولكنه كان بين جماعتي غزو تنتميان إلى قبيلتي مطير والعجمان.

ونفى صحة الإشاعة عن عروض سلام بين ابن رشيد وشيخ الكويت، كما نفى تقديم أية هدايا من طحين أو غيره إلى ابن رشيد. وأضاف أن الأخبار المتداولة في الكويت تفيد بأن ابن رشيد تلقى من البريطانيين مبلغ سبعين ألف روبية، وأنه يتصرف الآن بصورة مرضية، وذكر أن ذلك أثار بعض التعجب. ونصح في الأخير بعدم الثقة الكثيرة بابن سويط[451]، وأوضح أنه من المعتقد في الكويت عمل المذكور لمصلحته الذاتية فقط دون اعتبار للعواقب. وتدل الجملة الأخيرة في برقية الوكيل على تلميح واضح إلى اعتقاده؛ بأن مصدر معلومات السلطات البريطانية في البصرة عن اتصالات شيخ الكويت بأمير حائل هو ابن سويط.

ولكن الوكيل السياسي مالبث أن عدَّل- في اليوم التالي- معلوماته التي وردت أعلاه. واعتذر عن عدم دقتها نتيجة استعجاله في كتابة البرقية؛ من أجل إرسالها بالقارب البخاري الذي كان يوشك على الإقلاع متجهًا إلى الفاو لتبرق من هناك. وأوضح أن ابن رشيد حاول بالفعل مؤخرًا؛ إقامة علاقات ودية مع شيخ الكويت، ولكن لم ينتج شيء عملي عن تلك المحاولة[452].

وفصَّل الوكيل ماجرى بالقول إن المحاولة تمت عن طريق مانع بن سويط؛ الذي كتب لشيخ الكويت عن رغبة ابن رشيد بإقامة علاقة ودية معه. وقد رد الشيخ جابر على مانع بقوله: "إذا كان ابن رشيد يرغب بالسلم فيمكنه الحصول عليه، ولكن ليس عن طريق التحرش بالكويت. أما إذا كان يرغب بالحرب فإنه – أي الشيخ جابر – مستعد له". وعلَّق الوكيل السياسي على هذا الرد فوصفه بأنه رد ممتاز، ولم يتله عرض آخر من جانب ابن رشيد. ولم يفت الوكيل السياسي أن يكرر القول بأن الشيخ جابر وأصدقاء بريطانيا الخاصين الآخرين في الكويت؛ ليس لديهم ثقة في حمود ابن سويط (الشيخ العام لقبيلة الظفير)، ونقل عنهم أيضًا اعتقادهم بأن ابن رشيد سوف يرسل رسائل البريطانيين التي تصله إلى الترك؛ كي تزداد أهميته لديهم. وختم الوكيل مذكرته بنقل تعهد من شيخ الكويت بأنه- طبقًا للجملة الأخيرة التي وردت في برقية كوكس المؤرخة في 1335هـ/ الثامن عشر

من مايو 1916م، والتي تنص على عدم دخول الشيخ ـ مطلقًا- في علاقات ودية مع ابن رشيد دون التشاور الكامل مع البريطانيين[453].

ويبدو أن الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أحس بالتأثير السيئ؛ الذي تتركه أخبار الكويت التي تصل إلى المراجع البريطانية في البصرة عن طريق آخر سواه؛ فأحب أن يجد وسيلة دائمة لمعالجة ذلك الوضع. ولذلك كتب إلى مسئول الاستخبارات البريطانية في البصرة في1335هـ / 1916م؛ مبديًا ملاحظاته على بعض الأخبار الواردة في "خلاصة الاستخبارات" "Summary of Intelligence" التي كانت تعدها شعبة الاستخبارات في البصرة وتضعها تحت تصرف الجهات المعنية. فذكر أن تلك الأخبار ليست قاسية بحق الكويت فحسب، ولكن يحتمل أنها تسبب بعض القلق في الأوساط الرسمية البريطانية في البصرة. ولاحظ أن تلك الأخبار لا تصحح على ضوء المعلومات التي يرسلها هو- باستمرار- إلى رئيس الضباط السياسيين في البصرة. واقترح علاجًا لهذه المشكلة وهو أن يرسل نسخًا من تلك المعلومات إلى شعبة الاستخبارات أيضًا؛ حتى تكون مطلعة على أخبار الكويت أولًا بأول. وأعطى مثلًا لتلك الأخبار المبالغ فيها بالنص التالي؛ الذي ورد في خلاصة الاستخبارات رقم 47؛ "أنباء أخرى هي أن مفاوضات السلام في تقدم الآن بين شيخ الكويت وابن رشيد، وأن الأول أرسل مقترحات محددة للأخير". وبيَّن أن ما حدث هو أن ابن رشيد حاول أن يرشو شيخ الكويت من خلال مانع ابن سويط (عم حمود)[454]، وأن الشيخ رد على ذلك بقوله "إذا كان ابن رشيد يريد السلم؛ فيمكنه الحصول عليه ليس عن طريق التحرش بي، وإذا كان يريد الحرب فأنا مستعد له". وختم الوكيل كلامه بالقول: إن جواب الشيخ ليس سيئًا على الإطلاق[455].

ومن الجدير بالذكر أن السير برسي كوكس ظل أثناء هذه المفاوضات متحفظًا؛ فلم يذكر أمرًا بالغ الأهمية، وكان يمكن أن يثير اهتمام ابن سعود إن لم يثر قلقه؛ وهو أنه لم يشر إلى المفاوضات الجارية بين السير هنري مكماهون و"الشريف حسين" شريف مكة؛ للقيام بالثورة العربية في 1335هـ/ يونيو سنة 1916م. ولم يورد أي ذكر للحدود الغربية لمملكة ابن سعود في المعاهدة؛ الأمر الذي كان مصدر متاعب كثيرة فيما بعد.

وقامت ثورة الحجاز.. وبلغ الخبر ابن سعود؛ فاتخذ لنفسه مسلكًا سليمًا، وإن كان لم يخف قلقه من أن مطامع الشريف حسين؛ قد تتصادم مع مصالحه أمَّا الحكومة البريطانية التي قررت أن

تدعم الثورة العربية بأي ثمن آنذاك؛ فقد ألقت على عاتق السير برسي كوكس أن يلعب دور المعزي لصديقه في محنته، غير أن تأكيداته لابن سعود لم تقتلع غضبه أو تحد من قلقه[456].

وفي 1334هـ/ نهاية عام 1915م، توفي الشيخ مبارك شيخ الكويت، الذي أخذ منه الحسد مأخذه؛ فبدأ يساوره القلق في شيخوخته من طموح رجل درَّبه في شئون السياسة على يده. وذلك نقيض ابنه وخليفته جابر؛ فقد كان الشيخ مبارك يُكِنُّ الصداقة لابن سعود، إلا أن حكمه كان قصيرًا؛ فلم يؤد إلى نتائج ملموسة فيما يتعلق بالخطر على أمن ابن سعود، وهو الخطر المتأتي عن وجود اللاجئين من العجمان في الكويت، وبمجرد أن خلفه أخوه سالم سنة 1335هـ/ 1916م- وقد كان معاديًا لابن سعود بشكل سافر- حتى اتجه ببلاده نحو خصوم الرياض[457].

والحقُّ أن ابن سعود كان في وضع لا يحسد عليه؛ بسبب النزاع القائم فعلًا أوالمتوقع سريعًا بينه وبين كل من الحجاز وشمر والكويت، بالإضافة إلى البرود المتزايد في علاقاته مع الإنجليز؛ ولهذا نراه الآن يلح في طلب اجتماع ثان بينه وبين السير برسي كوكس، فتم الاجتماع في عقير. وكان هذا الاجتماع في الظاهر من أجل البحث في الوسائل التي ستمكن ابن سعود من السير قدمًا في حملته ضد ابن رشيد، إلا أنه في الواقع- ومن وجهة نظر ابن سعود على الأقل- كان نوعًا من محاولة لاستجلاء موقف بريطانيا فيما يتعلق بالتدابير؛ التي اتخذتها مع الشريف حسين، خصوصًا وأن الشريف حسين كان قد أعلن أن الإنجليز اعترفوا به ملكًا على العرب[458].

وقد أكد السير برسي كوكس لابن سعود أن استقلاله لن يمس بشكل من الأشكال، ودعاه للاشتراك في مؤتمر لزعماء العرب في 1335هـ/ 1916م؛ يتم عقده لتقديم النياشين والأوسمة له ولجابر، وفي الاجتماع تبادلا المشاعر المهذبة، وتمكن برسي كوكس من تهنئة جميع الحاضرين على علامات الوحدة العربية التي أخذت تظهر في ذلك الحين. ولم يطل عمر جابر بعد الوسام الذي ناله.. بينما قبل ابن سعود دعوة السير برسي كوكس لزيارة البصرة ضيفًا عليه وعلى القائد العام. وكانت هذه أول مرة يسافر فيها إلى بلد أجنبي، وقد تأثر لدى رؤيته ذلك العدد الوافر من المعدات الحربية الحديثة، وربما استخف بواقع أن أعظم مضيفيه في مكانه كانت مجرد امرأة تدعي جرترودبل[459].

وعلى كل حال فإن النتيجة العملية لتلك الاتصالات كانت التوصل إلى اتفاقية؛ سيتقاضى ابن سعود بموجبها منحة شهرية مقدارها خمسة آلاف جنيه، بالإضافة إلى أربعة رشاشات وثلاثة آلاف

بندقية، وكمية كافية من الذخيرة. كل ذلك من أجل الاحتفاظ بقوة قوامها أربعة آلاف رجل في الميدان؛ تظل جاهزة لشل يد ابن رشيد بصورة دائمة، ومهاجمة عاصمته، إلا أن التفاؤل البريطاني الرسمي بشأن مدى اتحاد العرب في دعم قضية الحلفاء؛ قد أسيء فهمه بصورة تبعث على الأسى. ففي خلال اثني عشر شهرًا، بدأ التشكك والحسد يذران قرنهما في السياسة العربية. وكانت أولى الرصاصات التي أطلقت في الحرب ستؤدي إلى سقوط الشريف حسين، وضم الحجاز ومدنها المقدسة إلى الدولة السعودية[460].

كان هم السير برسي كوكس الوحيد منذ مطلع عام 1336هـ/ 1917م، وما بعدها؛ حصار المراكز التركية الواقعة وراء العراق المحتل، بقطع النظر عن الحاجة إلى صرف انتباهه عن عمليات الحلفاء في الحجاز؛ بتشجيعه على اتخاذ إجراء ضد ابن رشيد ومهاجمته [461].

وجدير بالذكر أن ندرة المؤن واختفاءها في سورية، وارتفاع أسعار المواد الغذائية والسلع؛ أوجد سوقًا رائجة للمهربين؛ فقد كان الحمالون يجلبون البضائع الممنوعة، عبر الصحراء العربية إلى دمشق من العراق نفسها، ومن موانئ الخليج العربي. وقد كان الشيخ سالم شيخ البحرين يغض الطرف عن هذه العمليات؛ التي كانت تجري في بلاده، وكان يتقاضى ضريبة على الأرباح مقدمًا، فيما كان تجار القصيم والأجزاء الأخرى من البلاد السعودية ينقلون بضائعهم إلى حائل، ومن هناك كانت تنقل إلى الأتراك.

ولقد كان المنتظر من ابن سعود أن يوقف هذه الحركة، باعتبار أنها جزء مهم من حملته على ابن رشيد، وكان هناك- ولاريب- بعض القوافل التي استطاعت أن تمر.

وكان الحاكم المدني في بغداد مهتمًا بالعلاقات غير الودية القائمة بين الكويت والرياض؛ وذلك لأنها سببت قلقًا في البلاد الداخلية ضمن العمليات الحربية في العراق بشكل جزئي، ولأنها أوجدت تسهيلات كبيرة في عمليات التهريب. وقد وعد أيضا بأن يتخذ إجراءات ترضي ابن سعود بشأن قبائل العجمان الموجودين في الأراضي الكويتية، التي كانوا يستخدمونها (دون خوف من عقاب) في الإغارة على قبائل نجد [462].

وكان هناك أيضًا أمور أقل شأنًا مما مضى؛ مثل نسبة الرسوم الجمركية التي تحصل في الكويت والبحرين على البضائع المصدرة إلى نجد، وإمكانية إيجاد عملة نقدية تفي بحاجات البلاد

اليومية. وقد بلغت هذه الأضرار ذروتها في 1336هـ/ خريف عام 1917م، حين طَفِقَ السير "ريجنالد وينجيت" المندوب السامي البريطاني في مصر؛ يطلب الإلحاح على ابن سعود لحمله على الضغط على حائل؛ في الوقت الذي فقدت فيه الثورة العربية زخمها، وأصبحت مهددة بالتوقف التام. فأرسل الكولونيل لورنس إلى جدة ليبعث الحياة في هذه الحركة، بينما بعث المستر ستورز- وهو ممثل آخر للسير ريجنالد وينجيت وأصبح فيما بعد سير- إلى بغداد للبحث في الوضع العام مع السير برسي كوكس، فاقترح الأخير أن يذهب ستورز إلى ابن سعود ممثلًا شخصيًّا له لتقديم اقتراحات مدروسة؛ لإزالة أسباب الجفاء القائمة بين الصديقين العربيين الرئيسيين لبريطانيا [463].

ولسوء الحظ لم ينجح هذا المشروع؛ لأن ستورز أصيب بضربة شمس في الطريق، فبادر إلى مغادرة الجزيرة العربية بسرعة. أما السير برسي كوكس فلم يفقد الأمل في القدرة على حل المشكلة المعقدة، وإن كان يشعر باليأس متذكرًا اختباراته أثناء بعثته الثانية إلى ابن سعود[464].

وبعد مشاورات طويلة بين بغداد والقاهرة تقرر أن ترسل بعثة صغيرة إلى الرياض، وينضم إليها ستورز هناك عن طريق الحجاز.

أما الجزء من الاتفاقية فقد حال دونه الشريف حسين منذ البداية. فلم يقبل أن يتحمل مسئولية سلامة ستورز؛ بسبب الحالة المضطربة التي تسود الصحراء. وفي 1336هـ/ نوفمبر عام 1917م، وصل ممثلو السير برسي كوكس إلى عقير. وساروا عن طريق واحة الأحساء، حيث أمضوا أياما في ضيافة عبد الله ابن جلوي المشهور، فوصلوا الرياض في نهاية الشهر للبحث مع ابن سعود في الوضع كله. وبعد أن أتموا هذا، وأرسلوا بتقريرهم إلى بغداد، سارت البعثة إلى الحجاز بعد أن شملها ابن سعود ببركته، فوصلت الطايف يوم عيد الميلاد دون أي حادث يذكر؛ الأمر الذي أدهش الشريف حسين وأغضبه، إذ اضطر لوضع الترتيبات اللازمة من أجل استمرار سفرها إلى جدة [465].

كان من المؤمل انضمام ستورز إلى البعثة، غير أن القدس سقطت في أيدي جيش الجنرال اللنبي البريطاني، فأصبح ستورز أول حاكم لها، ووصل إلى جدة "الكوكاندر د. ج. هو جارث" بدلًا منه، وحضر الشريف حسين من مكة في الوقت المعين لاستقبال ضيوفه من الغرب والشرق. وكانت المباحثات التي تلت ذلك عقيمة، حيث رفض الشريف حسين الاعتماد كلية على ابن سعود، وعلى

الأخص في قضية ملكية خرما؛ التي هاجمتها حملة من مكة في شهر ديسمبر؛ فلجأت البعثة إلى ابن سعود ليقوم بواجب الدفاع عن رعاياه [466].

ولقد عادت البعثة إلى ابن سعود عن طريق البصرة. أما السير برسي كوكس فغادر العراق إلى طهران؛ ليصبح سفيرًا لبريطانيا فيها. بينما عين أرنولد ولسن مبعوثًا سياسيًّا مكانه. ولم يكن ابن سعود ليتحمل استفزازات الشريف حسين بشأن خرما؛ التي أصبحت الآن محك إخلاص بريطانيا وصداقتها، هذا مع العلم بأن مكة هاجمت الواحة مرتين خلال فصل الصيف، ولم يحرك هو ساكنًا أكثر من إعلانه أنه سيزحف على الشريف في حالة وقوع أي اعتداء آخر [467].

وفي هذه الأثناء وجهت البعثة جهودها كلها إلى الإلحاح عليه بضرورة مهاجمة حائل إذا رغب في استمرار العون البريطاني.

فوعد ببدء الحملة في أغسطس وقد صدق في وعده؛ فتغلغل إلى قلب جبل شمر، ودمر بعض مراكز ابن رشيد البدوية الأمامية. ثم ظهر أمام حائل نفسها، وكانت على درجة من القوة تجعل القيام بالهجوم عليها دون مدفعية مستحيلًا، وعاد ابن سعود إلى بريدة حيث أعلمته البعثة أن بريطانيا لم يعد يهمها مصير ابن رشيد؛ لأن تركيا خرجت آنذاك من الحرب، ولم تكن هذه أخبارًا سارة لابن سعود؛ الذي أصبح الآن حرًّا في أن يتبع أساليبه الخاصة؛ أثناء ما كان الحلفاء المنتصرون منهمكين جدًّا في تخاطف الانتدابات والامتيازات الأخرى، فلم يأبهوا للتوتر الذي كان يسود العالم العربي آنذاك [468].

إلا أن ابن سعود استطاع بعد مرور أشهر معدودة، أن يحملهم - أو يحمل بريطانيا على الأقل- على أن يفهموا واقع الجزيرة العربية؛ هذه الأشهر التي كانت مأساة بالنسبة إليه، فقد قضى وباء الأنفلونزا الأسبانية في أواخر فصل شتاء 1918- 1919م على ولده البكر تركي، وعلى ولدين آخرين، وعلى زوجته الأولى جوهرة [469].

أما الشريف حسين فهو الذي أخذ يجرجر ذيله مزهوًّا أمام الأمير السعودي.. فقد أرسل ابنه الثاني عبد الله على رأس حملة قوية، مصدرًا إليه التعليمات باحتلال خرما بأي ثمن. فوصل عبد الله إلى تربة حيث مكث فترة في معسكر محصن تحصينًا قويًّا، وأخذ يعاقب بعض أهالي الواحة

المشكوك في ولائهم، قبل أن يسير إلى هدفه الرئيسي من هذه الحملة، وقد دعت بريطانيا ابن سعود لإرسال ممثل عنه إلى لندن لبحث الوضع كله[470].

وتمت الزيارة خلال أشهر الشتاء سنة 1338هـ/ 1919م حين وصل الأمير فيصل بن سعود- آنذاك وعمره أربعة عشر عامًا- مسئولًا عن البعثة السعودية التي تركت أثرًا حسنًا في لندن. فقد اعتبر البريطانيون أن مشكلة خرما قد انتهت حسبما تشير الأوضاع الراهنة. وأنه لا مجال لإعادتها بدون مقابل. إلا أن القدر كان يطوي مفاجأة للهيئة الإدارية، فلقد اعترض فيها على الادعاء القائل بأن المنحة المالية قد أوقفت، ولكن ربما كان قابضو المنحة البريطانية- فعلًا- في لندن، فلم يكن من الصعب لتثبت من الأسرة أنهم كانوا يتقاضون رواتبهم حتى ذلك التاريخ، ولقد أوجد هذا شعورًا حسنًا؛ فلا مجال للتفكير في قطع المنحة. [471]

وفي هذه الأثناء أخذ الوضع في العراق يصبح دقيقًا، فقد أصبح الشريف فيصل بن الحسين ملكًا على سوريا وأخذ يعمل سرًّا وجهرًّا على تفويض تدابير الإمبراطورية البريطانية؛ التي كان السير أرنولد ولسن يسعى لترسيخها في العراق. وفي 1339هـ/ أوائل عام 1920م نشبت الثورة، وأصبحت الأحوال السياسية في تلك المنطقة تستدعي استعراضًا محرجًا. فقررت الحكومة البريطانية أن تستدعي السير برسي كوكس من طهران؛ للتداول معه في سياسة أكثر تساهلًا في العراق، يضعها هو بصفته مندوبًا ساميًا[472].

وقد منحته الرحلة البحرية إلى البصرة فرصة لتجديد الاتصال بابن سعود؛ فجاء لمقابلته في عقير. وكان جل اهتمام ابن سعود " آنذاك" منصرفًا إلى ما كان يشاع عن عزم الحكومة البريطانية تقديم تاج العراق إلى الشريف فيصل، بعد أن فقد عرشه في سورية يوم ميسلون في يوليو عام 1339هـ/ 1920م[473]. واستطاع كوكس أن يهدئ من قلق السعوديين من هذه الجهة؛ لأنه قرر نهائيًّا ألا يتخذ إجراءً حاسمًا في العراق؛ إلا بعد دراسة الوضع دراسة دقيقة شاملة، ولم يكن السير برسي راضيًا- بأي شكل من الأشكال- عن فكرة جعل مرشح لورنس حاكمًا للبلاد، لمجرد أنه ساهم في الثورة، وحين بحثت قضية ابن رشيد بصورة عامة؛ كان من الواضح أن كوكس يعتبره عاملًا مفيدًا في المحافظة على توازن القوى في الصحراء. ولقد استنتج ابن سعود- بلا شك- أن مركزه سيصبح حرجًا؛ بسبب تحدي حاكم "شمر" منافسه القديم بتشجيع من الإنجليز.. لأن مبعوث ابن رشيد كان - فعلًا- في بغداد يتفاوض مع جوتر ودبل آنذاك [474].

ويبدو أنه قرر الدفاع عن نفسه ضد أعدائه الفعليين الأقوياء؛ الذين شكلوا حلقة حول حدود بلاده الشمالية. مع ذلك كانت خطوته الأولى هي إرسال الأمير فيصل الشاب على رأس جيش قوي؛ لاحتلال مرتفعات عسير والواحات التي تحدها من جهة الصحراء[475]. وكان الهدف من هذه الحركة أن يدعم الفوائد التي جناها في خرما وتربة. وهكذا أصبح خط دفاعه الغربي يمتد إلى خميس مشيط مارًّا بـ" بيشة"، وغدا في وضع يتمكن معه من السيطرة على قبائل حتى حدود الطائف[476]. ودفعته حركته الثانية إلى الدرجة التي لابد منها كي يصل إلى مطامعه الكبري بصورة حاسمة.

وكان سعود ابن رشيد قد قتله ابن عمه عبد الله بن طلال أثناء نزهة لهما عام 1920م، غير أن القاتل قتل في الحال على يد عبيد المغدور، كما سجن عبد الله بن متعب- الذي تسلم العرش- أخاه محمد بن طلال، وهو حفيد عبد العزيز بن متعب ابن رشيد، عدو ابن سعود القديم. وقد ظهر ضعف عبد الله كحاكم، في ضعف الدولة العام؛ التي أصبحت العناصر الشريفية تتودد إليها بشدة، وبدأ القدر يشير إلى الشريف فيصل على أنه الملك المقبل للعراق [477].

أما ابن سعود فلم يكن باستطاعته أن يتمهل في مسألة حائل؛ فالسيطرة عليها ستمكنه من السيادة على الصحراء كلها، بينما يغدو مركزه في الجزيرة العربية في منتهى الحرج والخطورة إذا سيطرت عليها أية عناصر شريفية؛ ولهذا أرسل أخاه محمدا إلى الشمال على رأس قوة من الوهابيين، كان يساعدها فيصل الدويش في الشرق، ونوري الشعلان زعيم عشائر الرولي السورية[478]، بالضغط على واحات الجوف. وكانت هذه العمليات مجرد جس نبض واختبار، أثناء ما كان ونستون تشرشل "وزير المستعمرات آنذاك" يعقد مؤتمرًا في القاهرة؛ لوضع مخطط عام لمستقبل الشرق الأوسط.

وجاء القرار الرئيسي للمؤتمر تنصيب فيصل ملكًا على العراق. إلا أن بطل معركة تربة "الشريف عبد الله" أربك المؤتمرين بحضوره إلى عمان على رأس جيش كبير؛ لمهاجمة الفرنسيين في سوريا، وقد تمكنوا من حمله على التخلي عن هذا المشروع؛ بأن عرضوا عليه إمارة شرق الأردن [479].

وكان هذا الأمر- بالإضافة إلى ثبوت تولي فيصل الحكم في العراق- حافزًا لابن سعود على العمل؛ حيث إنه لم يعد بإمكانه التريث عن أن يفكر جديًّا بالحملة على حائل، فتولى قيادة الجيش بنفسه، وظهر أمام حائل في طريف، بعد تتويج فيصل في بغداد بمدة يسيرة. وهناك طلب أن تتنازل

أسرة ابن رشيد، وأن يضع أعضاؤها البارزون أنفسهم تحت تصرفه، إلا أن وفدًا من الأهلين قابله في معسكره، وأبلغه رفض طلبه، وكذلك فعل عبد الله بن متعب. غير أن عبد الله بن متعب هذا كان على وشك أن يقع في عقاله، ولمواجهة الوضع البائس في الشمال؛ حيث كان الجوف في خطر الاحتلال من قبل نوري الشعلان، أطلق ابن متعب محمد بن طلال من السجن؛ ليقود جيشًا لإنقاذها. ولدى عودة محمد بن طلال إلى حائل، دبر ثورة على ابن عمه الضعيف المتقلب، ففر هذا والتجأ إلى ابن سعود، حيث عاش ضيفًا مكرمًا إلى أن وافته المنية سنة 1367هـ/ 1947م. ويبدو أن ابن سعود عاد إلى عاصمته قبل حدوث التطورات [480].

إلا أن تسيير الأمير محمد بن طلال لدفة العمليات الحربية بعنف وشدة، واتخاذ موقف الهجوم على قطعات جيش الوهابيين، التي كانت تطوق حائل على مسافة قريبة؛ اضطرت ابن سعود لاستئناف أخذ زمام المبادرة، فوصل إلى البقعة شرقي حائل في الثامن من سبتمبر. أي بعد أن أحبط فيصل الدويش وجنده من الإخوان هجومًا قويًّا قام به محمد بن طلال؛ الذي احتفظ بقواته الرئيسية هناك[481].

وقد قام ابن سعود بهجوم شديد على مراكز محمد بن طلال في البقعة، وسقطت الحصون الواحد تلو الآخر؛ ففر محمد إلى حائل عن طريق جبل أجا، ويبدو أنه أدرك بأن وضعه أصبح باعثًا على اليأس؛ فعرض على ابن سعود الاستسلام شريطة أن يبقى أميرًا على جبل شمر، تحت سيادته. إلا أن ابن سعود رفض العرض، وأعد العدة للتشديد في الحصار، وهيأ مدافعه لقصف المدينة، ولكنه بناء على طلب بعض عقلاء المواطنين البارزين الذين طلبوا إليه التوقف؛ فطلب بدوره إلى السلطات البريطانية والملك فيصل لمساعدته. وبعد صبر دام بضعة أسابيع؛ أرسل ابن سعود إنذارًا أخيرًا إلى أصدقائه في المدينة يطلب إليهم التسليم في غضون ثلاثة أيام، وإلا فإنه سيعمد إلى قصفها بالمدفعية[482]. وكان هذا إنذارًا كافيًا لهم جميعًا، سوى محمد؛ فقد تحصن في القلعة ليحارب حتى النهاية، بينما فتحت أبواب المدينة فدخلتها قوات ابن سعود في 1340هـ/ الثاني من نوفمبر سنة 1921م. وسرعان ما أقنعوا محمدًا بالاستسلام ففعل، وسار إلى الرياض، حيث عاش فيها مكرمًا حتى أصبح فيما بعد حمى الملك العظيم، وكان هو آخر أمراء الأسرة التي حكمت حائل مدة تزيد عن التسعين عامًا. وقد قتله أحد عبيده في الرياض عام 1365هـ/ 1945[483]. وقد استلص الباحث في خاتمة الفصل الثالث ما يلي:

أولًا: لقد كانت معركة الرياض التي دخلها الأمير عبد العزيز آل سعود في ليلة الخامس من شوال 1319هـ/ 1902م هي الخطوة الأولى في مسيرة ذلك المؤسس التوحيدية، إذ تمكن من دخولها والقضاء على عجلان أميرها من قبل ابن رشيد، حيث جاء إليها قادمًا من "يبرين" الواقعة بين قطر والربع الخالي. ثم قام الأمير عبد العزيز بتحصين الرياض، وبعدها سارع بالتوجه خارجها حتى يواصل مسيرته. فاتجه أولًا إلى الأقاليم الواقعة جنوبي الرياض ونجح في توحيدها، ثم اتجه إلى الأقاليم النجدية الواقعة شمالي الرياض وأدخلها تحت طاعته، وبعدها توجه إلى المحمل والشعيب والوشم وسدير، إلى أن أصبح على حدود القصيم التي انتزعها من ابن رشيد بمعاونة آل مهنا وآل سليم، وكان من نتائج معارك القصيم وانتصارات الأمير عبد العزيز فيها وانتهاءً بضمه لها؛ أن أدرك العثمانيون فائدة التفاوض معه، ثم اعترافه بالسيادة العثمانية على القصيم، ولكن أدى الخلاف بين الأمير عبد العزيز والعثمانيين إلى انسحاب القوات العثمانية من القصيم.

ثانيًا: جاء التفكير في توحيد الأحساء والقطيف كخطوة تالية بعد توحيد نجد، وذلك ماحدث بالفعل على عهد الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، وكانت تلك المنطقة المسرح الأول لعملياتهم التوحيدية خارج الأقاليم النجدية، ويعد ذلك أمرًا طبيعيًّا حيث إنه من المنطق أن يهتم القادة بتوحيد مركز حركتهم أولًا، ثم يتجهون لضم غيرها من الأقاليم المجاورة ثم الأبعد وهكذا، وهناك سبب آخر جعل القادة يفكرون في ضم الأحساء والقطيف؛ تمثل في أن حكام الأحساء والقطيف هم من بدءوا بالهجوم على الأراضي السعودية؛ فما كان من الأمير عبد العزيز إلا أن طلب مساعدة من السلطات البريطانية تمكنه من استعادة الأحساء والقطيف، على اعتبار أن المنطقة كانت جزءًا من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، وأن العثمانيين هم الذين انتزعوعها من الحكم السعودي حيلة؛ لذلك رأى أنه من حقه إعادة ضمها إلى ملكه

ثالثًا: إن دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام 1914 حول المنطقة إلى ساحة حرب؛ لأن القوات البريطانية احتلت شمال العراق، وترتب على ذلك محاولة كل فريق كسب ولاء وتأييد دول المنطقة لصفه، وكانت الردود متباينة وليست موحدة؛ فمنهم من انحاز للبريطانيين مثل حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح، ومنهم من انحاز للجانب العثماني مثل أغلب قبائل جنوب العراق والأمير سعود بن عبد العزيز حاكم حائل، وكذلك كان هناك المحايدون مثل حاكم نجد الأمير عبد العزيز آل سعود، وأدت هذه المواقف المتباينة إلى زيادة التوترات في العلاقات بين تلك القوى المحلية التي كانت أصلًا مضطربة ومتغيرة، إلا أن العلاقات بين الرياض والكويت بدأت في

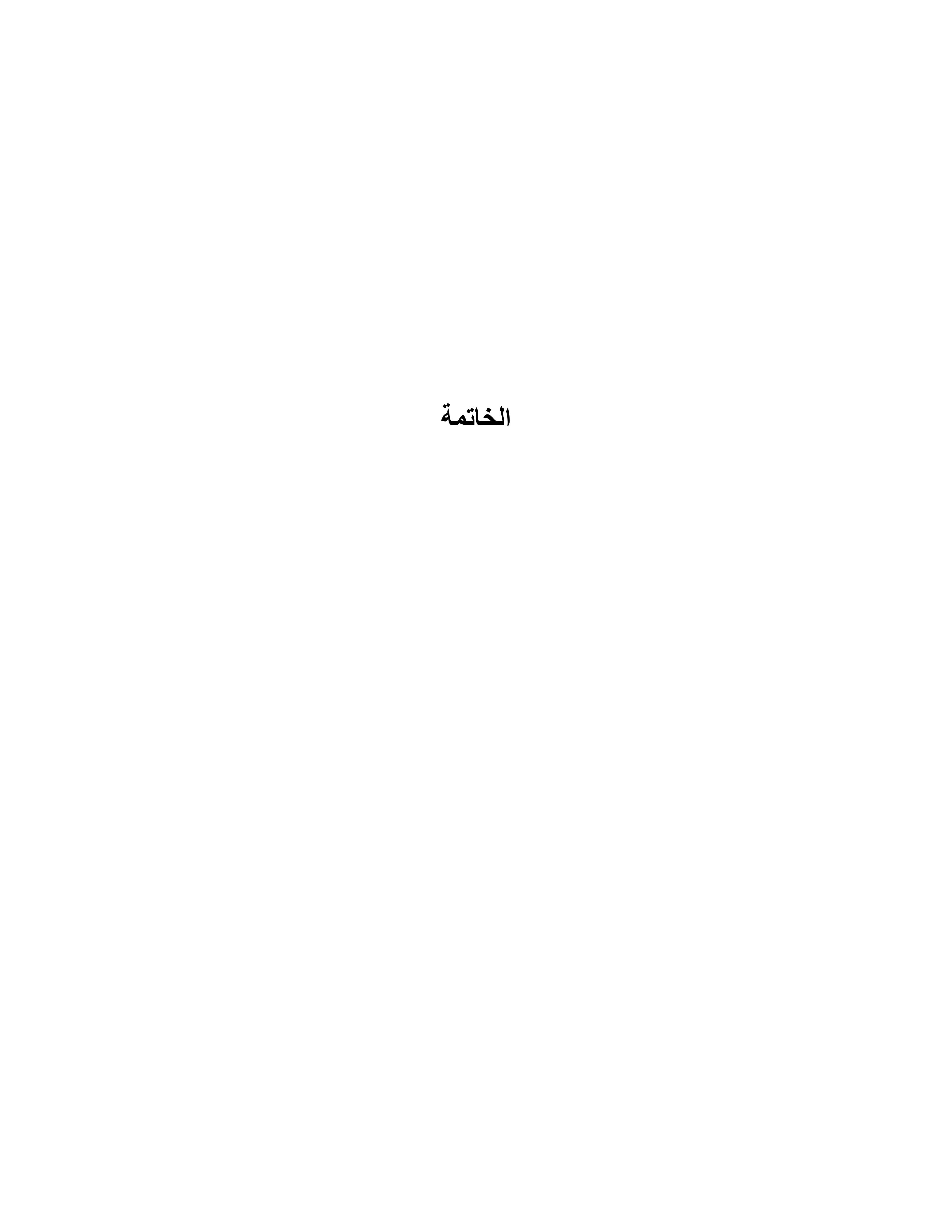
التحسن لاسيما بعد موت الشيخ مبارك ومجيء الشيخ جابر، وكذلك أزال موت عبد العزيز بن رشيد القلق الشديد الذي كان يساور الأمير عبد العزيز ابن سعود على استقرار حكمه حتى الحدود الشمالية للقصيم

رابعًا: لقد كان دور الكويت وخاصة الشيخ مبارك الصباح في غاية الأهمية بالنسبة لعبد العزيز ابن سعود؛ حيث إن الكويت كانت الملاذ الآمن له بعد خروجه من الرياض – وإن كان حاكم الكويت حينئذ لم يقبل بمجيئه في بدء الأمر، ربما بإيعاز من الدولة العثمانية، لكنها أدركت فيما بعد أن وجوده في تلك الدولة أكثر أمنا لها وذلك للتعرف على نواياه أولا بأول، فاستقبلته وصرفت له راتبًا شهريًّا ورحب به أيما ترحيب وجمع شمل أسرته هناك. وبعد تولي الشيخ مبارك بن صباح توترت العلاقات بين شيخ الكويت والأمير عبد العزيز ابن رشيد؛ زاد على إثره شيح الكويت من تأييده للأمير عبد العزيز بن سعود، بل وإمداده بالركاب والأسلحة والمؤن؛ فخرج من الكويت ومعه عدد من أقاربه ومؤيديه على قلة عددهم، فقام بعدة غزوات كانت النواة الأساسية لكل الحروب والمعارك التي خاضها وانتصر فيها بعد ذلك، وكانت سببًا في قيام الدولة السعودية الثالثة في النهاية.

خامسًا: لقد ظهرت حنكة ابن سعود السياسية بالإضافة إلى حنكته العسكرية؛ ففي الوقت الذي اشتعلت فيه الحركة الوطنية ضد الأتراك خاصة في سوريا وفي العراق بعد ثورة 1908 م، فقد حاولو اجتذابه لصفهم ليكون القوة المرجحة لهم ضد الحركة الوطنية في البلدان الواقعة علي الحدود؛ لذا أرسل سليمان شفيق باشا والي البصرة ليتأكد من وضع الزعيم الوهابي، ولطلب مشورته بصدد أفضل الطرق في معالجة الوضع العام. وكان جواب الأمير الوهابي المدون شيقًا بلا شك، لأنه كان أول أطروحة له في ممارسة السياسية. فبعد مقدمة خاصة أنحى فيها باللوم المحق على الأتراك أنفسهم، معتبرًا إياهم السبب في المتاعب التي ضيقت عليهم في كل جزء من الإمبراطورية العربية، وأنهم كانوا قانعين بأن يصبحوا حكامًا دون أن يعرفوا مسئولية الحكام في التفكير بمصلحة رعاياهم. فإذا نشدوا السلاح في الجزيرة العربية ليتفرغوا لمعالجة متاعبهم الداخلية؛ يكون عليهم أن يتوصلوا إلى تفاهم مع العرب على أسس من الحرية والرضا. كما يجب عليهم أن يجمعوا جميع زعماء العرب: صغيرهم وكبيرهم، بدون تمييز في مؤتمر عام، وفي مكان لا يخضع للإرادة العثمانية؛ حتي يكون هناك مجال لحرية الكلام المطلقة.

سادسًا: إن هناك ضعفًا في جوهر المجتمع الصحراوي؛ لإنه وأن كان أهلًا للأعمال البطولية بدافع قضية كبرى أو تأثير شخصية عظمى، فهو – فطريًّا- يعجز عن الحفاظ لأمد غير محدود، على النظم الضرورية لتطوير ثمار النصر للصالح العام. فالقبائل الصحراوية والدول الدينية كانت -على السواء - واقعة تحت تأثير شعور من الولاء المحلي أو القبلي الذي تغلب على شعور الوطنية، والمشاعر العامة الضرورية لإقامة دولة يسودها النظام، وهذا هو الضعف الذي وجد ابن سعود نفسه مضطرًا لإيجاد علاج له. فتاريخ أسرته جعل من الدين العنصر الأساسي لهذه الدولة. ولاشك بأنه وأباه كانا وهابيين صادقين مخلصين، إلا أنه في أواخر القتال الضاري الذي دار في تلك السنين الخوالي يعوزنا أي تاريخ مسطور يدل علي الناحية الدينية في عملياتهما الحربية. ومع ذلك يمكن الافتراض أن فكرة نهضة وهابية أخرى كانت تختمر في رأس ابن سعود كعامل سياسي يستفيد منه.

سابعًا: واجه ابن سعود صعبات كثيرة وعقبات كئود في سبيل العبور ببلاده لبر الأمان، وقد تمثلت بعض هذه العقبات في النزاعات الداخلية بين القبائل "البدو" فيما بينهم، وكذلك بعض الإمارات أو القرى المتجاورة، كذلك الصراعات والأخطار الخارجية والتي تمثلت في الحروب مع ابن رشيد، وكذلك الدولة العثمانية وأطماعها في المنطقة، وأيضا القوات البريطانية وخاصة مع الحرب العالمية الأولى، ومما زاد في متاعب ابن سعود أن جميع البلاد التي كان يحكمها محرومة تمامًا من أية موارد طبيعية مهما كان نوعها؛ فمحصول التمر في دولته لا يكاد يكفي حاجات سكان البلاد، لابدوهم ولا حضرهم. وأما محصول القمح فقليل يحتاج إلى إمدادات من الحبوب تستورد من الخارج مثل الأرز. وكان ابن سعود أول من عمم استعماله كطعام رئيسي للطبقات الثرية.. وكان السكان الحضر يعتمدون كلية على مصادر ما وراء البحار في لباسهم، بينما اكتفى البدو بما يحيكونه محليًّا من أدثرة. وكانت اللحوم والحليب والسمن وافرة في سنوات الخير. ولكن أكل اللحوم كان يعتبر نوعًا من الرفاهية بين البدو مع أنهم يربون الأغنام. أما بيع الحليب فهو في نظرهم عار وسبة؛ فهم يمخضونه ليعرضون السمن وحده للبيع في السوق. وكانت تربية الجمال



الخاتمة

تناول هذا البحث العلاقات بين آل سعود وآل رشيد، ولقد رأينا تطور هذه العلاقات والأطوار التي مرت بها، والحروب الطاحنة التي وقعت بين الجانبين، وكذلك الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الواحدة؛ سواء أسرة آل سعود، أو أسرة آل رشيد، وكيف كان يرى كل منهم أنه الأولى بالحكم من غيره. إن العلاقات بين آل رشيد وآل سعود قد اتسمت بالتقلب بين الوفاق والعداء، ولقد كان البادئ بالعداء هم آل رشيد؛ حيث استغلوا الصراع الناشب داخل البيت السعودي، وقاموا بتوسعاتهم على حساب أراضي الدولة السعودية الثانية، ثم نجاحهم في القضاء على الدولة السعودية الثانية 1308هـ / 1891م، ورحيل آل سعود إلى الكويت. ثم رأينا دور الأمير عبد العزيز آل سعود وشنه همجات على آل رشيد؛ حيث رجحت كفة عبد العزيز آل سعود مستغلًّا حالة الانقسام التي نشبت كذلك في بيت آل رشيد، وأخيرًا انتهى الأمر بسيطرة عبد العزيز على حائل عاصمة آل رشيد بصورة نهائية عام 1339هـ / 1921م. وقد استخلص الباحث في الخاتمة مايلي:

أولًا: لقد قامت العلاقة بين آل رشيد وآل سعود في عهد التأسيس على دعائم قوية وثابتة، واختلفت عن أية علاقة أخرى بين الإمام فيصل بن تركي وأي من حكام الأقاليم النجدية الأخرى، حيث جمعت هذه العلاقة بين مشاعر الود والصداقة التي يكنها كل منهما للآخر، وبين الشعور بأن كلًّا منهما قد خدم صاحبه خدمة جليلة، كما توثقت هذه العلاقة بالمصاهرة بين الأسرتين؛ فقد تزوج عبد الله بن علي بن رشيد بالجوهرة ابنة الإمام تركي بن عبد الله، وتزوج ابنه طلال من الجوهرة ابنة الإمام فيصل بن تركي، وتزوج عبد الله ابن الإمام فيصل من نورة بنت عبد الله بن رشيد، ثم من ابنة عمها طريفة بنت عبيد ابن رشيد، ولما توفي عنها تزوجها شقيقه محمد بن فيصل بن تركي مرة أخرى.

ثانيًا: إن مبدأ الصراع من أجل السلطة والوصول إلى الحكم كان سمة غالبة على معظم الأمراء وشيوخ القبائل- إن لم يكن جميعها- حتى إن القبائل القريبة في المدينة الواحدة كانت تغير على بعضها، وكذلك كل إمارة كانت تستغل فترة ضعف الإمارة الأخرى وتنقض عليها؛ لتوسيع نفوذها وملكها ولقد كانت فكرة الصراع بين الأمراء على السلطة؛ تعميهم عن صلة القرابة – مهما كانت؛ فنجد الأمير يقتل أبناء أخيه، والأبناء يقتلون أعمامهم أو أخوالهم، وكذلك لا يتوانى الأخ عن قتل أخيه في سبيل الوصول إلى السلطة أو الملك؛ فلا عجب أن رأينا مثلًا صراعًا بل قتالًا يدور بين آل رشيد وآل سعود، برغم المصاهرة والأنساب بينهما.

ثالثًا: الدور الكبير الذي قام به الأمير عبد الله بن الرشيد؛ ومساعدته لفيصل بن تركي الذي هرب من مصر؛ فاتجه إلى شمر حيث صديقه القديم عبد الله بن الرشيد الذي رحب به كل الترحيب وأيده، وبذل كل ما في وسعه للوقوف بجوار صديقه، فأسرع عبد الله بمبايعة فيصل وصارا نحو الرياض؛ وقد كان النصر في نهاية المطاف للإمام فيصل بفضل دعم عبد الله بن الرشيد له، وكانت مكافأة فيصل لابن الرشيد أن ولَّاه إمارة جبل شمر التي كان يطمح إليها - دون شك- وذلك لرسوخ مكانته. تلك المكانة الخاصة لعبد الله بن الرشيد عند فيصل بن تركي كانت ردًّا لخدماته وقت المحنة، ونتيجةُ ذلك أمران أولهما: أن عبد الله بن رشيد كان يتصرف بنوع من الاستقلال النسبي في مهاجمة القبائل، وقد كان يحتفظ بأثر الغنائم المترتبة على تلك التحركات العسكرية. والأمر الثاني: أن ابن رشيد كان يُصرَف له ثلث زكاة جبل شمر.

رابعًا: إن وفاة القائد والمؤسس غالبًا ما يتبعها فتن داخلية وصراعات خارجية، وقد حدث ذلك عند وفاة الإمام فيصل؛ حيث – داخليا – حدث تمزق للبيت السعودي بسبب التنازع بين أبنائه على الحكم، وكان كل منهم يرى أنه الأجدر من غيره بالحكم والسلطة، وكان ذلك سببًا في الصراعات الخارجية؛ والتي تمثلت في سيطرة بيت آل رشيد على نجد، وسيطرة العثمانيون على الأحساء؛ فخرج آخر أئمة آل سعود ليعيش لاجئًا في الكويت، ولقد كان السبب الأول في تلك الفتنة منذ البدء هو سعود ابن الإمام فيصل؛ وذلك بعد موت أبيه مباشرة ورفعه راية الثورة والانتفاض، واستغلت القبائل ذلك الصراع بذكاء – لمصلحتها – كأداة للانفصال عن الرياض؛ فشجعت معظم القبائل الكبيرة الفتنة، ومنهم من تحالف مع سعود ومنهم من تحالف مع أخيه عبد الله.

خامسًا: كانت معركة "المعتلا" بين سعود بن فيصل وأخيه عبد الله بن فيصل حدًّا فاصلًا؛ حيث إن نتائجها العسكرية كانت انتصار عبد الله. أما نتائجها الأخرى فقد تمثلت في أنها كشفت لعبد الله عن أعدائه الكامنين؛ فصمم على تأديبهم، وكذلك أجرى تعديلات في دولته؛ حيث عزل الضعفاء والمولين لأخيه سعود، وولى من هم أفضل وأكثر إخلاصا له. ولكن ظلت أسباب التوتر قائمة بين الطرفين إلى أن جاءت معركة الأحساء؛ والتي كان النصر فيها حليف سعود بن فيصل، وتبع ذلك انفصال الأحساء وحرمان الرياض من طرق التموين الشرقية؛ فكانت تلك هي الضربة القوية الأولى التي مهدت بعد ذلك لسعود الانتصار على أخيه في المعارك التالية؛ إلى أن تمت له السيطرة على الرياض وفرار أخيه عبد الله منها. وكان هدف الدولة العثمانية من احتلال الرياض من سعود بن فيصل هو إقرار السيادة العثمانية على الأحساء- كما أعلنوا-، وأنهم سيعملون على إعادة عبد الله

بن سعود إلى الحكم برتبة قائمقام، وأن الدولة العثمانية سوف تعين ولاة وقضاة للمقاطعات، وستحدد الضرائب التي ستأخذها من رعاياها بالزكاة الشرعية، وقامت بتأمين الأحساء بالقوة العسكرية من الجنود والخيالة وبعض السفن الحربية؛ لقمع أي اضطراب في المنطقة.

سادسًا: استغلال كل طرف الأمة لصالحه؛ ولقد ظهر هذا المبدأ جليًّا عندما استغل محمد بن عبد الله بن رشيد - الذي كان يحكم إمارة حائل – الفتنة، ووسع إمارته فشملت الجوف ووادي سرحان ثم القصيم، ومن بعدها المجمعة وسدير عام 1882م ، وكذلك ظهر دور آل رشيد في التدخل منذ بدء الخلاف بين آل أبي الخيل وآل مهنا، وتحالف ابن الرشيد مع ابن مهنا، وزحفا إلى الزلفى؛ فانسحب عبد الله ومن معه من ضرما إلى الرياض، فدخل ابن الرشيد المجمعة، وكانت بعد فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد، ثم بعدها حدثت وقعة الحمادة وانتصر فيها أيضا ابن الرشيد؛ فكانت الخطوة الثالثة في استيلائه على نجد.

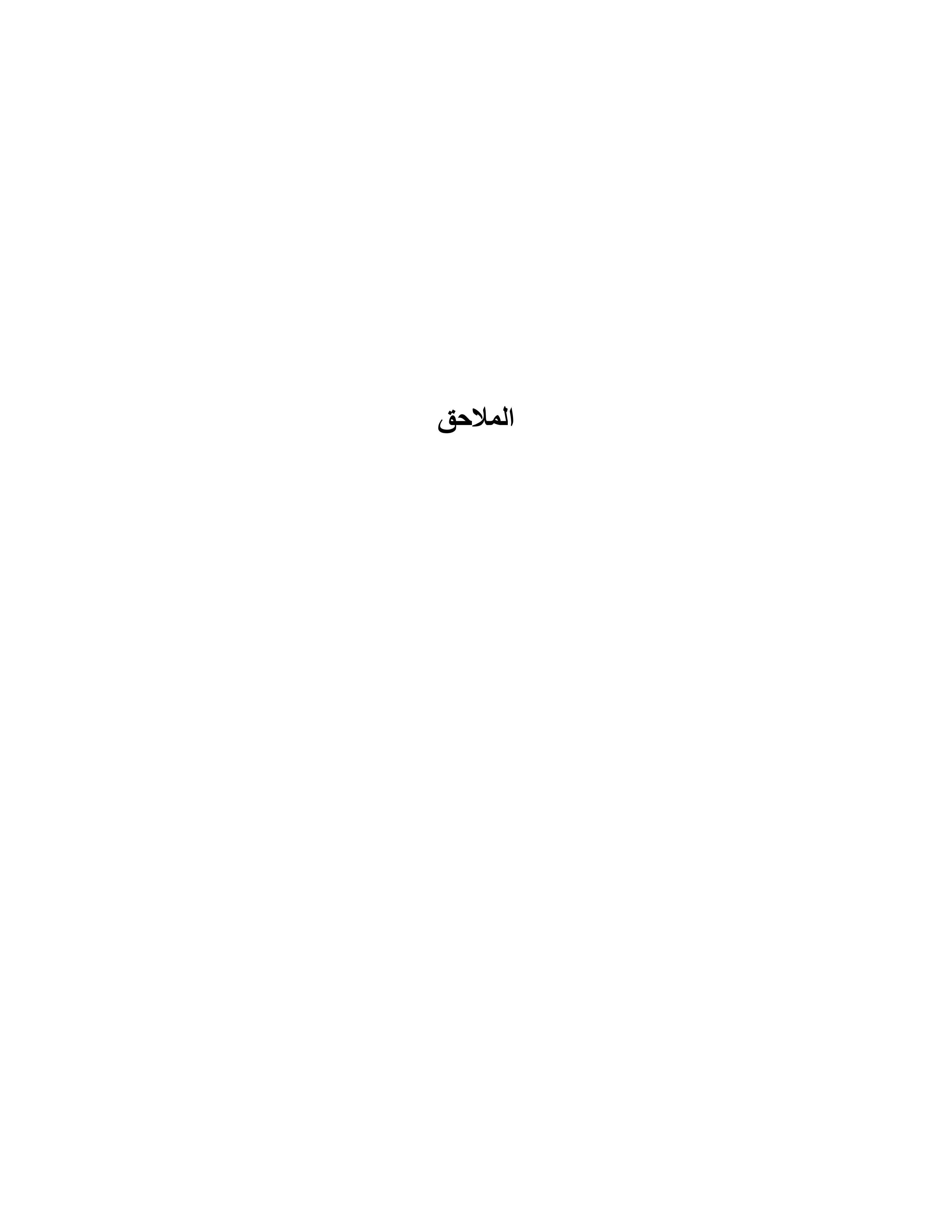
سابعًا: أدت الحروب التي شملت نجد وامتدت خارج حدودها إلى حالة من الفوضى دامت لأكثر من ثلاثين عاما، وكانت هذه الحروب بسبب تحالفات القبائل المؤيدة لسعود، والقبائل المؤيدة لعبد الله؛ مما أدى إلى عودة روح العداء التقليدي بين الجماعات البدوية والحضرية، وظهرت قوة سياسية جديدة ضمت جميع نجد وإقليم الجبل. ثم تمكن العثمانيون من مد نفوذهم العسكري في الأقاليم الشرقية من نجد؛ مما جعل بريطانيا تنظر إلى الأمر نظرة جادة، حيث أرسلت الكولونيل "بلي" إلى البحرين، وهناك جدد تأكيدات بريطانيا حول موضوع الحماية التي أعلنتها على البحرين عام 1861. وكان نتيجة ذلك أن حدث احتكاك مسلح بين مبارك آل صباح حاكم الكويت وبين آل رشيد؛ نظرا لأن آل سعود قد اتخذوا من الكويت قاعدة للهجوم على نجد؛ ومن هنا أصبحت الكويت مركز الاهتمام في المنطقة بأسرها، وصارت نقطة رئيسة في المشروع الاقتصادي "سكة حديد برلين - بغداد" وردت بريطانيا بالتعهد للكويت بالحماية ضد أي اعتداء خارجي. وكذلك واقعة الصريف عام1901م؛ نتيجة الاحتكاك الرشيدي الكويتي السعودي، وقبلها وفي عام1869م قام عزان بن قيس بانتزاع البريمي؛ بسبب انشغال عبد الله بحروب أخيه، وبسبب الانقسامات و تمرد القبائل وانفصال بعضها.

ثامنًا: لقد كانت معركة الرياض التي دخلها الأمير عبد العزيز آل سعود في ليلة الخامس من شوال 1319هـ/ 1902م هي الخطوة الأولى في مسيرة ذلك المؤسس الوحدوية، ثم اتجه إلى الأقاليم

النجدية الواقعة شمالي الرياض وأدخلها تحت طاعته، وبعدها توجه إلى المحمل والشعيب والوشم وسدير، إلى أن أصبح على حدود القصيم ثم ضمها، وبعد ذلك جاء التفكير في توحيد الأحساء والقطيف كخطوة تالية بعد توحيد نجد.

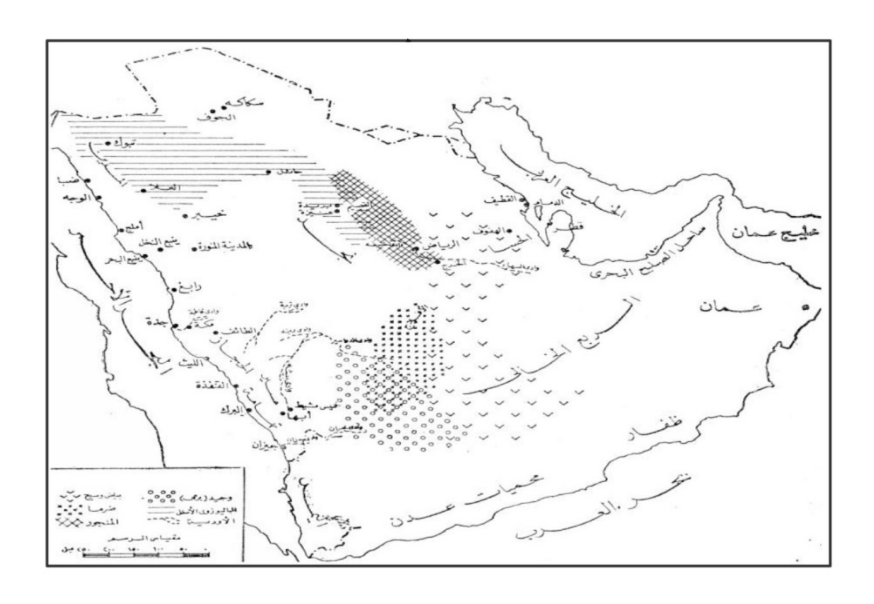
تاسعًا: لقد كان دور الكويت وخاصة الشيخ مبارك الصباح في غاية الأهمية بالنسبة لعبد العزيز ابن سعود؛ حيث إن الكويت كانت الملاذ الآمن له بعد خروجه من الرياض، فاستقبلته وصرفت له راتبًا شهريًّا ورحب به أيما ترحيب وجمع شمل أسرته هناك. وبعد تولي الشيخ مبارك بن صباح توترت العلاقات بين شيخ الكويت والأمير عبد العزيز ابن رشيد؛ زاد على إثره شيح الكويت من تأييده للأمير عبد العزيز بن سعود، بل وإمداده بالركاب والأسلحة والمؤن؛ فخرج من الكويت ومعه عدد من أقاربه ومؤيديه على قلة عددهم، فقام بعدة غزوات كانت النواة الأساسية لكل الحروب والمعارك التي خاضها وانتصر فيها بعد ذلك، وكانت سببًا في قيام الدولة السعودية الثالثة في النهاية.

عاشرًا: لقد ظهرت حنكة ابن سعود السياسية بالإضافة إلى حنكته العسكرية؛ ففي الوقت الذي اشتعلت فيه الحركة الوطنية ضد الأتراك خاصة في سوريا وفي العراق بعد ثورة 1908 م، فقد حاولو اجتذابه لصفهم ليكون القوة المرجحة لهم ضد الحركة الوطنية في البلدان الواقعة علي الحدود؛ لذا أرسل سليمان شفيق باشا والي البصرة ليتأكد من وضع الزعيم السلفي، ولطلب مشورته بصدد أفضل الطرق في معالجة الوضع العام. وكان جواب الأمير السلفي المدون شيقًا بلا شك، لأنه كان أول أطروحة له في ممارسة السياسية. ولقد واجه ابن سعود صعبات كثيرة وعقبات كئود في سبيل العبور ببلاده لبر الأمان، وقد تمثلت بعض هذه العقبات في النزاعات الداخلية بين القبائل "البدو" فيما بينهم، وكذلك بعض الإمارات أو القرى المتجاورة، كذلك الصراعات والأخطار الخارجية والتي تمثلت في الحروب مع ابن رشيد، وكذلك الدولة العثمانية وأطماعها في المنطقة، وأيضا القوات البريطانية وخاصة مع الحرب العالمية الأولى، وحرمان البلاد التي كان يحكمها من أية موارد طبيعية مهما كان نوعها؛ فمحصول التمر في دولته لا يكاد يكفي حاجات سكان البلاد، لابدوهم ولا حضرهم. وكذلك محصول القمح والأرز. وكان السكان الحضر يعتمدون كلية على مصادر ما وراء البحار في لباسهم، بينما اكتفى البدو بما يحيكونه محليًّا من أدثرة.

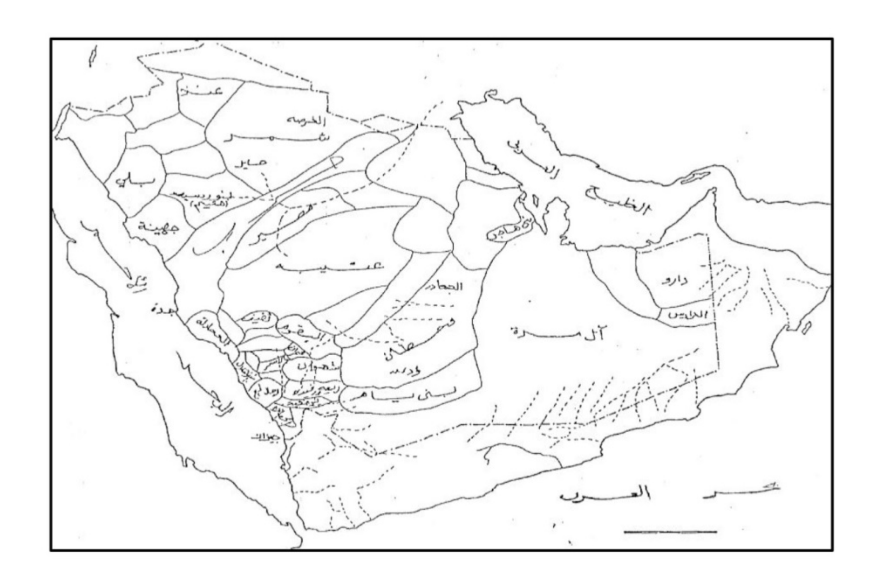


الملاحق

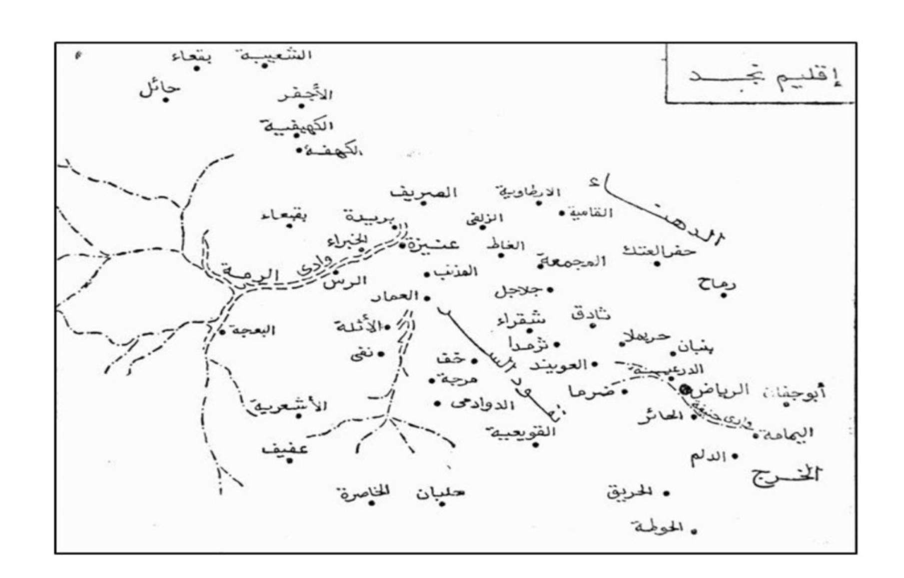
ملحق الخرائط



خريطة رقم (1) شبه الجزيرة العربية
نقلًا عن: محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية



خريطة رقم (2) القبائل في شبه الجزيرة العربية



خريطة رقم (3) إقليم نجد

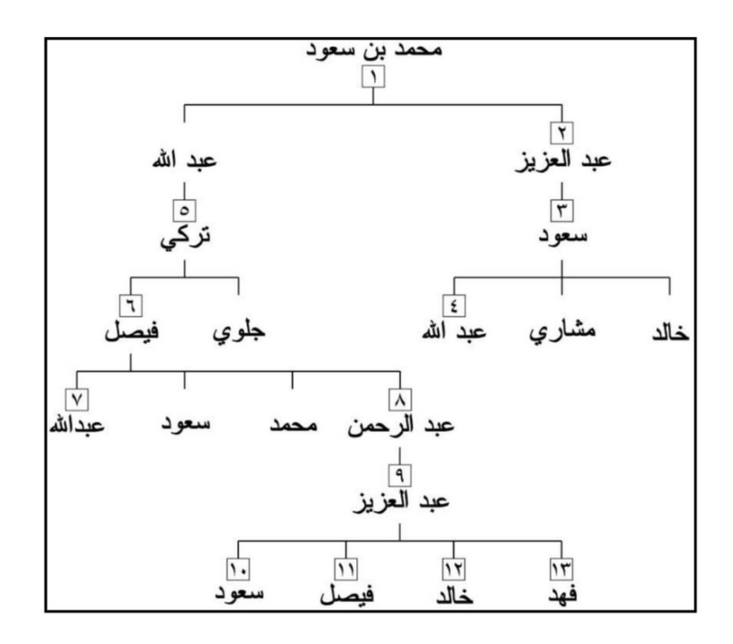


خريطة رقم (4)
إمارة آل رشيد في أقصى اتساع لها

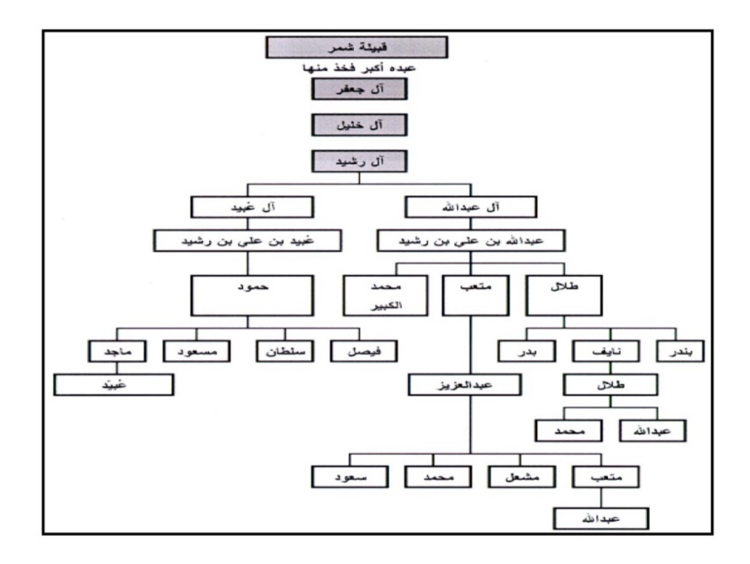
نقلًا عن:

https://ar. wikipedia. org/wiki/%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A D8%AC%D8%A8%D9%84_%D8%B4%D9%85%D8%B1%_9

ملحق الصور والأشكال



شكل (1)
نسب آل سعود



شكل (2)
نسب آل رشيد



صورة (3)
الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

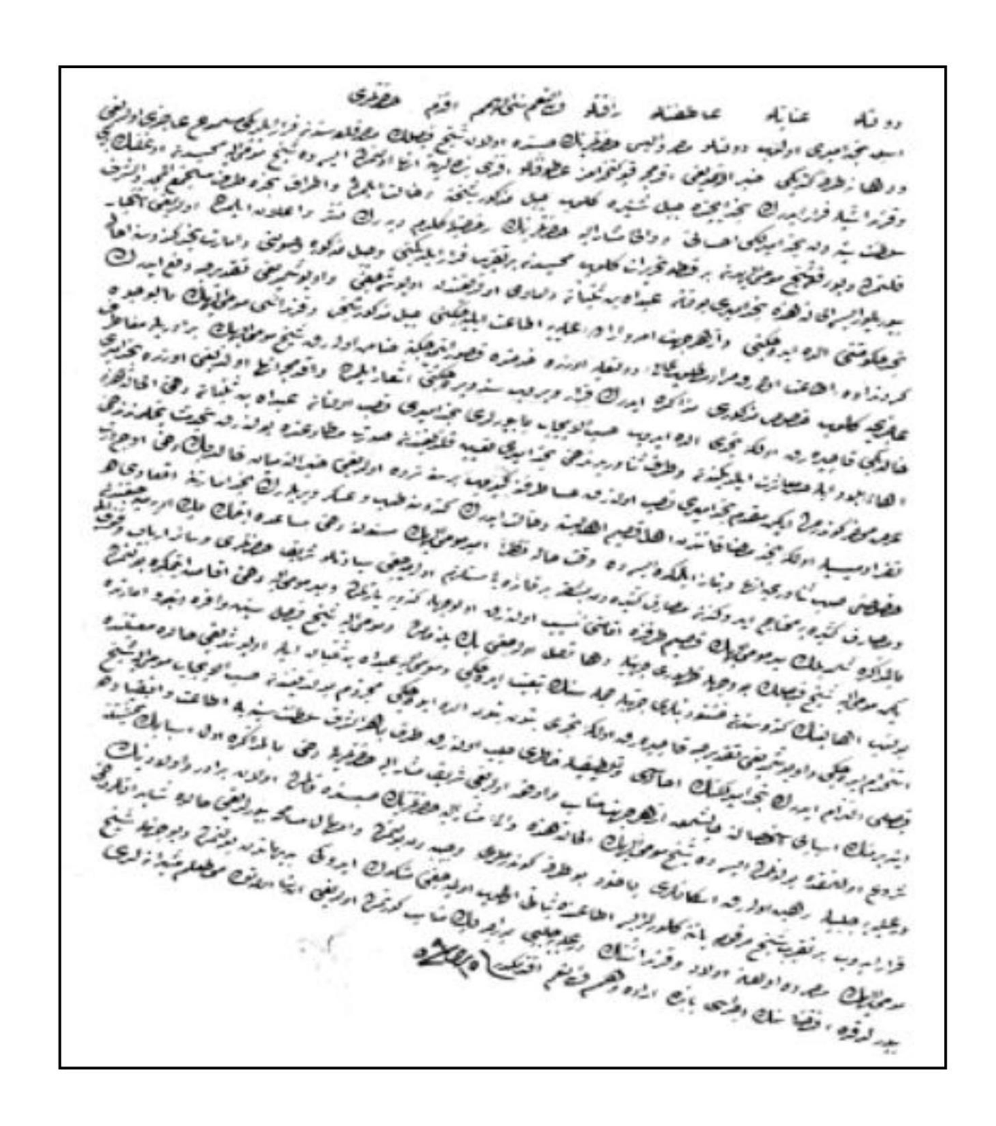


صورة (4)
الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد

وثيقة رقم (1)

رسالة الأمير عبد الله بن ثنيان إلى والي جدة، مرفق بها شكوى الوجهاء والأمراء من الأمير خالد بن سعود

نقلًا عن: ناصر محمد الجهيمي: عودة الأمير فيصل بن تركي، ص 37.



وثيقة رقم (2)

معروض والي جدة حول وصول الأخبار بفرار الإمام فيصل بن تركي من سجنه

بالقاهرة ووصوله إلى جبل شمر، وأنه طلب من الأهالي المساعدة

الأرشيف العثماني: تصنيف Irade Mesail-L Muhimme 1798

وثيقة رقم (3)

رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى والي جدة مع أحمد السديري

الأرشيف العثماني: I. Mec. muh. 2437

وثيقة رقم(4)

تحركات الأمير عبد الرحمن بن فيصل في عام عام 1308هـ/1891م

نقلًا عن: ناصر بن محمد الجهيمي: تحركات الأمير عبد الرحمن بن فيصل، ص 60-61.

R/15/5/25 II 188

ولدنا العزيز دمت بخير وعز وسرور

الذي يلزمك واصلتك هل اعرفنا التي بالورقه ثم مضمونها اجابتنا من [illegible]
كرنل كاكس الذي الآن في [illegible] ناظر خارجية الدولت البهيه وهو الرجل المعلوم اول اذ انه محب
لنا ولك والان زمام الامور بيده وانت الله يسلمك هل اعرف اقراها بالدفر الثانيه
وتميزات الله معاتبها وبشما هو ذاكر لك اسباب هذه الحرب هو من حركات الجرمن
واغوا الترك معهم الله يذلهم جميعهم والاباوليا افكار الجرمن يسلط الترك
علينا وعليك وعلى جميع العرب وانت تعرف عداوة الترك للعرب ظاهره والله
سبحانه رحم العرب والاسلام بوجود الدولت البهيه الانكليز بهما الذي محافظين
على الاسلام الذي عندهم بالهند وبخيار الاسلام العرب ومنهم انا وانت وانت
وتبعك وعموم العرب زاجنا الله يسلمك في هيبة الله ثم هيبة الدوله البهيه
ما نعمنا وهذا امر شاهدناه وانا وانت والعرب جميعهم ان الله [illegible]
يلزمنا ان نحافظ على الصداقه مع الدولت البهيه اذا ما ساعدناهم لعرض عن التداخل
الان نميل لهم ولا نقبل ان نسمع لطوارهات الجرمن الباطله ويلزمنا ان نسعوا ارادة
الدولت البهيه باستراحتنا ويلزمنا انا ناشكر الدولت البهيه لان يا ارادة الدوله
البهيه هي غنيه عن مساعدتنا لاكن نحنا انا وانت ما جنا غنيين عنها الحنا
وصلاحنا بالله ثم فيهم والذي عندهم الله [illegible] وهم الترك والذين يقودهم
الجرمن الله يذلهم والدولت البهيه وحلفائها الان هم الغالبين وبعيدنا الله
يذهبون الجرمن وهذه العبارات الحسنه الذي جاتنا من كرنل كاكس هي هم من [illegible]
الدوله البهيه يبينون مقاصدهم الحسنه بنا وبعموم الاسلام والالهم راغبه في
حرب الترك الا اذا الترك يعملون بالحرب ويبين منهم فصل نحين اذن يذهبون
الترك ويتولون على الممالك التي للترك ويمكن ان هذي عقوبة من الله على الترك
من سوء نياتهم بالعرب فما ويا ولدي الله يسلمك انا وانت يلزمنا اتباع نظر الدوله
البهيه لاجل صلاحنا وهو الواجب منا —

وثيقة رقم (5)

رسالة من الشيخ مبارك أمير الكويت يطلب من الأمير عبد العزيز بن سعود

إعلان الحرب على الدولة العثمانية والوقوف إلى جانب إنجلترا

نقلًا عن: تركية بنت حمد الناصر: موقف الأمير عبد العزيز من الحرب

العالمة

الأولى، ص 260.

أمر ملكى (1)

رقم ٢٧١٦

بعد الاعتماد على الله وبناء على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا فى مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ونزولا على رغبة الرأى العام فى بلادنا وحبا فى توحيد اجزاء هذه المملكة العربية أمرنا بما هو آت:

المادة الاولى — يحول اسم «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» الى «اسم المملكة العربية السعودية» ويصبح لقبنا بعد الآن «ملك المملكة العربية السعودية»

المادة الثانية — يجرى مفعول هذا التحويل اعتبارا من تاريخ اعلانه.

المادة الثالثة — لا يكون لهذا التحويل اى تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية التى تبقى على قيمتها ومفعولها وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الافرادية بل تظل نافذة.

المادة الرابعة — سائر النظامات والتعليمات والاوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل.

المادة الخامسة — تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء فى الحجاز ونجد وملحقاتها على حالها الحاضر موقتا الى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد.

المادة السادسة — على مجلس وكلائنا الحالى الشروع حالا فى وضع نظام أساسى للمملكة ونظام لتوارث العرش ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها علينا لاستصدار اوامرنا فيها.

المادة السابعة — لرئيس مجلس وكلائنا ان يضم الى أعضاء مجلس الوكلاء اى فرد أو افراد من ذوى الرأى حين وضع الانظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستنارة بمعلوماتهم.

المادة الثامنة — اننا نختار يوم الخميس الواقع فى ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ الموافق اليوم الاول من الميزان يوما لاعلان توحيد هذه المملكة العربية ونسأل الله التوفيق

صدر فى قصرنا فى الرياض فى هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١

(التوقيع) عبد العزيز

بامر جلالة الملك

نائب جلالته

فيصل

وثيقة رقم (6)

المرسوم الملكي بتحويل المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها إلى اسم المملكة العربية السعودية

نقلًا عن: جريدة أم القرى: السنة التاسعة، العدد 406، مكة المكرمة، 22 جمادى الأولى 1351هـ.



قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

- إبراهيم بن صالح بن عيسى: **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م.

- الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، جـ1، ص84، 1410هـ/ 1990م.

- حسين بن غنام: **تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام لِمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"**، حققه وحرره ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دارالشروق، القاهرة، ط4، 1415هـ/1994م.

- سليمان بن سحمان: **الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق**، رئاسة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، 1971م.

- ضاري بن فهيد آل رشيد: **نبذة تاريخية عن نجد**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م.

- عثمان بن عبد الله بشر النجدي: **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج2، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الأمير عبد العزيز، الرياض، ط4، 1402هـ/1982م.

- عبد الرحمن بن قاسم النجدي: **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، الجزء السابع، ط5، د. ن، الرياض، 1416هـ/1995م.

- على الهندي: **زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل**، جدة، د. ن، 1380هـ.

- محمد بن عمر الفاخري: **تاريخ الفاخري،** دراسة وتحقيق وتعليق، عبد الله بن يوسف الشبل، دارة الأمير عبد العزيز، الرياض، ط2، 1419هـ/1999م.
- محمد بن عبد القادر الأحسائي: **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء،** علق عليه حمد الجاسر، مطابع الرياض، الرياض، ط1، 1379هـ/1960م.
- محمد بن منظور: **لسان العرب،**تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

ثانيًا: المراجع العربية:

- أحمد عبد الغفور عطار، **صقر الجزيرة**، الجزء الأول، مطعبة الحرية، بيروت، 1365هـ/1946م.
- أمين الريحاني: **تاريخ نجد وملحقاته**، دار الريحاني لطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1954م.
- أمين سعيد: **تاريخ الدولة السعودية**، الجزء الثاني، بيروت، ط1، 1358هـ.
- جمال زكريا قاسم: **الخليج العربي**، دار الفكر العربي، ط1، 1973م.
- جلال يحيى: **المدخل إلى التاريخ العربي الحديث**، دار المعارف، القاهرة، 1967م.
- حسين خلف خزعل: **تاريخ الكويت السياسي**، ج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1962م.
- حميد حمدون السعدون: **إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق 1546-1918م**، دار الأوائل، عمان، ط1، 1419هـ/1999م.
- حمد الجاسر: **المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: المنطقة الشرقية**، دار إلى مامة بالرياض، 1399هـ.
- حافظ وهبة: **جزيرة العرب فِي القرن العشرين**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط3، 1375هـ/1956م.
- خير الدين الزركـلي: **شبه الجزيرة في عهد الأمير عبد العزيز**، ج1، طـ3، بيروت 1985م.

- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين،** 8 أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1422هـ/ 2002م.
- فتحي محمد أبو عيانة: **جغرافية الوطن العربي،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011م.
- سعود بن هذلول ، **ملوك آل سعود،** مطابع الرياض، الرياض، ط1، 1380هـ/1961م.
- سيف الدين شملان: **تاريخ الكويت،** ط1، د. م، 1378هـ/1959م.
- صلاح العقاد: **التيارات السياسية في الخليج العربي،** المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د. ط، 1413هـ/ 1993م.
- صلاح الدين المختار: **المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها،** ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975.
- فهد المارك: **من شيم العرب،** ط1، بيروت 1386هـ/1967م.
- فؤاد حمزة ، **قلب جزيرة العرب،** مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 1424هـ/2003م.
- زكريا قورشون: **العثمانيون وآل سعود في الإرشيف العثماني (1745-1914)،** الدار العربية لموسوعات، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م.
- عباس العزاوي: **عشائر العراق،** مكتبة النهضة، بغداد، د. ت
- عبد الكريم غرابية: **مقدمة تاريخ العرب الحديث،** الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. 1، د. ت.
- عبد الله الصالح العثيمين: **نشأة إمارة آل رشيد،** عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ط1، 1401هـ/1981م.
- **معارك الأمير عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد،** ط 2، الرياض، 1416هـ/1996م.

- **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م.
- عبد الله بن مصلح النفيعي: **إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية** -رؤية غربية، د. ن، الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م.
- علي الوردي: **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج5، د. ن، ط1، بغداد، 1977م.
- علي الوردي: **قصة الأشراف وآل سعود**، دار الوراق للنشر، بيروت، ط3، 2013م.
- محمد بيومي مهران: **تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2008م.
- محمد خميس الزوكة: **جغرافية حوض البحر الأحمر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1424هـ / 2003م.
- محمود طه أبو العلا: **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، جـ1، دن، دم ط، 1965.
- محمود محمد سيف: **جغرافية المملكة العربية السعودية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1420هـ/2000م.
- مديحة أحمد درويش: **تاريخ الدولةالسعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، دار الشروق، جدة، ط1، 1400هـ/1980م.

ثالثًا: المراجع المعربة:

- أرمسترونج: **سيد الجزيرة العربية**، ترجمة وتقديم يوسف نور عوض، مطابع الأهرام، القاهرة، 1411هـ/1991م.

- أيوب صبري باشا: **مرأة جزيرة العرب،** ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي، الصفصفاي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، جـ1، 1999م.
- جون فيلبي: **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(السلفية)**. تعريب عمر الديراوي، مكتبة مدبلولي، القاهرة، الطبعة الأولي، 1414هـ/1994م.
- لـوثـروب سـودارد: **حاضر العالم الإسلامي،** ج4، نقله إلى العربيَّةِ عجَّاج نويهض، دار الفكر، بيروت، ط4، 1394هـ/1937م.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- تركية بنت حمد ناصر الجار الله: **موقف الأمير عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى،** رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1425هـ/2005م.
- حياة محمد الحمد البسام: **ميزان القوى في الخليج العربي في أعقاب الحرب العالمية الأولى،** رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1409هـ/1989م.
- خالد السعدون: **الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية (1908-1918م)**، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1405هـ/1985م.
- مستور محسن حسان الجابري: **العلاقات السعودية البريطانية (1351-1364هـ/1932-1945م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ/1992م.

- Frederick Fallowfield Anscombe, **The Ottoman Gulf And The Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914**, Ph.D., Princeton University, 1994.

- Michael John Baran, **The Rashidi Amirate of Hayl: The rise, development and decline of a pre modern Arabian principality**, Ph.D. The University of Michigan, 1992.

خامسًا: الدوريات والمجلات العلمية:

- تركي بن محمد بن مسعود: **"علاقة بريطانيا بالأمير عبد العزيز آل سعود، 1902-1925"**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1406هـ.

- حنان سليمان ملكاوي: **عبد العزيز آل سعود والأدارسة في تهامة عسير (1339-1353هـ/1920-1934م)**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الملجد 28، العدد 1، 2011م

- خالد السعدون: **استرداد الأحساء سنة 1331هـ/1931م، من الوثائق الأمريكية والبريطانية دراسة مقارنة**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1433هـ.

- **موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى، كما صورته الوثائق البريطانية**، مجلة الدارة العدد الثاني، محرم 1404هـ.

- خلف بن دبلان الوذيناني: **حملة فيصل بن عبد العزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير 1340-1341هـ/1922-1923م**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم 1426هـ.

- سامي سعيد الأحمد: **نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية في المصادر اليونانية القديمة**، مجلة العرب، جـ7، السنة الثالثة، محرم 1389هـ، نيسان 1969، دار اليمامة، الرياض.

- عايض بن خزَّام الروقي: **علاقات الدولة السعودية الثانية مع مصر العثمانية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري دارسة تاريخية وثائقية**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء 17، العدد 29، صفر 1425هـ.

- عبد الفتاح أبو علية: **دراسة تاريخية لموقف الأحساء من الاستراتيجية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الرابع، ذو القعدة 1395هـ.

- عبد الله بن ناصر السبيعي: **محاولة الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود استرداد الأحساء من العثمانيين 1291هـ/1874م**، مجلة الدارة، الرياض، العددالأول، محرم 1434م.

- محمد بن موسى القريني: **أوضاع الأحساء قبيل قيام الأمير عبد العزيز باستردادها عام 1331هـ/1931م في ضوء نماذج من الوثائق العربية في الأرشيف العثماني**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم 1425هـ.

- ناصر بن محمد الجهيمي: **عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر (الأولى والثانية) من خلال المصادر والوثائق المحلية والعثمانية**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الرابع، شوال 1428هـ.

- **ضم الأمير عبد العزيز الأحساء في ضوء الوثائق البريطانية والعثمانية والمصادر المحلية**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1431هـ.

- **تحركات الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود عام 1308هـ/1891م**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1433هـ.

Aitchison, Collection of Treaties, vol.X, pp.16-18.1.

Blunt, Pilgramage to Nejd.The Cardle of Arab race (a Visit to the2. Court of the Arab Amir and our Persian campaign).2 Vols.Second edition, John Murray (London, 1881), p.p.265-268.

Bomaby Selections, No.24, pp.452 – 453.3.

Captain, S.Hennell Political Resident, Persian Gulf to the4.
Government of Bambay.May 7, 1839.Bahrain Archives, Book 110, PP.290-301) Aramco Dharan.

Daniel Silverfarb, The Philby Mission To Ibn Sa'ud, 1917-18,5.
Journal Of Contemporary History, Vol.14, No.2, Apr.1979.

David G.Edens: The Anatomy of the Saudi Revolution,6.
International Journal of Middle East Studies, Vol.5, No.1, Jan.1974.

Dickson, H.R.P. Kuwait and Her Neighbours, London, 1956, p,7.
118.

Doughty, Charles. Travels in Arabia Deseta, 2Vols, London 1936,8.

Frederick Fallowfield Anscombe, The Ottoman Gulf And The9.
Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914, p.91.

Frederick Fallowfield Anscombe, The Ottoman Gulf And The10.
Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914, p.93, 173-174.

Gideon, T W, Sword of Saud and the Birth of a Nation, Military11.
History, Aug 1997, p.50-51.

Goldberg, Jacob: The 1913 Saudi Occupation of Hasa12.
Reconsidered.Middle Eastern Studies, Vol.18, No.1, Jan., 1982.

Hayder, The Life Midhat Pasha, pp, 56-5913.

Jacob Goldberg, The 1913 Saudi Occupation of Hasa14.
Reconsidered, p.25,

Joseph Kostiner, Saʿūdi Arabia's Territorial Expansion: The Case15.
of Kuwayt, 1916-1921, p.220-222.

Kelly, J.B.: Mehemet 'Ali's Expedition to the Persian Gulf 1837-16.
1840.Part I, Middle Eastern Studies, Vol.1, No.4, Jul., 1965.

Kostiner, Joseph: Saʿūdi Arabia's Territorial Expansion: The17.
Case Of Kuwayt, 1916-1921, Die Welt Des Islams, New Series, Vol.33,
Issue 2, Nov., 1993.

Longrigg, H.Stephen.Four Centuries in Modern Iraq, Oxford,18.
1925, p.502.

Lorimer, G.J.Gazeetter of Persian Gulf, vol, 2, p, 183.19.

realpagex0193xLorimer, Gazetteer of the Persian Gulf.Calcutta,20.
1915, vol.1, pp.1106 – 1107.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The21.
Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, British Journal of Middle Eastern
Studies, Vol.19, No.2, 1992.p.145-146, 152-154.

Madawi Al-Rasheed and Loulouwa Al-Rasheed, Ibn Sa'ūd and22.
the Resurrection of the Wahhābi Power in Arabia, Bulletin of International
News, 3: (12), 1927.

Madawi Al-Rasheed and Loulouwa Al-Rasheed, The Politics of23.
Encapsulation: Saudi Policy towards Tribal

and Religious Opposition, Middle Eastern Studies, Vol.32, No.1, Jan.,
1996.p.102.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p.44-45.24.

Palgrave, Narrative of Year,s Journey through central and25.
Eastern Arabia(1862-63).

Philby, J.B.Arabia, London, 1930.26.

Philby, J.B.Arabia Jubilee, London, First edition, 1952.27.

Philby, J.B.Saudi Arabia, London, First edition, 1955.28.

Wallin, Narrative of a Journey from Cairo to Medina and Mecca,29.
by Suez, Araba, Tawila, al-Jauf.Jubbe, Hall and Nejd in 184

Wallin."Notes taken During a journey through part of Nothern30.
Arabian in 1848".The Journey of the Royal Geographical
Society.XX(1850).P.324.

الفهرس

Notes

[1←]
محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية، جـ1، د.ن، د.م، طـ1، 1965، ص 5-7، أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي، الصفصافي أحمد المرسي دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ / 1999م، ص128.

[2←]
الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني : صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1410هـ / 1990، ص84.

[3←]
محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طـ2، 2008م ص81.

[4←]
سامي سعيد الأحمد : نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية في المصادر اليونانية القديمة، مجلة العرب، الجزء السابع، السنة الثالثة، محرم 1389هـ / أبريل (نيسان) 1969م، دار اليمامة، الرياض، ص596 – 605.

[5←]
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : المصدر السابق، ص85.

[6←]
فتحي محمد أبو عيانة : جغرافية الوطن العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011م، ص142، 144.

[7←]
محمود محمد سيف : جغرافية المملكة العربية السعودية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2000م، ص50.

[8←]
محمد بن منظور : لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ص 785-786.

[9←]
محمود طه أبو العلا : المرجع السابق، ص40، محمود محمد سيف : المرجع السابق ص53.

[10←]
محمد خميس الزوكة : جغرافية حوض البحر الأحمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص438، 439.

[11←]

فتحي محمد أبو عيانة : المرجع السابق، ص149.

[12←]

الارتفاعات المعطاة في هذا الدليل وفي الخرائط المرافقة له قد أعدها بعناية كبيرة الملازم فرايزر هنتر يقسم المساحة بالهند من مشاهدات قام بها هيوبر سنة 1883 إلى سنة 1884، وبالرجوع إلى الضغط البارومتري من مستوى البحر في كراتشي في الأوقات الفعلية لهذه المشاهدات و(الملاحظات) وتتفق النتائج بدقة في بعض الحالات مع الارتفاعات التي أعطتها مصلحة مساحة تركيا لسكك حديد الحجاز.

[13←]

أمين الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته، دار الريحاني لطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1954، ص95.

[14←]

عثمان بن عبد الله بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، ج2، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط4، 1402هـ/1982م، ص75.

Gideon, T W, Sword of Saud and the birth of a nation, Military History, Aug 1997, p. 50.

[15←]

صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص143 – 144.

[16←]

ما جاء في ملحق الوثيقة، رقم 751، دفتر 74، صفحة 130، مؤرخة في 18 ربيع الأول سنة 1252هـ، من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، محافظ الحجاز، دار الوثائق القومية بعابدين.

[17←]

فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 1424هـ/2003م ص226.

Selections From Records of the Bambay Government No. 24, P. 156

[18←]

Captain S. Hennell Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bambay. May 7, 1839(Bahrain Archives, Book 110, PP. 290-301) Aramco Dharan.

[19←]

انظر الوثيقة، محفظة رقم 270 – عابدين، رسالة من خورشيد إلى باشمعاون الجناب العالي في 3 شعبان سنة 1256هـ، وردت في 25 شعبان 1256هـ، نمرة 149 حمراء.

[20←]

انظر شجرة النسب في الملحق المرفق بالرسالة.

[21←]
البياض: منطقة صحراوية تقع جنوب منطقة الخرج، وقريبة من إلى مامة، ويبدو أن ثورة سكانها من آل شمر كانت بعد سماعهم بقرب انسحاب القائد المصري خورشيد باشا، فانتدب خورشيد خالد بن سعود يرافقه ابن ثنيان للقضاء على الثورة، إلا أن الحملة فشلت، انظر : ابن بشر: المصدر السابق، 2/95.

[22←]
Philby, Saudi Arabia, p. 186.

[23←]
صلاح الدين المختار، المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975، ص313.

[24←]
Philpy, op. cit., p. 187.

[25←]
حافظ وهبة: جزيرة العرب فِي القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط3، 1375هـ/1956م، ص237.

[26←]
المرجع السابق، ص 238.

[27←]
ذكر هذا كوشليه (القنصل الفرنسي العام في مصر) في رسالة إلى تيير بتاريخ 10 يوليو عام 1870. انظر: كتاب إدوارد دريو: مصر وأوروبا: الأزمة في عام 1839 إلى عام 1841. المجلد الثاني، ص307. أخذ هذا النص من كتاب (عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام هيئة التحكيم الدولية في قضية البريمي)، مجلد 1، ص179.

[28←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص95.

[29←]
الأخية: هي منظمات لكل حرفة، كانت منتشرة في البلاد التركمانية الرومية، وكانت تقتصر على الشباب الأعزاب، ولها اسم آخر هو الفتوة_ انظر رحلة ابن بطوطة، ص285 – 286. والفتوة في أصلها تعود للدولة الإسلامية الأولى، وأن مبدأها العلمي أخذ من سيرة على بن ابي طالب، وبدأت تأخذ شكل مذهب من مذاهب التصوف. وتنقسم إلى فتوة زاهدة وأخرى لاهية، وكانت الأخيرة خطرًا على الدولة العباسية ودولة بني بوية، ويقال إن الخليفة العباسي الناصر دخل الفتوة على يد عبد الجبار بن يوسف بن صالح انظر: مصطفى جواد: كتاب الفتوة، ص13 – 35.

[30←]

البكتاشية: نسبة لمؤسسها بكتاش، ويقال إن بكتاش ولد في مدينة نياسبور عام 738هـ، 1337م، لكن المؤرخ " جاكوب Jacob" يذكر في مؤلفه "Backtaschii " ص24. أن بكتاش رجل اسطوري، وأن المؤسس الحقيقي للبكتاشية هو بالم بابا Balmbaba المتوفي عام 922هـ / 1516م، وأن شدة الصلة بين البكتاشية والانكشارية تعود للرواية القائلة أن الانكشارية اعتنقوا الإسلام على يد بكتاش في عهد السلطان العثماني أورخان. لوثروب سودارد: حاضر العالم الإسلامي، ج4، نقله إلى العربيَّةِ عجَّاج نويهض، دار الفكر، بيروت، ط4، 1394هـ/1937م، ص368.

[31←]

Philpy, op. cit. p. 185.

[32←]

قال ابن ثنيان لعبيد بن رشيد " إني أخاف من فيصل أنه يقتلنا وأنا ما أطلب شيء، إنما نجد خليت وكنت أنا أحق بها من غيري والآن جاء صاحب المكان. أنا حافظ وديعة وأرد الأمانة إلى أصحابها " ضاري ص45

[33←]

ضاري بن فهيد آل رشيد: نبذة تاريخية عن نجد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م، ص8.

محمد بن عبد القادر الأحسائي: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء، علق عليه حمد الجاسر، مطابع الرياض، الرياض، ط1، 1379هـ/1960، ص 155.

[34←]

Philpy, op. cit., p. 186.

[35←]

ibid., p. 186.

[36←]

سعود بن هذلول، ملوك آل سعود، مطابع الرياض، الرياض، ط1، 1380هـ، ص240.

- عثمان بن بشر، المصدر السابق، 2/95.

- يذكر الدكتور عبد الكريم غرايبة في كتابه: مقدمة تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص378، أن طلب ابن ثنيان للحماية كان في صيف عام 1256هـ / 1840م. ولكن ابن بشر وابن هذلول يشيران إلى أن الطلب كان في عام 1257هـ. والحقيقة أن التاريخ الذي وضعه الدكتور غرايبة أكثر صحة وذلك لأن خورشيد غادر البلاد في (أوائل عام 1257هـ / بداية 1841م) وكان ابن ثنيان آنذاك هارباً. كما أن وصول خورشيد إلى الشنانة كان في جمادي الأولى سنة 1256هـ وهذا ما تؤيده الوثيقة التركية، محفظة غزة 270 مؤرخة في 25 محرم سنة 1256هـ رسالة من خورشيد إلى صاحب الدولة الخديوية، عابدين.

[37←]

عباس العزاوي: عشائر العراق، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت، ص27.

[38←]
محمد النبهاني: التحفة النبهانية، قبائل المنتفق ص48، ومجلة لغة العرب، العدد العاشر من عام 1912م، ص436
– مقال لسليمان الدخيل وعنوانه : الخميسية أو لؤلؤة البرية، مجلة لغة العرب، العدد السادس، ديسمبر/ كانون الأول عام 1912م، ص295، ومقال لسليمان الدخيل: "مشاهير بيوت وقبائل سوق السيوفي".

[39←]
Philpy, op. cit,, p. 186.

[40←]
سعود هذلول: المرجع السابق، ص16.

[41←]
Philpy, op. cit., p. 186.

[42←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/99.

[43←]
Philpy, op. cit., p. 187.

[44←]
op. cit., p. 188.

[45←]
ضاري بن رشيد: المصدر السابق، ص 8.

[46←]
حافظ وهبة: المرجع السابق، ص237.

[47←]
Philpy, op. cit., p. 187.

[48←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/100.

[49←]
عرض الحكومة السعودية أمام هيئة التحكيم الدولية في قضية البريمي، مجلد 1، ص179.

[50←]
المزاحميات: بلدة صغيرة تدعى إلى وم المزاحمية، وتقع في جنوب غرب الرياض وإلى القرب من بلدة حائر سبيع المذكور أعلاه(انظر الخريطة في الملحق).

[51←]
صلاح الدين المختار، المرجع السابق، 1/313.

[52←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/100.

[53←]

Philpy, op. cit., p. 187.

[54←]

Philpy, op. cit., p. 186.

[55←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/101.

[56←]
عرض الحكومة السعودية، مجلد 1، ص180.

[57←]

Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, vol. 1, pp. 1106 – 1107.

[58←]

Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, vol. 1, pp. 1106 – 1107.

[59←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/99.

[60←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/100 ؛

Philpy, op. cit., p. 187.

[61←]
ابن بشر: المصدر السابق، 2/102.

[62←]

يذكر فلبي في كتابه العربية السعودية، ص188 أن النجدة كانت تتألف من 300 هجان و500 فارس، بينما يذكر ابن ابن بشر: المصدر السابق، 2/101. أن النجدة كانت تتألف من 300 مطية (هجان) فقط.

[63←]

وقع الاشتباك بين الطرفين في مكان قريب من منفوحة، أي خارج أسوار مدينة الرياض، انظر : ابن بشر: المصدر السابق، 2/102.

[64←]

العمارية وأبا الكباش ومنفوحة والمرابيع، هي من القرى القريبة من الرياض آنذاك انظر : الخريطة في الملحق.

[65←]

صلاح الدين المختار: المرجع السابق، 1/316.

[66←]

ابن بشر: المصدر السابق، 2/100 ؛

Philpy, op. cit. p. 17.

[67←]

Philpy, op. cit, p. 18.

[68←]

op. cit. p. 188.

[69←]

. 188.ibid, p

[70←]

سعد بن هذلول: المرجع السابق، ص 24 – 25.

[71←]

ابن بشر: المصدر السابق، 2/103 ؛ سعد بن هذلول: المرجع السابق، ص75.

[72←]

Philpy, op. cit. p. 188

[73←]

ibid., p. 188

[74←]
إبراهيم بن صالح بن عيسى: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م، ص65.

[75←]
أول تسمية لهذا الخليج كان قد أطلقها عليه أحد قواد الإسكندر المقدوني، تياركوس وهي الخليج العربي، لأن هذا القائد زار"الجزء الشرقي منه فقط إلا أن كلا من الرحالة بليني الروماني، ونيبور الدنماركي ورودريك أوين الإنجليزي، أطلقوا عليه اسم الخليج العربي لأن أكثر الدول المقيمة عليه دول عربية. انظر : قدري قلعجي، الخليج العربي، 7-16. وكذلك فإن الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب"، ص47 يطلق عليه الخليج العربي لأن اللسان الشائع في المنطقة عربي.

[76←]

Lorimer, op. cit. vol. 1, p. 1108.

[77←]

Bomaby Selections, No. 24, pp. 452 – 453.

[78←]
الريحاني، المرجع السابق، ص20.

- حافظ وهبة، المرجع السابق، ص45 – 48.

- فؤاد حمزة، جزيرة العرب، ص9.

[79←]
الريحاني، المرجع السابق، ص95.

- إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص20.

[80←]
حسين بن غنام: تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام لِمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، حققه وحرره ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دارالشروق، القاهرة، ط4، 1415هـ/1994م، ص 20.

[81←]
حسين بن غنام: المصدر السابق، ص40.

[82←]
فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص87.

David G. Edens, The Anatomy of the Saudi Revolution, International Journal of Middle East Studies, Vol. 5, No. 1 (Jan., 1974), p. 52.

[83←]
عبد الله صالح العثيميين: نشأة إمارة آل رشيد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ط1، 1401هـ/1981، ص 5 وما تليها.

[84←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/94.

[85←]
خير لدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1422هـ/ 2002م، ص 107 ؛ عبد الله الصالح العثيميين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 15.

(2) عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/65.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 145; J. B. Kelly, Mehemet 'Ali's Expedition to the Persian Gulf 1837-1840, Part I, p. 352-353; Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 41-42.

[86←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/77.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 19, No. 2 (1992), p. 145; Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 44-45.

[87←]
عبد الله الصالح العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص 18.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 146.

[88←]
عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، 1419هـ، 1999م، 1/55.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 45.

[89←]

على الهندي: زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، ص117.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 54.

[90←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/120.

[91←]
ضاري فهيد آل رشيد، المصدر السابق، ص 99.

[92←]
خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس، 5/274.

[93←]
ضاري بن فهيد الرشيد، المصدر السابق، ص97.

[94←]
خير لدين الزركلي: الأعلام قاموس، 6/244 ؛ عبد الله الصالح العثمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 120.

[95←]
علي الهندي: زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، ص 120.

Gideon, T W, Sword of Saud and the birth of a nation, Military History, Aug 1997, p. 51; Joseph Kostiner, Saʿūdi Arabia's Territorial Expansion: The Case of Kuwayt, 1916-1921, p. 220.

[96←]
خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس، 4/25 ؛ ضاري بن فهيد الرشيد: المصدر السابق، ص117.

[97←]
Gideon, T W, Sword of Saud and the birth of a nation, Military History, Aug 1997, p. 51.

[98←]
Gideon, T W, Sword of Saud and the birth of a nation, Military History, Aug 1997, p. 51-53; David G. Edens, The Anatomy of the Saudi Revolution, International Journal of Middle East Studies, Vol. 5, No. 1 (Jan., 1974), p. 52; Jacob Goldberg, The 1913 Saudi Occupation of Hasa Reconsidered, p. 25; Madawi Al-Rasheed and Loulouwa Al-Rasheed, The Politics of Encapsulation: Saudi Policy towards Tribal and Religious Opposition, p. 102.

[99←]
خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس، 274-5/273.

[100←]
علي الهندي: زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، ص 130.

[101←]
علي الهندي: المصدر السابق، ص 131.

[102←]
عبد الله الصالح العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص 131.

[103←]
المرجع السابق، ص 132.

[104←]
عبد الله صالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 135.

[105←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/150.

[106←]
عبد الله صالح العثميمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 135.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 152; Daniel Silverfarb, The Philby Mission to Ibn Sa'ud, p. 269.

[107←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، 170 ؛ عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2/140.

[108←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، 171؛ عبد الله صالح العثيميين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2/141.

[109←]
المرجع السابق، 2/150.

[110←]
عبد الله صالح العثيميين، نشأة إمارة آل رشيد، 130.

[111←]
عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/177.

[112←]
عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2/180-190.

[113←]
علي الهندي: زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، ص 150.

[114←]
عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2/195.

[115←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، 172 ؛ عبد الله الصالح العثيمين، المرجع السابق، 2/198.

[116←]
David G. Edens, The Anatomy of the Saudi Revolution, International Journal of Middle East Studies, Vol. 5, No. 1 (Jan., 1974), p. 52;Madawi Al Rasheed, Durable and .Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 155

[117←]
كان يقال لمحمد بن عيسى أو محمد الأول أخو خنساء أو السمن العرابى. ويقال إنه لقب بالقب الأخير لأنه أتاه ضيوف فذبح لهم ما تيسر له من الغنم لكنه لكرمه رأى أن ماذبح قليل فامر بصب مالديه من سمن على الطعام عليه يساعد في إشباعهم.

[118←]
ويقال إن القصر سمي برزان لبروزه عن مسكنهم الأول.

[119←]
آل حجيلان: تنتمى اسرة حجيلان بن حمد إلى العناقر من بين تميم واصبح حجيلان اميرا لبريده بعد مقتل اميرها عبد الله بن حسن في غزوته مع الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود لقبيله آل مرّه على ارض الخرج 1190هـ(عنوان المجد في تاريخ نجد : 1/83) وكان حجيلان من المتحمسين لدعوه الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" وبعد انهيار الدرعيه على يد "إبراهيم باشا "1233هـ نقله إبراهيم معه إلى المدينه المنوره إلى ان توفى هناك..

[120←]
القضاه سكان بلده عنيزه من وهبه تميم.

[121←]

من الشبالى وهم من العناقر بنو عم لآل(ابو عليان) امرأ بلده بريدة ايام الدوله السعودية الأولى ومنهم "حجيلان بن حمد" اما " آل شبل " المعروفون في عنيزه فهم من "آل مشرف" من وهبه تميم.

[122←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/94.

[123←]
عبد الله الصالح العثيميين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 9.

[124←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/94.

وسعدون بن عريعر أحد زعماء قبيله بنى خالد وحاكم الاحساء وقد اتت أسرته آل حميد إلى حكم تلك المنطقه 1080 هـ حين تمكن براق بن غرير ومن معه من طرد جنود العثمانيين منها. وأصبح لهذه ألاسره نفوذ في بعض مناطق نجد وحين قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضدها سياسيا وعسكريا. وكان اول هجوم عسكرى يوجهونه إليه ا 1172 هـ وفي أخر القرن الثانى عشر الهجرى تجدد الخلاف بين زعماء بنى خالد في وقت كان فيه قاده الدرعية قد تمكنوا من أدخال اكثر مناطق نجد تحت نفوذهم.وذلك مارجح كفه قاده الدرعية على كفه زعماء بنى خالد. وقد آل الامر لسعدون امام ثوره داخليه عليه إلى اللجوء إلى الدرعية 1200هـ ثم ادخل آل سعود منطقه الاحساء تحت نفوذهم.

[125←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/146-150.

[126←]
عبد الله الصالح العثيميين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 10.

[127←]
بقعا: الآن بلدة تابعة لحائل بجبل طي تبعد عن حائل ثماني ساعات بمسير الأقدام.

[128←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/156-157.

[129←]
حسين بن غنام: المصدر السابق، ص 130.

[130←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/99-100. وقد ذكر مؤلف مجهول للحادثة المذكورة أن حجيلان بن حمد قتل رجل ساحرا في الجبل ونصب محمد بن على شيخا في المنطقة. انظر: مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب، المكتبة الوطنية بباريس رقم 6061 : 22. ولعل حجيلان أقر محمد بن على في زعامة الجبل.

[131←]
وقد ذكر ضاري بن رشيد أن في البيت أشارة إلى ما عمله حجيلان في عنيزة حين إستيلاء آل سعود عليها. لكن المرجح أن الضمير في كلمة "عليه" يعود إلى كلمة " ديارينا " في بيت ورد قبل هذا البيت وهو : " جونا يبون ديارنا والبساتين.... يبغون منزلهم قفار وحائل " ويبدو أن الشاعر يقصد بقوله : " ذاهبين الحمايل " آل على الذين كانوا خصومه وكأنه يريد أن يوضح أنهم قادوا حجيلان على ديار الجبل أو مهدوا السبيل له للإستيلاء عليها. وذلك ما ظن عبد العزيز بن محمد أنه سيتكرر. ضاري بن فهيد ال رشيد: المصدر السابق، ص 83.

[132←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/108-109.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 49.

[133←]
حسين بن غنام، المصدر السابق، ص 150.

[134←]
عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 15.

[135←]
المرجع السابق، ص 16.

[136←]
العبيات: من قبيلة مطير.

[137←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/174-178.

[138←]
كان مسلط بن مطلق الجرباء مشهورا بالكرم والشجاعة. يقال إن اباه كان يري التريث ومداهنة آل سعود لكنه كان يعارضه في ذلك وينسب لمسلط قصيدة في هذا الموضوع منها:

نطيت روس مشمخرات العراقيب — في راس حيد نايف مقلحــزي

وجريت صوت مثلما جره الذي — اوجس ضلوعي من ضميري تنزي

الحر وان كان كثرت عليه المطاليب — ملزوم عن دار المذلة يفزي

لا صار ماناتي سواة الجلاليب وقلايع بإماننا له نخزي

انظر عباس العزاوي: عشائر العراق: 1/142.

[139←]
حسين بن غنام : المصدر السابق، ص150–152 ؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/109-110.

[140←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/150– 151، 157. وقد ذكر امين الريحاني ان الجرباء كان امير جبل شمر قبل انضمام الجبل إلى آل سعود وبعد انضمامه أمّر سعود احد آل علي. أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 285. ولعله ادق لو قيل ان الجرباء كان زعيم بادية جبل شمر لأن إمارة حاضرة الجبل، حائل، كانت لآل على قبل انضمام المنطقة إلى آل سعود..

[141←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/173.

[142←]
فهد المارك: من شيم العرب، ط1، بيروت 1386هـ، 1/242.

[143←]
مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ص45- 46.

[144←]
حسين بن غنام: المصدر السابق، ص 168 ؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/132-133.

[145←]
حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، 1390هـ، ص 123.

[146←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/141. وقد ذكر مؤلف مجهول في كتابه: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ص 31. أن محمد بن على غزا ناحية العراق واشتبك مع آل بعيج وقتل منهم خمسين رجلا.

[147←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/188.

[148←]
المصدر السابق، 1/223.

[149←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/149.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 34.

[150←]

انظر الوثائق ذات الأرقام 5/1/133، 5/1/57، 5/1/157 في دارة الملك عبد العزيز في الرياض.

Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 145-146

[151←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/291. والمعروف من نسب الأمير محمد أنه محمد بن عبد المحسن بن فايز بن محمد بن عيسى بن على بن على الكبير، الذي يلتقي فيه نسب هذه الأسرة مع نسب آل رشيد. وكان محمد من أعظم معاصريه النجديين. وقد ظل زعيما للجبل أكثر من ثلاث وثلاثين سنة. وهو الذي وضع اساس قصر برزان الشهير. ويقال أنه أشار على أهل قفار إبان غزو إبراهيم باشا لها ان يبنوا قصرا يكون جزء منه في مستوي اكثر انخفاضا من سطح الأرض القريبة منه لئلا تؤثر في المدافع وفي سنة 1234هـ اغتاله الحبشي زعيم رجال إبراهيم باشا حيلة في مقصورة الداحس ثم حز رأسه وبعثها إلى تركيا.

[152←]

المصدر السابق، 1/307.

[153←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/41.

[154←]

على الهندي: زهرة الخمائل في تراجم علماء حائل، جدة، د.ن، 1380هـ، ص 8.

[155←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/41.

[156←]

انظر: ص 9 من هذه الدراسة.

[157←]

ضاري بن فهيد الرشيد: المصدر السابق، ص60 – 61.

[158←]

ضاري بن فهيد الرشيد: المصدر نفسه، ص 62.

[159←]

كتاب "نشأة إمارة آل رشيد" للدكتور صالح ابن العثيمين. رواية شفهية من الشاب مشعل آل على حول هذا الموضوع وفيها ان عبد الله بن رشيد اتصل سرا بزوجته ليتأكد من استمرار رغبتها في الحياة معه. وحين أجابته بالإيجاب عملت حيلة تمكنت بها من إشغال حرس البيت الذي كانت فيه، وذهبت إلى زوجها برفقة أحد أصدقائه.

[160←]
مالها سبت الرجلين: ليست لابسة نعلا. شيّب بالضمير: آلم النفس كثيرا. هكعانه: تأرجحها في مشيتها الناتج عن الإعياء الشديد.

[161←]
إلى : إذا. امش مشيانه: سايرها في مشيها لئلا تزيد مشقتها..

[162←]
مضنون: محبوب. الردن: كمّ الثوب الواسع. وقد أراد بشطر البيت حيث صديقه على أن يشق قطعة من طرف كمه ليجعلها لزوجته الحافية بمثابة النعل..

[163←]
مايشتكّ: لا يشك في نوايا الناس. كود: سوي. والا تري الطيب: واما الطيّب. وسيع بطانه: كناية عن أن الطيّب من الناس لا تخامر نفسه الشكوك في الآخرين وإنما يثق بهم.

والأبيات السابقة من رواية محمد العلي العبيّد. وهو من المهتمين بتاريخ هذه البلاد الحافظين لأخبارها وأشعار أهلها. ولد في عنيزة سنة 1303هـ، على الأرجح، وتعلم فيها القراءة والكتابة ومبادئ قواعد اللغة العربية. وقد تنقّل في البادية للتجارة. وكان في فترة من فترات شبابه إماما لهذّال الشيباني، كما أصبح، فيما بعد، إماما لخالد بن لؤي في الخرمة. وفي الأمور التي مرت بها حياته أن اصبح موظفا في الديوان الملكي. وقد توفي، رحمه الله، في عنيزة في رمضان سنة 1399 هـ.

وتروي الأبيات المذكورة بطرق متعددة. ومن هذه الطرق رواية تجعل بيتا من البيتين الأخيرين، وهو:

وان شلتها يا حسين تري ما بها شين — تري الخويّ يا حسين مثل الأمانة

والمعني يستقيم بوجود هذا البيت أكثر من استقامته بدونه.

[164←]
عبد الله الصالح العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص23.

[165←]
ماكنّي: ما كأني. خمام الدراويش: فقراء الدراويش، والدراويش هنا يقصد بهم حجاج المشرق، خاصة الهنود، الذين يعبرون نجدا على اقدامهم إلى الحجاز لأداء الحج.

[166←]
جلّون: أجلوني. القيظ الحمر: يقصد به شدّة الحر. الهيش: النخل غير المعتني به.

[167←]
نبذة تاريخية عن نجد املاها الامير ضاري بن فهيد الرشيد:ص 62. وواضح في البيت الأخير أن أم عبد الله تدعو أن يأتي يوم يزول فيه الظلم الذي نزل بها وبأسرتها وتعود حالها إلى ما كانت عليه أو إلى أحسن مما كانت عليه.

[168←]
ضاري بن فهيد الرشيد: المصدر السابق، ص 64.

[169←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/52. وخلال الصراع الذي دار بين والي بغداد وخصومه تلك السنة احترق كثير من المجوهرات والأشياء الثمينة في قصر الباشوية، ووقع بعض ما سلم من الاحتراق في أيدي من أسعفهم الحظ من عقيل وغيرهم. وربما كان عبد الله بن رشيد من بين هؤلاء. وإذا كان قد حصل على شئ من ذلك فإنه من المحتمل أن يكون قد أهدي شيئا منه إلى الإمام تركي بن عبد الله حين وفد إليه. وذلك قد يفسر ما أشار إليه سليمان الدخيل في القول السديد ملحق نبذة: 148. وإن كان سليمان قد ذكر خطأ – على الأرجح – أن ما أهداه عبد الله كان قد كسبه من معركة الحلّة والكربلاء.

[170←]
انظر ألويس موزل، شمال نجد، ص 237 ؛ فؤاد حمزة: المرجع السابق، 342.

[171←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/41. وانظر صفحة 9 من هذه الدراسة.

[172←]
المصدر السابق، 2/65.

[173←]
مشاري بن عبد الرحمن: بن حسن بن مشاري بن سعود كان ممن نقلهم إبراهيم باشا من نجد إلى مصر بعد استسلام الدرعية له. وحين نجح خاله الإمام تركي بن عبد الله في إنشاء الدولة السعودية من جديد أرسل إليه يحثّه على المجئ إلى نجد ضمن قصيدته المشهورة التي مطلعها:

طار الكري من موق عيني وفزّيت من نومي طري لي

طواري وعاد مشاري بن عبد الرحمن إلى نجد سنة 1241 هـ، فأكرمه خاله وجعله أميرا على منفوحة. لكنه عزله عن إمارتها سنة 1245 هـ إثر ما اشيع عنه من تآمر على قتله. وبينما كان الإمام غازيا في شمال الجزيرة العربية سنة 1246 هـ خرج مشاري من الرياض ثائرا ضده. لكنه فشل في الحصول على تأييد النجديين، فتوجه إلى شريف مكة، محمد بن عون. وهناك فشل، أيضا، في الحصول على أية معونة ضد الإمام تركي. ولهذا عاد إلى نجد، حيث نزل الذنب ورجا أهلها أن يشفعوا له عند خاله الإمام. وعفا عنه تركي، لكنه وضعه تحت المراقبة في الرياض. وذلك سنة 1248 هـ. على أن رغبة مشاري في انتزاع الحكم من خاله ظلت طاغية على تفكيره. لذلك استغل فرصة غياب ابنه فيصل عن العاصمة فدبّر المؤامرة المذطورة لإغتياله آخر سنة 1249 هـ(عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/51، 63- 65.

ويذكر ألويس موزل: شمال نجد، ص 237) ان مشاري بن عبد الرحمن قتل تركي بن عبد الله بواسطة الذهب المصري. كما يذكر(عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/272) ان القائد إسماعيل بك دورا في هذا الموضوع، وأن الأتراك – هكذا – اعترفوا بحكومة مشاري بعد اغتياله لخاله.

ومن الواضح ان شعور الإمام تركي نحو المصريين كان غير ودّي، كما عبّر عنه في قصيدته المشار إليها سابقا. لكن يلاحظ ان مشاري بن عبد الرحمن بدأ يحاول التخلّص من خاله منذ سنة 1245هـ. كما يلاحظ ان شريف مكة المؤيد للمصريين، آنذاك، لم يساعده ضد الإمام تركي. ومن هنا فإنه من المرجّح ان الدافع الأكبر لمشاري كان ذاتيا، وهو الرغبة في السلطة. وهذا لا يمنع ان حاكم مصر عزم أخيرا على إخضاع حكام نجد له، كما ظهر بعد فترة قصيرة من تولّي فيصل الحكم. ومن المعروف ان وصول إسماعيل بك مع خالد بن سعود إلى نجد لم يحدث إلا سنة 1252 هـ.(عنوان المجد في تاريخ نجد: ج2/ص88). أي بعد حوالي سنتين من اغتيال الإمام تركي. أمّا ما ذكره هذا المؤلف عن اعتراف الأتراك لحكومة مشاري فينبغي ان يلاحظ أن ذلك الأمير حوصر من قبل فيصل بعد ثمانية عشر يوما من مقتل تركي، وأنه قضي عليه بعد أربعين يوما من استيلائه على السلطة. ومن المستبعد أن يحصل الاعتراف المذكور خلال هذه المدة القصيرة.

[174←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/65. وقد قال ابن بشر، هنا، عن عبد الله ابن رشيد بأنه رئيس الجبل. ومعروف أنه لم يكن، آنذاك، قد اصبح رئيسا للمنطقة المذكورة. وقد ذكر ضاري (نبذة عن تاريخ نجد:ص 35) خطأ أن فيصل بن تركي كان غازيا في عمان حين بلغه خبر مقتل أبيه، فاتجه إلى القصيم. وهناك أتي إليه عبد الله بن رشيد وسار معه إلى مشاري.

[175←]

Huber, Journey d'un Voyage en Arabia(1833-1884), p.p 151-152.

أن عبد الله بن رشيد علم بخبر مقتل الإمام تركي قبل ابنه فيصل وذلك بورود رسالة إليه من الرياض مع قادم إلى الغزو، وأنه قام بإخبار فيصل بالموضوع. لكن رواية ابن بشر تبدو أصح لقربه زمنا من الحادثة ولصلته الوثيقة بقادة آل سعود.

[176←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/66.

[177←]

صالح ابن العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص 161.

[178←]

محمد بن عمر الفاخري: تاريخ الفاخري، دراسة وتحقيق وتعليق، عبد الله بن يوسف الشبل، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط2، 1419هـ/1999م، ص 122-123.

[179←]

يذكر ضاري الرشيد: المصدر السابق، ص 35. أن سويّد بن على أتي إلى مشاري. وحين بدأ الحصار أكرهه مشاري على البقاء عنده. أما مجئ سويّد إلى مشاري فأمر مرجّح. لكن قضية إكراهه على البقاء معه تبدو غير

صحيحة، لأنه كان بإمكان سويّد ان يهرب من أول يوم حوصر فيه القصر، ولأنه من المستبعد أن يستفاد ممن هو مكره في عملية دفاع. والمحتمل ان اتفاقا قد وقع بين الرجلين يقف بموجبه سويّد من مشاري مقابل إعادته إلى إمارة جلاجل. ولأن هذه الإمارة كانت هدف سويّد فإنه وقف مع مشاري في بداية الأمر. وحين رأى بوادر نجاح خصمه فيصل تخلّي عنه وانضم إلى هذا الخصم بعد ان وعده بتحقيق ما كان يهدف إليه وهو العودة إلى إمارة جلاجل.

[180←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/66– 67.

[181←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/66– 67.

[182←]
يبدو أن أولئك الذين ذكر ابن رشد أنهم نزلوا من القصر قبل يومين من التفاوض مع سويّد هم الذين أخبروا عبد الله بن رشيد بمكان هذا الأخير.

[183←]
المشهور أن هذا العبد هو أبو حمزة الذي قتل الإمام تركي بن عبد الله. انظر: ضاري ال رشيد: المصدر السابق، ص 39، هامش 1، ثم قارنه: عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/64.

[184←]
ضاري بن فهيد الرشيد: المصدرالسابق، ص35 – 41؛ ومن الواضح خطأ هوبير (ج 2 –ص 153) حين قال إن ابن ثنيان هو الذي قتل أبا فيصل، وإن فيصلا هو الذي طعن العبد حين اشتباكه مع عبد الله بن رشيد. أمّا ما ذكره موزل(شمال نجد:ص 272) عن هذا الموضوع فقريب مما ورد في ابن بشر، الذي كان أحد مصادره.

[185←]
Wallin, Narrative of a Journey from Cairo to Medina and Mecca, by Suez, Araba, Tawila, al-Jauf. Jubbe, Hall and Nejd in 1845.؛

هوبير: ص 53؛ بلجريف: ج1/ص153

Palgrave, Narrative of Year,s Journey through central and Eastern Arabia(1862-63),

موزل، شمال نجد:ص 238؛ مقبل الذكير، مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه له عنوانا. وهي موجودة في مكتبة كلية الآداب ببغداد رقم 569: 63/63 وسيشار إليه، مستقبلا، باسم مؤلفه، مقبل الذكير، فقط؛ فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص 342؛ خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية، 1/114؛ عهد المبارك في حاشية مضاري الرشيد: المصدر السابق، ص67.

[186←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/83 – 85.

[187←]
مقبل الذكير: المصدر السابق، ص 63.

[188←]
الزركلي: المرجع السابق، 1/114.

[189←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/83. وليس هناك ما يدل على صحة رواية موزل من أن صالحا ساعد مشاري بن عبد الرحمن في موقفه. ألويس موزل: المرجع السابق، 238.

[190←]
عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/180.

[191←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/ 117 – 119؛ العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص 231 – 242.

[192←]
ناصر بن محمد الجهيمي: عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر (الأولى والثانية) من خلال المصادر والوثائق المحلية والعثمانية، مجلة الدارة، الرياض، العدد الرابع، شوال 1428هـ، ص 9-27.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 54.

[193←]
عبد الله الصالح العثيمين: المرجع السابق، ص 219 – 231. ومن مظاهر العلاقة الوطيدة بينهما أن عبد الله بن فيصل كان زوجا لابنة عبد الله بن رشيد.

[194←]
لمزيد من التفاصيل انظر: عثمان بن بشر: المصدر السابق 2/65-71 ؛ وعبد الله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 103- 111.

[195←]
هو أخو الإمام عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولي.

[196←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/88/107 ؛ عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة،1/ 237 – 249.

[197←]
عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة،1/ 253 – 259؛ عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 219 – 224.

[198←]

ناصر بن محمد الجهيمي: المرجع السابق، ص 9-27.

[199←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/ 129 – 134؛ عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/263 – 265.

[200←]

إبراهيم بن عيسى، المصدرالسابق، ص 49.

[201←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/145-148.

[202←]

إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 26–34.

[203←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/ 117 – 119؛ عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/231 – 243.

[204←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/ 143، 146، 152-153، 157، 171 ؛ عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/271 – 276.

[205←]

ابن عيسى: المصدر السابق، ص 16- 43 ؛ عبد الله الصالح العثيميين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/276-279..

[206←]

وادي الدواسر: يقع في المنطقة الجنوبية من نجد وهو من أعظم أوديتها.

[207←]

ابن عيسى: المصدر السابق، ص 52- 53، 65-70 ؛ عبد الله الصالح العثيميين: تاريخ المملكة، 1/ 287-295.

[208←]

يلاحظ ان ابن بشر ذكر في هذه المناسبة ان فيصل بن تركي هرب من حبسه عن طريق نزوله بجبال من خلال فرجة ترتفع عن الأرض أكثر من سبعين ذراعا. انظر عنوان المجد في تاريخ نجد:ج 2/ص192. لكنه قال عنه في موضع آخر: إن المسئولين المصريين «أنزلوه في بيت، وجعلوا عنده حرسا يحفظونه... وكان يتردد إليه كثير من أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم وحمّي أو غير ذلك، يأتونه يقرأ عليهم. وكانوا يرون أثر

الشفاء من قراءته ودعائه. ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريما وتعظيما». عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/107. ولو قبل كلامه الأخير لكان من الصعب الجمع بين كون فيصل محبوسا في مكان ترتفع إحدي فرجه عن الأرض أكثر من سبعين ذراعا وبين كونه منزلا في بيت كان يتردد إليه فيه كثير من أهل مصر. لكن من المرجّح أن فيصلا خرج من مصر بترتيب من بعض المسؤولين هناك. وكان هؤلاء يرون أنه من المفيد إرساله إلى نجد ليحارب ابن ثنيان، الذي كان صلبا ضد المصريين. فإن هو نجح ضد ابن ثنيان فإنهم، على الأقل، ينتقمون به ممن قسا على بقية جنودهم في نجد. وإن فشل فإنهم لم يخسروا شيئا لأنه سيغزو وينفق على نفسه.

[209←]
من ذلك خدمة عبد الله لفيصل في قضية مشاري بن عبد الرحمن وتعيين فيصل لعبد الله في إمارة الجبل.

[210←]
عثمان بن بشر:المصدر السابق،1/129- 133 ؛ ضاري بن فهيد الرشيد: المصدر السابق، ص 41-48.

[211←]
عثمان بن بشر، المصدر السابق، 1/140-150.

[212←]
عايض بن خزّام الروقي: علاقات الدولة السعودية الثانية مع مصر العثمانية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري دارسة تاريخية وثائقية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء 17، العدد 29، صفر 1425هـ، ص 539-559.

[213←]
ناصر بن محمد الجهيمي: المرجع السابق، ص 22.

[214←]
ضاري فهيد الرشيد، المصدر السابق، ص57-61.

[215←]
عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/147. .

[216←]
المصدر السابق، 1/ 140، 143، 145، 147.

[217←]
المصدر نفسه، 1/149.

[218←]
بقعاء: قرية تقع شرق حائل ويبعد حوالي 95 كم.

[219←]

Wallin. "Notes taken During a journey through part of Nothern Arabian in 1848". The Journey of the Royal Geographical Society. XX(1850). P. 324.

[220←]

ويقصد بقريب ابن عيّاف الإمام فيصل بن تركي.

[221←]

والين، قصة:ص 182.

[222←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/149.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 50-51.

[223←]

ورد في تعليق لفهد المبارك، نقلا عن رواية سلمان بن رشدان، أن كلا من عبد الله بن رشيد وابنه طلال كان يذهب بزكاة بلدهما إلى الرياض. انظر: ضاري الرشيد، المصدر السابق، ص 89 هامش 1. لكن لعل الراوي قصد أنهما كانا يذهبان بهدايا إلى الإمام فيصل في الرياض. على أن ابن بشر، المعاصر لتلك الأحداث، لم يشر إلى أن عبد الله نفسه قد ذهب إلى الإمام المذكوربزكاة ولا هدية. وإنما أشار إلى أن ابنه متعبا ذهب بهدية إلى الإمام نيابة عنه. انظر: عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/145.

[224←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 1/146-149.

[225←]

محفظة 246 عابدين (264).

[226←]

بلجريف: ج 1/ص126.

[227←]

والين، قصة: ص 147 و149.

[228←]

Doughty, Travels in Arabia Deseta, London,1936, 2/43-6

[229←]

عثمان بن بشر: المصدر السابق، 2/146.

[230←]

انظر رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، الجزء السابع، ط5، 1416هـ/1995م، ص242.

- إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص41، 43.

- يذكر حافظ وهبة في كتابه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص24 أن وفاة فيصل كانت عام 1282هـ / 1866م، والحقيقة كانت عام 1865م، وليس كما ذكر وهذا كما أيدته كل المصادر التاريخية.

[231←]

Philby, Saudi Arabia, p 217.

[232←]

ابن بشر: المصدر السابق، 1/124.

[233←]

انظر رسالة حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/258، 262.

[234←]

أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 98.

- انظر رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/242.

[235←]

إبراهيم بن عيسى: المرجع السابق، ص 44.

[236←]

أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 97.

[237←]

حافظ وهبة: المرجع السابق، ص240 ومحمد أنيس والسيد حراز، الشرق العربي، ص149.

[238←]

من اعترافات الملك عبد العزيز إلى أمين الريحاني الذي رافقه طويلًا. انظر: أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 101.

[239←]

نفسه.

[240←]

"أمراء آل سعود في جزيرة العرب"، مجلة لغة العرب، تشرين الثاني "نوفمبر" 1913م، الجزء السادس من السنة السادسة، ص 296، 297.

[241←]
أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، الجزء الثاني، بيروت، ط1، 1358هـ، ص 70.

[242←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 44.

[243←]
انظر: رسالة الشيخ حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/ 258، 262.

[244←]
انظر رسالة الشيخ حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/ 258، 262.

[245←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 44.

[246←]
هذا ما توضحه رسالة عبد الله بن فيصل إلى الخديوي، محفظة رقم 19، بحر برا، وثيقة رقم 2 بدون تاريخ، باللغة العربية، دار الوثائق القومية بعابدين.

[247←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 45.

[248←]

Philpy, op, cit, p, 220

[249←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، 178.

[250←]
المصدر السابق، ص 179.

[251←]
الهفوف: تسمية قديمة للبلدة التي كانت قديما قصبة هجر، أما كلمة الأحساء فهي تسمية جديدة للبلدة، وتعود هذه التسمية إلى ما ورثته الطبيعة للبلدة من كثرة المياه.

[252←]

يذكر حافظ وهبة أن حاكم الأحساء آنذاك كان أحمد السديري، والحقيقة أن السديري كان قد توفي سنة 1277هـ/1860م. انظر: حافظ وهبة: المرجع السابق، ص 241 ثم قارن مع: إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 32.

[253←]

إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 55، 56.

- انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 3/70.

[254←]

إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 56.

[255←]

المصدر السابق، ص 181، 182.

[256←]

كانت قبيلة قحطان وقبيلة عتيبة تقدمان مساعدات لعبد الله ضد سعود، انظر:

Lorimer, Gazeetter of Persian Gulf, vol, 2, p, 183.

Michael John Baran, The Rashidi Amirate of Hayl, p. 93.

[257←]

إبراهيم بن عيسى، المصدرالسابق، ص 58.

- انظر كذلك رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 3/70.

[258←]

حافظ وهبة: المرجع السابق، ص 242.

[259←]

Hayder, The Life Midhat Pasha,pp, 56-59

أمين سعيد، المرجع السابق، 2/173.

- انظر: رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ إلى الشيخ حمد بن عتيق في عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 3/273-274.

[260←]

Aitchison, collection of Treaties, vol. X, pp. 16-18.

[261←]

Dickson, Kuwait and Her Neighbours, p, 118

[262←]
جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، دار الفكر العربي، ط1، 1973، ص 174.

[263←]

Lorimer: op. cit. vol. 1, p. 243.

- محمد أنيس والسيد حراز، المرجع السابق، ص 150.

[264←]
حافظ وهبة: المرجع السابق، ص 242.

[265←]
أمين سعيد: المرجع السابق، 2/173.

[266←]
جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 180.

[267←]

Blunt, Pilgramage to Nejd. Vol. 11, p.p. 265-268.

[268←]
انظر: جمال زكريا، المرجع السابق، ص 180.

[269←]
سيف الدين شملان: تاريخ الكويت، ط1، 1378هـ/1959م، ص 135.

- مجلة لغة العرب، الجزء الأول من السنة الثالثة، في رجب وشعبان 1231هـ «تموز 1913م»، ص38..

[270←]

Lorimer, op. cit., vol. 1, p. 343.

[271←]
انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/247-248.

[272←]

Longrigg, Four Centuries in Modern Iraq, p. 502.

[273←]

منشور مدحت باشا، المؤرخ في 18 رجب 1288هـ والمذكور سابقا.

[274←]
ضاري بن رشيد، المصدر السابق، ص 18.

[275←]
أمين الريحاني، المرجع السابق، ص102.

[276←]
عبد الله بن ناصر السبيعي: محاولة الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود استرداد الأحساء من العثمانيين 1291هـ/1874م، مجلة الدارة، الرياض، العددالأول، محرم 1434م، ص 13-52.

[277←]
المرجع السابق، ص 67.

[278←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 67.

[279←]
انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 3/72.

[280←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص101، فقد أورد هذا النص عن لسان الأمير عبد العزيز آل سعود.

[281←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 70.

[282←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر نفسه، ص 71.

[283←]
المصدر السابق، 72.

[284←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص39.

[285←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 75.

[286←]
أمين الريحاني، المرجع السابق، ص 88، 89.

[287←]
ضاري الرشيد: المصدر السابق، ص 107.

[288←]
انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/225.

[289←]
أمين الريحاني، المرجع اسابق، ص 89، 90.

[290←]
ضاري الرشيد: المصدر السابق، ص 111.

[291←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 90.

[292←]
سليمان بن سحمان، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، رئاسة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، 1971، ص 60.

[293←]
ناصر بن محمد الجهيمي: تحركات الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود عام 1308هـ/1891م، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 143هـ، ص 37-57.

[294←]
يقول الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه الضياء الشارق عن سبب اختيار الإمام عبد الرحمن الكويت لسكنه ما يلي: "...لأن الكويت قريبا من بلاد نجد والاخبار تصل بسرعة وأيضا كان فيه آمنا من تسلط الأعداء، فليس لأحد عليه فيه اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن الرشيد...".

[295←]
انظر نص الرسالة في: حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، الجزء الثاني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1962م، ص 34.

[296←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص ص84-85. والذي روي تأخر فريق من عتيبة عن القدوم إلى الإمام في عنيزة محمد العلي العبيد، الذي أشار، أيضا، إلى أن ابن ربيعان كان يحدو على ظهر جواده قائلا:

عقلت سبلا كم لي من يوم ما سايل عن بيرق في الشام

يا شيخنا مالك علينا لوم لومك على برقا وابن بسام.

وكان ابن بسام، أحد كبار رجالات عنيزة، معارضا لغزو بريدة. وسيلا اسم يطلق على إبل ابن ربيعان. وقصده بالبيرق الذي في الشام علم ابن رشيد.

[297←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 91-92 ؛ ضاري بن الرشيد: المصدر السابق، ص191. وقد دخلها محمد بن رشيد، وعين سليمان بن سامي أميرا فيها..

[298←]
انظر تفصيلها في إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص93-94. ومن مشاهير قتلي جيش الإمام عبد الله ابن عمه تركي بن عبد الله بن تركي، وعبد العزيز أبو بطين، وعقاب بن حميد من عتيبة..

[299←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 95.

[300←]
من ذلك غزو محمد بن سعود، الذي كان فارسا وشاعرا،ليريه من قبيلة مطير سنة 1300هـ.انظر: إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 93.

[301←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 98.

[302←]
ضاري الرشيد: المصدر السابق، ص 74.

[303←]
سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص 47.

وقد ذكر هذا الأخير خطأ، أن الحادثة كانت سنة 1302هـ

[304←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص99. وقد أشار المؤرخ البسام: المصدر السابق، ورقة 160ب161أ، إلى تعاون أناس من أهل الخرج مع سالم في التخطيط للقضاء على أبناء سعود. والذين قضي عليهم هم محمد وسعد وعبد الله. والقصة مفصلة لدى بسام أكثر من غيره.

[305←]
ضاري الرشيد، المصدر السابق، ص54 ؛ سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص49.

[306←]
ضاري الرشيد، المصدر نفسه، ص 208.

[307←]
المؤرخ البسام، المصدر السابق، ورقة 161أ وب.

Frederick Fallowfield Anscombe, The Ottoman Gulf And The Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914, p. 91.

[308←]
مقبل الذكير: المصدر السابق، ص 94.

[309←]
إبراهيم بن عيسى، المصدر السابق، ص 99-100. وكانت وفاته في الثامن من ربيع الأول.

[310←]
المؤرخ البسام، المصدر السابق، ورقة 162 أ.

[311←]
المصدر السابق، ورقة 162 أ وب ؛ إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 100؛ مقبل الذكير، المصدر السابق، ص 95.

[312←]
ناصر بن محمد الجهيمي: المرجع السابق، ص 37-57.

Frederick Fallowfield Anscombe, The Ottoman Gulf And The Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914, p. 93.

[313←]
إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 100 ؛ المؤرخ البسام، ورقة 163 أ؛ سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص 50-51.

[314←]
ابن عيسى، عقد الدرر، ص 100؛ المؤرخ البسام، ورقة 163 أ و ب، مقبل الذكير: المصدر السابق، ص 96-97. والذكير من أكثر من أعطي تفصيلات عن تلك المعركة.

[315←]
يقول الذكير، ص 96: إنه أخذ في مسيره في الرياض إلى أن أتاه خبر هزيمة أهل القصيم نحو شهر.

[316←]

عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، 1/287 - 312.

[317←]

.Philby, op. cit., p.231

- ويذكر آرم سترونج «Armstrong» في كتابه سيد الجزيرة «Lord of Arabia» صفحة 23، أن محمد بن فيصل ظل في فترة النزاع الأخوي مقيما مع عائلته في قصر الحكم دون أن يتدخل، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك.

[318←]

عبد الرحمن بن محمد الناصر، عنوان السعد والمجد في أخبار الحجاز ونجد، ص 33.

[319←]

أمين الريحاني، المرجع السابق، ص 104.

[320←]

إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص 194.

Philby, op. cit., p.232. -

[321←]

Philby, ibid., p.233.

[322←]

انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في: عبد الرحمن بن قاسم النجدي: المصدر السابق، 7/250.

[323←]

عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص 37، 38.

[324←]

عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص 38.

- فؤاد حمزة: المملكة العربية السعودية، ص 6.

[325←]

حافظ وهبة، المرجع السابق، ص 244.

- أمين الريحاني، المرجع السابق، ص 183.

- أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، الجزء الأول، مطبعة الحرية، بيروت، 1365هـ/1946م، ص 78.

[326←]
عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص 39.

[327←]
.Philby, op. cit., p.234

[328←]
عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص 39.

[329←]

Philby, op. city., p.235.

[330←]
عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص 42.

[331←]
أمين الريحاني، المرجع السابق، ص 106.

[332←]
المرجع السابق، ص 107.

[333←]
نفسه.

[334←]
سليمان بن سحمان: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، ص 60.

[335←]
عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص34.

[336←]
يقول الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه الضياء الشارق عن سبب اختيار الامام عبد الرحمن الكويت لسكنه ما يلي:

«... لأن الكويت قريبا من بلاد نجد والاخبار تصل إليه بسرعة وأيضا كان فيه من تسلط الاعداء، فليس لأحد عليه فيه اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد.. ».

[337←]
انظر نص الرسالة في: كتاب حسين خلف خزعل، المرجع السابق، 2/34.

[338←]

Lorimer, op. cit., pp. 229-243.

- محمد سعيد المسلم، ساحل الذهب الأسود، ص 161..

[339←]

سيف مرزوق شملان: المرجع السابق، ص 243 وما بعدها.

[340←]

إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 181، 182.

[341←]

حافظ وهبة، المرجع السابق، ص 393.

- "الهجر في جزيرة العرب" جريدة أم القري، عدد 218، السنة الخامسة في 20 رمضان 1347هـ / 1929م.

[342←]

إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 125.

[343←]

سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص 130.

[344←]

خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج1، طـ3، بيروت 1985، ص61-63.

[345←]

المرجع السابق، ص 63، 65، 67.

[346←]

سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص 51.

[347←]

خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 1/55.

[348←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط 2، الرياض، 1416هـ، ص 34-35.

[349←]

خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 1/58. وقد استعمل هذا العمل اللقب الذي أصبح لقب موحد البلاد.

[350←]

إبراهيم بن عيسى: المرجع السابق، ص 84.

Frederick Fallowfield Anscombe, The Ottoman Gulf And The Creation Of Kuwayt, Sa‘udi Arabia And Qatar, 1871-1914, p. 173-174.

[351←]

وهناك مصادر تقول: إنهم كانوا ستين تقريبا. ولعل الذين خرجوا من الكويت كانوا أربعين، ثم انضم إليهم آخرون فيما بعد بحيث أصبحوا حوالي الستين عند اقترابهم من الرياض.

[352←]

خير الدين الزركلي، المرجع السابق، 1/79- 100.

[353←]

عبد الله الصالح العثيمين، معارك الملك عبد العزيز، ص 59-74.

[354←]

عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة، 2/67-70. على أن المجمعة بالذات لم تدخل تحت حكم الملك عبد العزيز إلا بعد مقتل الأمير عبد العزيز بن رشيد بحوالي سنتين

[355←]

إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص 200.

[356←]

عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة، 2/71-80.

[357←]

يذكر المؤرخ المحلي، إبراهيم القاضي في تاريخه المخطوط(ص15) أنها كانت في أواخر ذلك الشهر. ويذكر ذلك، أيضا، مؤرخ محلي آخر هو عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، صورة خطية نقلها عن الأصل نور الدين شريبة سنة 1385هـ، ورقة 133ب. ويبدو أن ما ذكراه هو الصحيح.

[358←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز، ص 89-93.

[359←]

مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولةالسعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، ط1، 1400هـ/1980م، ص 75.

[360←]
عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة، 100/2-105.

[361←]
يعقوب جولدبيرج (Jacob Goldberg) وترجمة عنوان دراسته، "فيلبي مصدرا لتاريخ المملكة العربية السعودية في أوائل القرن العشرين: دراسة نقدية". وقد نشرت في مجلة دراسات شرق أوسطية (Middle Eastern Studies)، مجلد 21، رقم 2، 1985م، ص 230.

[362←]
مديحة أحمد درويش: المرجع السابق، ص 76.

[363←]
صلاح الدين المختار: المرجع السابق، 2/32.

[364←]
خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 1/174.

[365←]
مديحة أحمد درويش: المرجع السابق، ص 76-77.

[366←]
خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 1/190-191.

[367←]
صلاح الدين المختار: المرجع السابق، 2/33-34.

[368←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، 178-179.

[369←]
حميد حمدون السعدون: إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق 1546-1918م، دار الأوائل، عمان، ط1، 1419هـ/1999م، ص 239-241.

[370←]
عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة، ج 2، ص ص 195-196.

[371←]
خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 1/195-196.

[372←]
تركي بن محمد بن سعود، "علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود 1902-1925". مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1406هـ، ص 38-39.

[373←]
محمد بن موسى القريني: أوضاع الأحساء قبيل قيام الملك عبد العزيز باستردادها عام 1331هـ/1931م في ضوء نماذج من الوثائق العربية في الأرشيف العثماني، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم 1425هـ، ص 183-195.

[374←]
ناصر بن محمد الجهيمي: ضم الملك عبد العزيز الأحساء في ضوء الوثائق البريطانية والعثمانية والمصادر المحلية، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، رجب 1431هـ، ص 71-102.

[375←]
لمزيد من الفاصيل يمكن الرجوع إلى عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة، 2/135-141. والعقير كان أشهر موانئ البلاد السعودية على ساحل الخليج. انظر: حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: المنطقة الشرقية، دار إلى مامة بالرياض، 1399هـ، جـ3، ص 1174-1180.

[376←]
طالب بن رجب الرفاعي: ولد في البصرة. وأجاد التركية والفارسية والإنجليزية. عين حاكما للأحساء، ثم عضوا في مجلس النواب العثماني. ولما احتل البريطانيون البصرة نفوه إلى الهند سنتين. ثم أصبح وزيرا للداخلية في العراق، ثم نفي إلى الهند مرة ثانية، فمرض، وسافر إلى أوروبا للعلاج، فمات في ميونخ سنة 1348هـ انظر: ألويس موسيل: المرجع السابق، ص 141.

[377←]
زكريا قورشون: العثمانيون وآل سعود في الإرشيف العثماني (1745-1914)، الدار العربية لموسوعات، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، ص 390-398.

[378←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت (1319-1341هـ)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1403هـ، ص 145-150؛ قاري ترولر(Gary Troeller)، وعنوان كتابه The Birth of Saudi Arabia، مولد العربية السعودية، لندن، 1976م، ص ص 56-63 و248-249.

[379←]
خالد السعدون: الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية (1908-1918م)، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1405هـ/1985م، ص 358.

[380←]

خالد السعدون: "موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولي كما صورته الوثائق البريطانية" مجلة الدارة، العدد الثاني، محرم 1404هـ / اكتوبر1983م، ص 28-39.

[381←]
زكريا قورشون: المرجع السابق، ص313-315.

[382←]
مديحة درويش: المرجع السابق، ص 76.

[383←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 160-162.

[384←]
زكريا قورشون: المرجع السابق، ص 319-322.

[385←]
عبد الفتاح أبو علية: دراسة تاريخية لموقف الأحساء من الاستراتيجية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة الدارة، الرياض، العدد الرابع، ذو القعدة 1395هـ، ص 116-127.

[386←]
ألوسيل موسيل: المرجع السابق، ص 139-140.

[387←]
جون فيلبي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(السلفية). تعريب عمر الديراوي، مكتبة مدبلولي، القاهرة، الطبعة الأولي، 1414هـ/1994م، ص 272، 273.

[388←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 162.

[389←]
أرمسترونج: سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم يوسف نور عوض، مطابع الأهرام، القاهرة، 1991م، ص 94-96.

[390←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 176-178 ؛ جون فيلبي: المرجع السابق، ص 285.

[391←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 286.

[392←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 289-290.

[393←]
زكريا قورشون: المرجع السابق، ص 322.

[394←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 277.

[395←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 170-172.

[396←]
عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة، 2/120.

[397←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 180-181.

[398←]
حميد حمدون السعدون: المرجع السابق، ص 245.

[399←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص185-186.

[400←]
حسين خلف خزعل: المرجع السابق، 2/232-233.

[401←]
عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة، 2/122.

[402←]
المرجع السابق، 2/125.

[403←]
أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 190.

[404←]
علي الوردي: قصة الأشراف وآل سعود، دار الوراق للنشر، بيروت، ط3، 2013، ص 183- 185.

[405←]

فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص 316-318.

[406←]

خلف بن دبلان الوذيناني: حملة فيصل بن عبد العزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير 1340-1341هـ/1922-1923م، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم 1426هـ، ص 65-66.

[407←]

زكريا قورشون: المرجع السابق، ص 325.

[408←]

علي الوردي: قصة الأشراف وآل سعود، ص 190.

[409←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الأمير عبد العزيز، ص 130.

[410←]

حسين خلف خزعل: المرجع السابق، 2/235-236.

[411←]

أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 350.

[412←]

عبد الله العثميين: معارك الأمير عبد العزيز.، ص 129.

[413←]

جون فيلبي: المرجع السابق، ص 287.

[414←]

عبد الفتاح أبو علية: دراسة تاريخية لموقف الأحساء من الاستراتيجية العثمانية، ص 116-127.

[415←]

محمد بن موسى القريني: الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء (1288-1331هـ/1871-1931م)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2005م، ص 25 وما تليها.

[416←]

جون فيلبي: المرجع السابق، ص 415-416.

[417←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز، ص 110.

[418←]
عبد الله بن مصلح النفيعي: إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية -رؤية غربية -، د.ن، الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م، ص 33 وما تليها.

[419←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص 287.

[420←]
عبد الله بن مصلح النفيعي: المرجع السابق، ص 89-92.

[421←]
عبد الله الصالح العثمين: تاريخ المملكة، 2/140.

[422←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 419.

[423←]
عبد الله بن مصلح النفيعي: إسهام الإخوان، ص 45.

[424←]
عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة، 2/150.

[425←]
جون فلبيي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ، ص 423.

[426←]
محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية، 1/115.

[427←]
المرجع السابق، 1/116.

[428←]
جون فلبيي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ، ص 429.

[429←]
ألويس موسيل: المرجع السابق، ص 143-144.

[430←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص 255-256.

[431←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 432.

[432←]
عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز، ص 130.

[433←]
ألويس موسيل: المرجع السابق، ص 144.

[434←]
خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص 259.

[435←]
عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة، 2/165.

[436←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 421.

[437←]
خالد السعدون موقف حائل من الحرب العالمية الأولى، ص 37.

[438←]
ألويس موسيل: المرجع السابق، ص 144-145.

[439←]
مستور محسن حسان الجابري: العلاقات السعودية البريطانية (1351-1364هـ/1932-1945م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ/1992م، ص 2وما تليها.

[440←]
خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص 260-262.

[441←]
خالد السعدون: الأوضاع في ولاية البصرة العثمانية، ص 358 – 360.

[442←]
مستور محسن حسان الجابري: المرجع السابق، ص 15.

[443←]
R, R/15/5/25, No. C-9 of 1915, from P.A., Kuwait, to P.R. in the P.G, Bushire, dated 29/6/1915.

[444←]

R, R/15/5/25, enclosure in No. C-9 of 1915.

[445←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص 266-267.

[446←]
المرجع السابق، ص 269.

[447←]
Madawi Al Rasheed, Durable and Non-Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia, p. 153-154.

[448←]
الخميسية: سميت نسبة إلى عبد الله بن خميس، أحد أهالي القصيم الذين كانوا يوالون فالح باشا السعدون شيخ المنتفق، وهي قرية صغيرة تقع على حافة الصحراء في المنطقة الواقعة بين سوق الشيوخ والزبير في جنوب العراق، وكانت سوقا رائجا لقبائل البادية، ولكنها اندثرت الآن. انظر: لغة العرب، السنة 1، ج11، جمادى الأولى 1330 – نيسان 1912، ص ص 432-433.

[449←]
Kostiner, Saʿūdi Arabia's Territorial Expansion: The Case of Kuwayt, 1916- Joseph 1921, p. 221.

[450←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص165-166.

[451←]
آل سويط: هم بيت المشيخة لعامة لقبيلة الضفير المعروفة.

[452←]
خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص 168-169.

[453←]

Daniel Silverfarb, The Philby Mission to Ibn Sa'ud, p. 267-268.

[454←]

لعله يقصد عم حمود بن سويط الذي مر ذكره سابقا.

[455←]

Daniel Silverfarb, The Philby Mission to Ibn Sa'ud, p. 269.

[456←]

تركية بنت حمد ناصر الجار الله: المرجع السابق، ص 80.

[457←]

خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت، ص 170.

[458←]

حياة محمد البسام: المرجع السابق، ص 159-160.

[459←]

جون فليبي: المرجع السابق، ص 495-496.

[460←]

تركية بنت حمد ناصر الجار الله: المرجع السابق، ص، 89-93.

[461←]

زكريا قورشون: المرجع السابق، ص 368.

Daniel Silverfarb, The Philby Mission to Ibn Sa'ud, p. 270.

[462←]

جون فليبي: المرجع السابق، ص 490.

[463←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز، ص 173.

Joseph Kostiner, Saʿūdi Arabia's Territorial Expansion: The Case of Kuwayt, 1916-1921, p. 222; Madawi Al-Rasheed and Loulouwa Al-Rasheed, The Politics of Encapsulation: Saudi Policy towards Tribal and Religious Opposition, p. 102.

[464←]

خالد السعدون: موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى كما صورته الوثائق البريطانية، ص 35-39.

[465←]

عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز، ص 109.

[466←]
تركية بنت حمد ناصر الجار الله: موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1425هـ/2005م، ص 85-88.

[467←]
المرجع السابق، ص 113.

Daniel Silverfarb, The Philby Mission to Ibn Sa'ud, p. 273.

[468←]
حياة محمد الحمد البسام: ميزان القوى في الخليج العربي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1409هـ/1989م، ص 95 وماتليها.

[469←]
مستور محسن حسان الجابري: المرجع السابق، ص 5-6.

[470←]
جلال يحيى: المدخل إلى التاريخ العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ص 38.

[471←]
تركية بنت حمد ناصر الجار الله: المرجع السابق، ص 109 وما تليها.

[472←]
علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج5، د.ن، ط1، بغداد، 1977م، ص 55.

[473←]
المرجع السابق، 6/49-50.

[474←]
حياة محمد الحمد البسام: المرجع السابق، ص 170-172.

[475←]
خلف بن دبلان الوذيناني: المرجع السابق، ص 66-70.

[476←]
حنان سليمان ملكاوي: عبد العزيز آل سعود والأدارسة في تهامة عسير (1339-1353هـ/1920-1934م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الملجد 28، العدد 1، 2011م، ص 145-149.

[477←]
علي الوردي: المرجع السابق، 6/106-108 ؛ عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2/245.

[478←]
عبد الله بن صالح النفيعي: المرجع السابق، ص 144.

[479←]
علي الوردي: المرجع السابق، 6/50-51.

[480←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 439-440.

[481←]
حياة محمد الحمد البسام: المرجع السابق، ص 176-178.

[482←]
عبد الله بن مصلح النفيعي: المرجع السابق، ص 145-146.

[483←]
جون فيلبي: المرجع السابق، ص 441 ؛ حياة محمد الحمد البسام: المرجع السابق، ص 179.

Madawi Al-Rasheed and Loulouwa Al-Rasheed, The Politics of Encapsulation: Saudi Ibn Sa'ūd and thePolicy towards Tribal and Religious Opposition, p. 103;
. 4.Resurrection of the Wahhābi Power in Arabia, p